

الإلحاد يتحدى

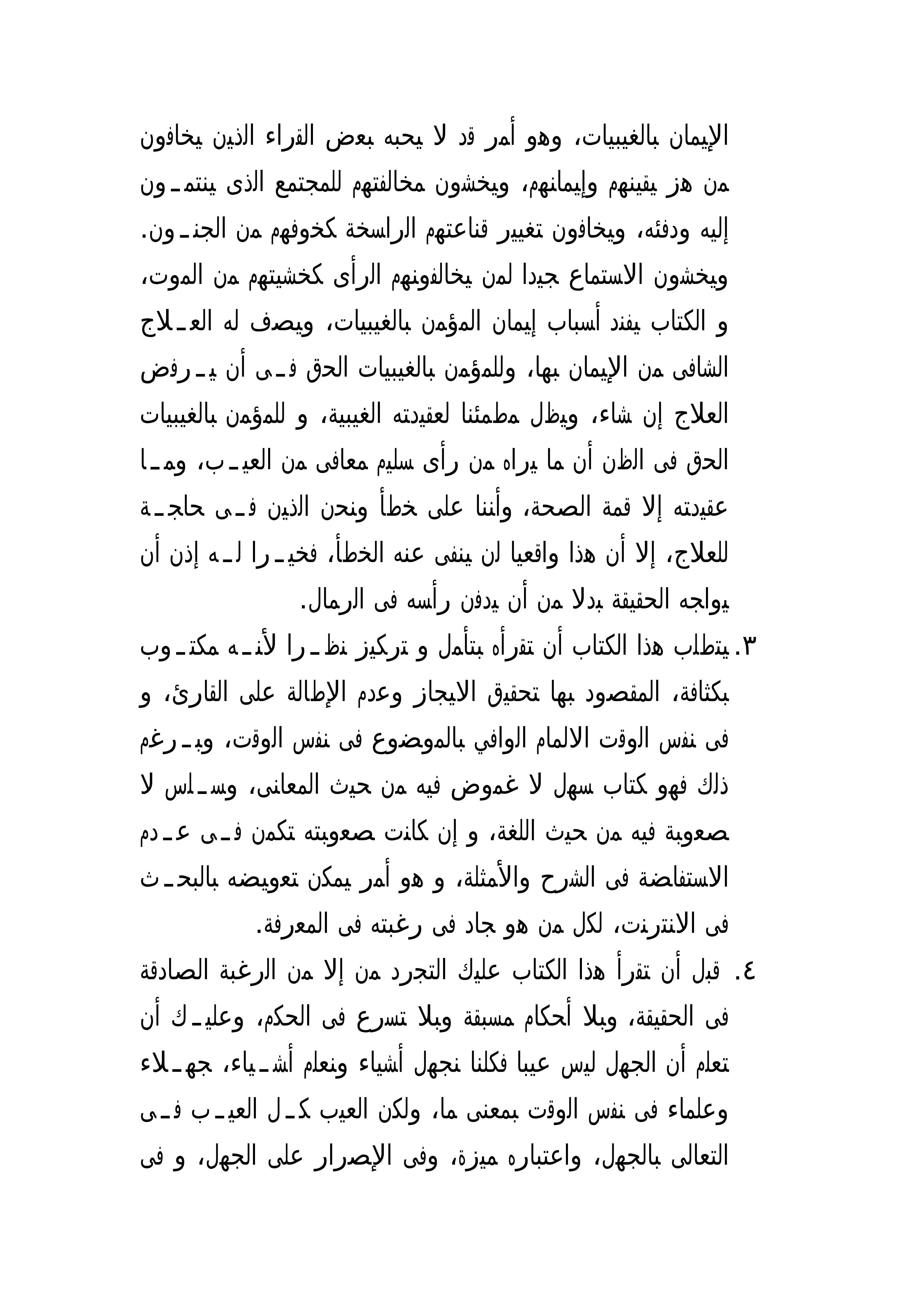
إصدار ثالث موسع ومنقح من جذور الإلحاد

سامح سلامة

***

١. هذا الكتاب قائم على تطوير سلسلة من المقالات تم نشرها فى موقع الحوار المتمدن فى يونيو ٢٠٠٩ تحت عنوان جذور الإلحاد ، وقد رأيت نشرها فى كتاب إلكترونى حيث لا يمكن نشرها كمطبوعة ورقية فى العالم العربى، وعند اعداد الكتاب تمت اعادة صياغة ما ورد فى المقالات وتدقيقها، و إحداث تعديلات بالفقرات وترتيبها، و إضافة فقرات جديدة، تتضمن فحوى بعض تعليقات القراء الهامة مع إعادة صياغتها، وبعض تعليقاتى على بعض تعليقات القراء، وختاما فهذه النسخة الثالثة التى رأيت تغيير اسمها إلى "الإلحاد يتحدى" هى الأكثر تنقيحا، ومن ثم فعلى القارئ الذى أنزل نسخة سابقة باسم جذور الإلحاد أن ينزل هذه النسخة لتتم الفائدة.

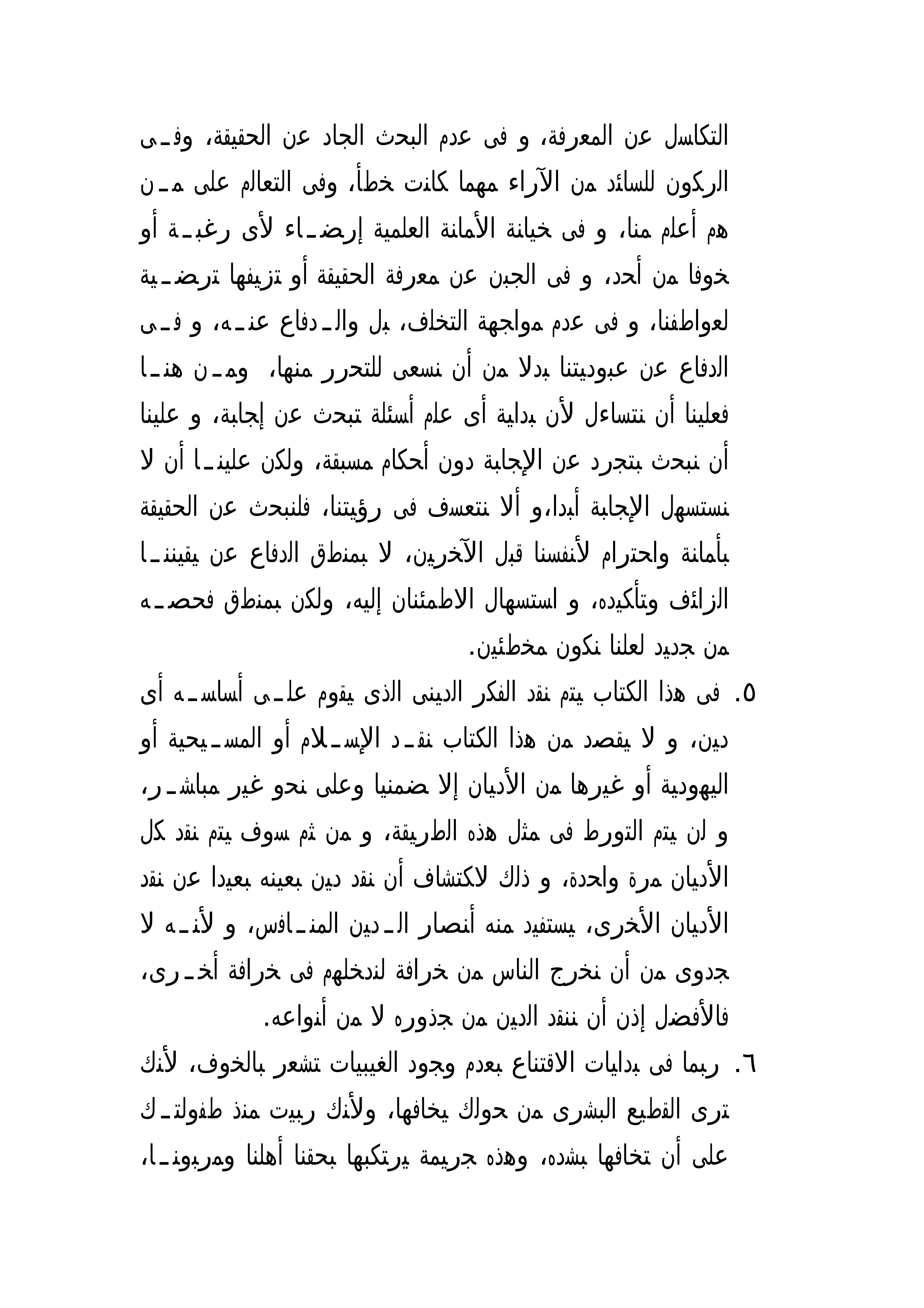
٢. هذا الكتاب يتطلب شجاعة من القارئ المؤمن بالغيبيات، و لا يتوقف عن قراءته لاستكماله للنهاية، وعدم الهروب من التحدى الذى يطرحه الكاتب عليه، لأنه ببساطة يعصف بقوة بكل أسس



الإيمان بالغيبيات، وهو أمر قد لا يحبه بعض القراء الذين يخافون من هز يقينهم وإيمانهم، ويخشون مخالفتهم للمجتمع الذى ينتمون إليه ودفئه، ويخافون تغيير قناعتهم الراسخة كخوفهم من الجنون. ويخشون الاستماع جيدا لمن يخالفونهم الرأى كخشيتهم من الموت، و الكتاب يفند أسباب إيمان المؤمن بالغيبيات، ويصف له العلاج الشافى من الإيمان بها، وللمؤمن بالغيبيات الحق فى أن يرفض العلاج إن شاء، ويظل مطمئنا لعقيدته الغيبية، و للمؤمن بالغيبيات الحق فى الظن أن ما يراه من رأى سليم معافى من العيب، وما عقيدته إلا قمة الصحة، وأننا على خطأ ونحن الذين فى حاجة للعلاج، إلا أن هذا واقعيا لن ينفى عنه الخطأ، فخيرا له إذن أن يواجه الحقيقة بدلا من أن يدفن رأسه فى الرمال.

٣. يتطلب هذا الكتاب أن تقرأه بتأمل و تركيز نظرا لأنه مكتوب بكثافة، المقصود بها تحقيق الايجاز وعدم الإطالة على القارئ، و فى نفس الوقت الالمام الوافي بالموضوع فى نفس الوقت، وبرغم ذلك فهو كتاب سهل لا غموض فيه من حيث المعانى، وسلس لا صعوبة فيه من حيث اللغة، و إن كانت صعوبته تكمن فى عدم الاستفاضة فى الشرح والأمثلة، و هو أمر يمكن تعويضه بالبحث فى الانترنت، لكل من هو جاد فى رغبته فى المعرفة.

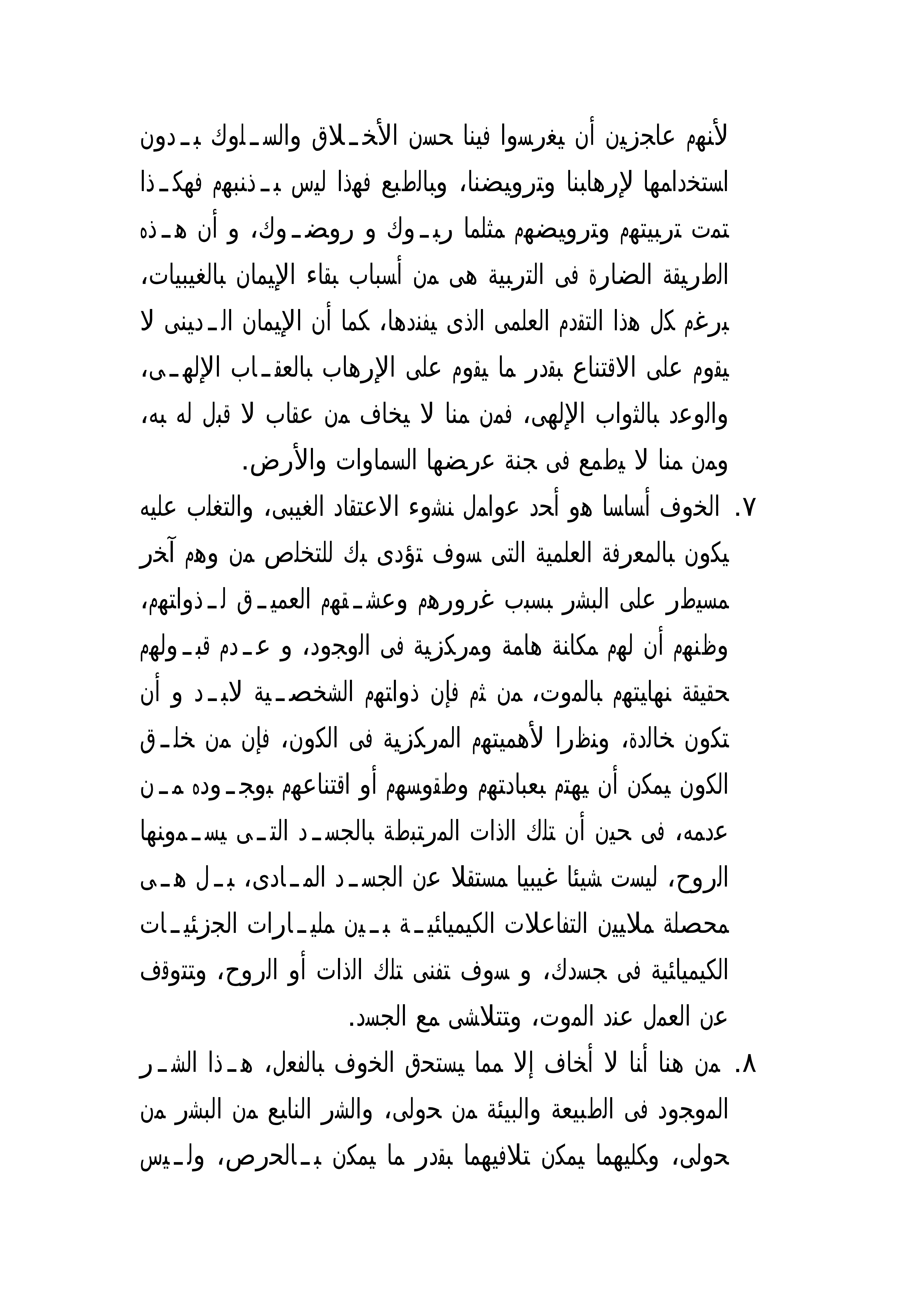
٤. قبل أن تقرأ هذا الكتاب عليك التجرد من إلا من الرغبة الصادقة فى الحقيقة، وبلا أحكام مسبقة وبلا تسرع فى الحكم، وعليك أن تعلم أن الجهل ليس عيبا فكلنا نجهل أشياء ونعلم أشياء، جهلاء وعلماء فى نفس الوقت بمعنى ما، ولكن العيب كل العيب فى التعالى بالجهل، واعتباره ميزة، وفى الإصرار على الجهل، و فى



التكاسل عن المعرفة، و فى عدم البحث الجاد عن الحقيقة، وفى الركون للسائد من الآراء مهما كانت خطأ، وفى التعالم على من هم أعلم منا، و فى خيانة الأمانة العلمية إرضاء لأى رغبة أو خوفا من أحد، و فى الجبن عن معرفة الحقيقة أو تزيفها ترضية لعواطفنا، و فى عدم مواجهة التخاف، بل والدفاع عنه، و فى الدفاع عن عبوديتنا بدلا من أن نسعى للتحرر منها، ومن هنا فعلينا أن نتساءل لأن بداية أى علم أسئلة تبحث عن إجابة، و علينا أن نبحث بتجرد عن الإجابة دون أحكام مسبقة، ولكن علينا أن لا نستسهل الإجابة أبدا،و ألا نتعسف فى رؤيتنا، فلنبحث عن الحقيقة بأمانة واحترام لأنفسنا قبل الآخرين، لا بمنطق الدفاع عن يقيننا الزائف وتأكيده، و استسهال الاطمئنان إليه، ولكن بمنطق فحصه من جديد لعلنا نكون مخطئين.

٥. فى هذا الكتاب يتم نقد الفكر الدينى الذى يقوم على أساسه أى دين، و لا يقصد من هذا الكتاب نقد الإسلام أو المسيحية أو اليهودية أو غيرها من الأديان إلا ضمنيا وعلى نحو غير مباشر، و لن يتم التورط فى مثل هذه الطريقة، و من ثم سوف يتم نقد كل الأديان مرة واحدة، و ذلك لاكتشاف أن نقد دين بعينه بعيدا عن نقد الأديان الأخرى، يستفيد منه أنصار الدين المنافس، و لأنه لا جدوى من أن نخرج الناس من خرافة لندخلهم فى خرافة أخرى، فالأفضل إذن أن ننقد الدين من جذوره لا من أنواعه.

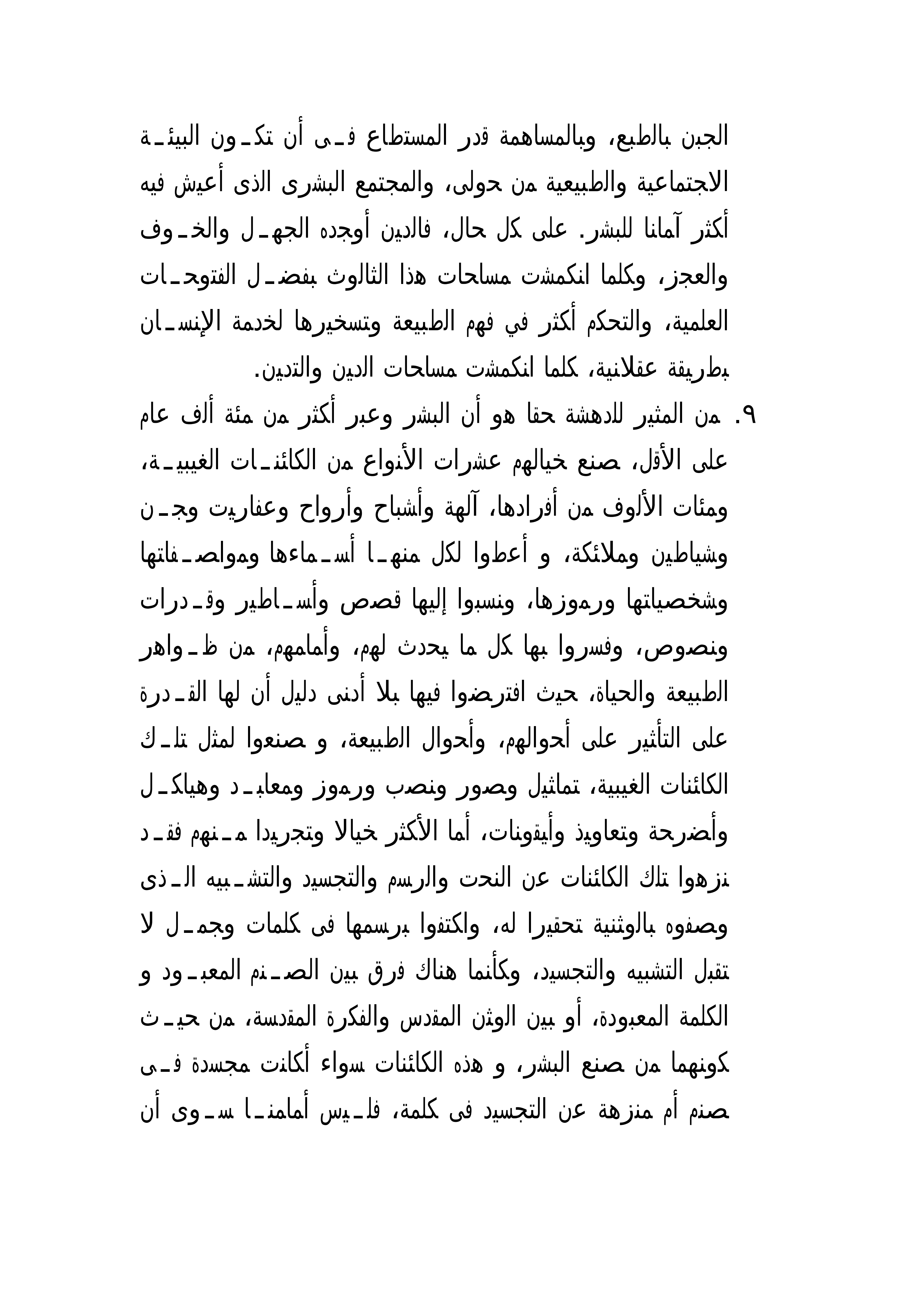
٦. ربما فى بدايات الاقتناع بعدم وجود الغيبيات تشعر بالخوف، لأنك ترى القطيع البشرى من حولك يخافها، ولأنك ربيت منذ طفولتك على أن تخافها بشده، وهذه جريمة يرتكبها بحقنا أهلنا ومربونا،



لأنهم عاجزين أن يغرسوا فينا حسن الأخـلاق والسـلوك بـدون استخدامها لإرهابنا وترويضنا، وبالطبع فهذا ليس بـذنبهم فهكـذا تمت تربيتهم وترويضهم مثلما ربـوك و روضـوك، و أن هـذه الطريقة الضارة فى التربية هى من أسباب بقاء الإيمان بالغيبيات، برغم كل هذا التقدم العلمى الذى يفندها، كما أن الإيمان الـدينى لا يقوم على الاقتناع بقدر ما يقوم على الإرهاب بالعقـاب الإلهـى، والوعد بالثواب الإلهى، فمن منا لا يخاف من عقاب لا قبل له به، ومن منا لا يطمع فى جنة عرضها السماوات والأرض.

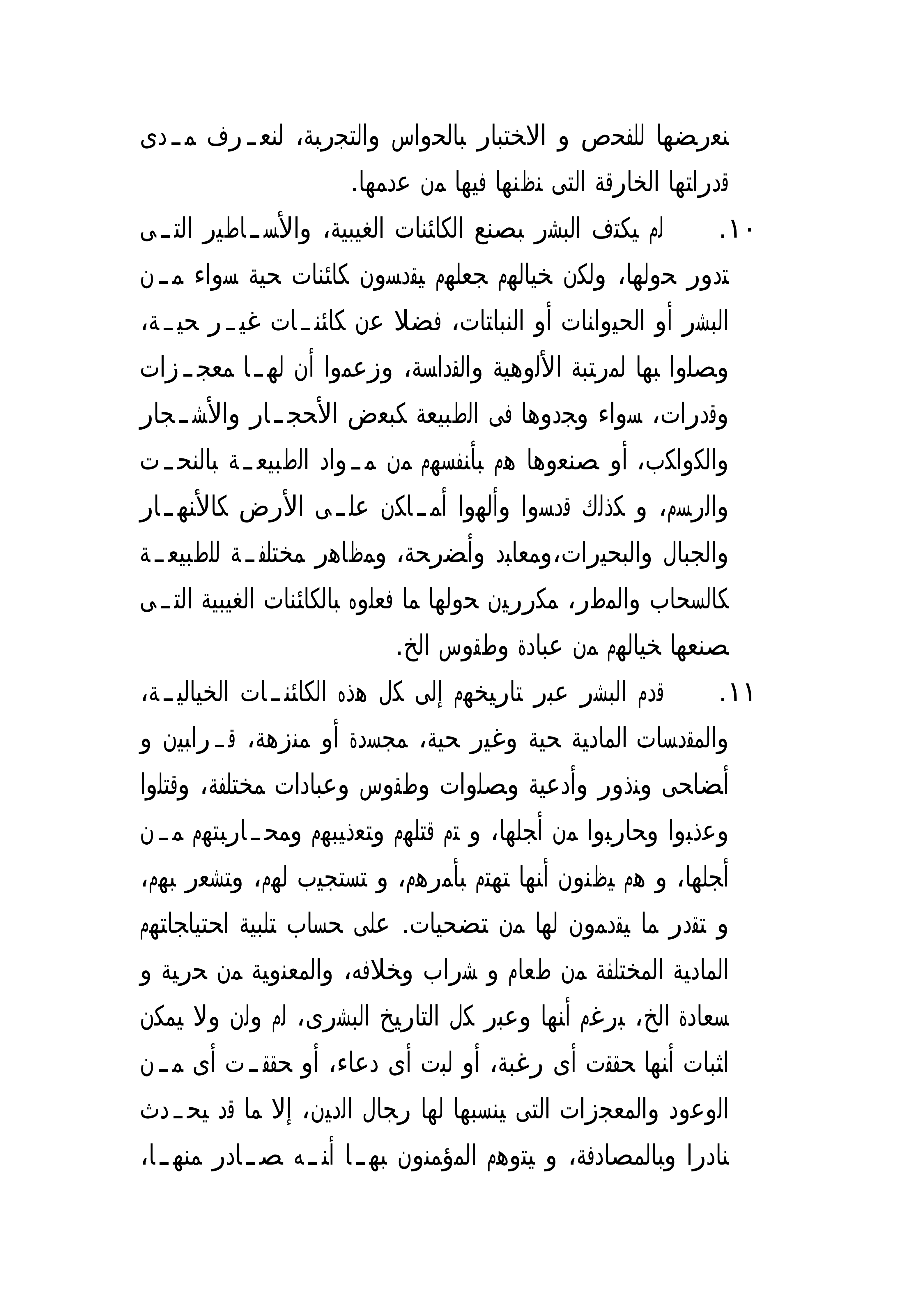
٧. الخوف أساسا هو أحد عوامل نشوء الاعتقاد الغيبى، والتغلب عليه يكون بالمعرفة العلمية التى سوف تؤدى بك للتخلص من وهم آخر مسيطر على البشر بسبب غرورهم وعشـقهم العميـق لـذواتهم، وظنهم أن لهم مكانة هامة ومركزية فى الوجود، و عـدم قبـولهم حقيقة نهايتهم بالموت، من ثم فإن ذواتهم الشخصـية لابـد و أن تكون خالدة، ونظرا لأهميتهم المركزية فى الكون، فإن من خالـق الكون يمكن أن يهتم بعبادتهم وطقوسهم أو اقتناعهم بوجـوده مـن عدمه، فى حين أن تلك الذات المرتبطة بالجسـد التـى يسـمونها الروح، ليست شيئا غيبيا مستقلا عن الجسـد المـادى، بـل هـى محصلة ملايين التفاعلات الكيميائيـة بـين مليـارات الجزئيـات الكيميائية فى جسدك، و سوف تفنى تلك الذات أو الروح، وتتوقف عن العمل عند الموت، وتتلاشى مع الجسد.

٨. من هنا أنا لا أخاف إلا مما يستحق الخوف بالفعل، هـذا الشـر الموجود فى الطبيعة والبيئة من حولى، والشر النابع من البشر من حولى، وكليهما يمكن تلافيهما بقدر ما يمكن بـالحرص، ولـيس



الجبن بالطبع، وبالمساهمة قدر المستطاع فـى أن تكـون البيئـة الاجتماعية والطبيعية من حولى، والمجتمع البشرى الذى أعيش فيه أكثر آمانا للبشر. على كل حال، فالدين أوجده الجهـل والخـوف والعجز، وكلما انكمشت مساحات هذا الثالوث بفضـل الفتوحـات العلمية، والتحكم أكثر في فهم الطبيعة وتسخيرها لخدمة الإنسـان بطريقة عقلانية، كلما انكمشت مساحات الدين والتدين.

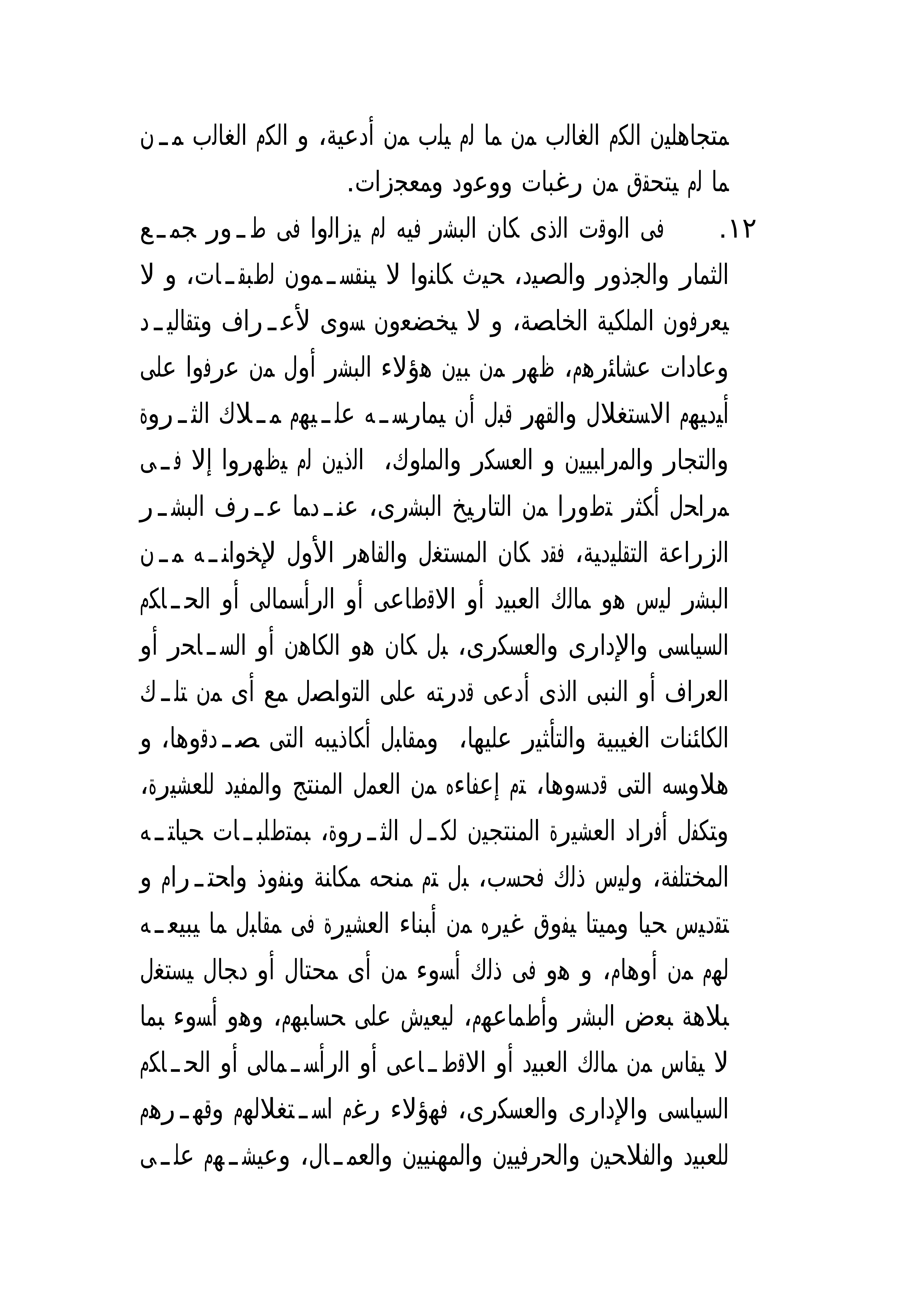
٩. من المثير للدهشة حقا هو أن البشر وعبر أكثر من مئة ألف عام على الأقل، صنع خيالهم عشرات الأنواع من الكائنـات الغيبيـة، ومئات الألوف من أفرادها، آلهة وأشباح وأرواح وعفاريت وجـن وشياطين وملائكة، و أعطوا لكل منهـا أسـماءها ومواصـفاتها وشخصياتها ورموزها، ونسبوا إليها قصص وأسـاطير وقـدرات ونصوص، وفسروا بها كل ما يحدث لهم، وأمامهم، من ظـواهر الطبيعة والحياة، حيث افترضوا فيها بلا أدنى دليل أن لها القـدرة على التأثير على أحوالهم، وأحوال الطبيعة، و صنعوا لمثل تلـك الكائنات الغيبية، تماثيل وصور ونصب ورموز ومعابـد وهياكـل وأضرحة وتعاويذ وأيقونات، أما الأكثر خيالا وتجريدا مـنهم فقـد نزهوا تلك الكائنات عن النحت والرسم والتجسيد والتشـبيه الـذى وصفوه بالوثنية تحقيرا له، واكتفوا برسمها فى كلمات وجمـل لا تقبل التشبيه والتجسيد، وكأنما هناك فرق بين الصـنم المعبـود و الكلمة المعبودة، أو بين الوثن المقدس والفكرة المقدسة، من حيـث كونهما من صنع البشر، و هذه الكائنات سواء أكانت مجسدة فـى صنم أم منزهة عن التجسيد فى كلمة، فلـيس أمامنـا سـوى أن



نعرضها للفحص و الاختبار بالحواس والتجربة، لنعرف مدى قدراتها الخارقة التى نظنها فيها من عدمها.

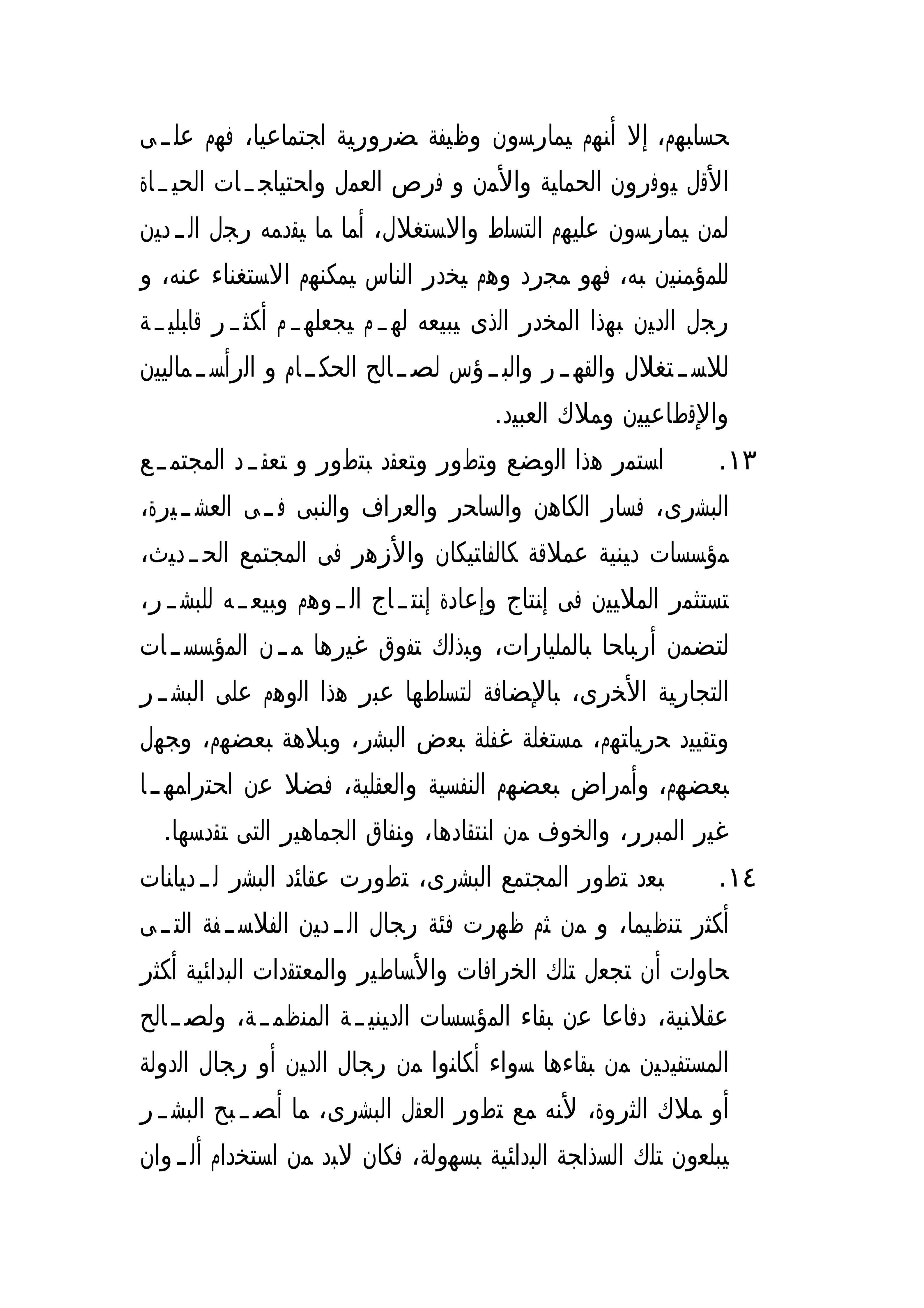
١٠. لم يكتف البشر بصنع الكائنات الغيبية، والأساطير التى تدور حولها، ولكن خيالهم جعلهم يقدسون كائنات حية سواء من البشر أو الحيوانات أو النباتات، فضلا عن كائنات غير حية، وصلوا بها لمرتبة الألوهية والقداسة، وزعموا أن لها معجزات وقدرات، سواء وجدوها فى الطبيعة كبعض الأحجار والأشجار والكواكب، أو صنعوها هم بأنفسهم من مواد الطبيعة بالنحت والرسم، و كذلك قدسوا وألهوا أماكن على الأرض كالأنهار والجبال والبحيرات،ومعابد وأضرحة، ومظاهر مختلفة للطبيعة كالسحاب والمطر، مكررين حولها ما فعلوه بالكائنات الغيبية التى صنعها خيالهم من عبادة وطقوس الخ.

١١. قدم البشر عبر تاريخهم إلى كل هذه الكائنات الخيالية، والمقدسات المادية حية وغير حية، مجسدة أو منزهة، قرابين و أضاحى ونذور وأدعية وصلوات وطقوس وعبادات مختلفة، وقتلوا وعذبوا وحاربوا من أجلها، و تم قتلهم وتعذيبهم ومحاربتهم من أجلها، و هم يظنون أنها تهتم بأمرهم، و تستجيب لهم، وتشعر بهم، و تقدر ما يقدمون لها من تضحيات. على حساب تلبية احتياجاتهم المادية المختلفة من طعام و شراب وخلافه، والمعنوية من حرية و سعادة الخ، برغم أنها وعبر كل التاريخ البشرى، لم ولن ولا يمكن اثبات أنها حققت أى رغبة، أو لبت أى دعاء، أو حققت أى من الوعود والمعجزات التى ينسبها لها رجال الدين، إلا ما قد يحدث نادرا وبالمصادفة، و يتوهم المؤمنون بها أنه صادر منها،



متجاهلين الكم الغالب من ما لم يلب من أدعية، و الكم الغالب من ما لم يتحقق من رغبات ووعود ومعجزات.

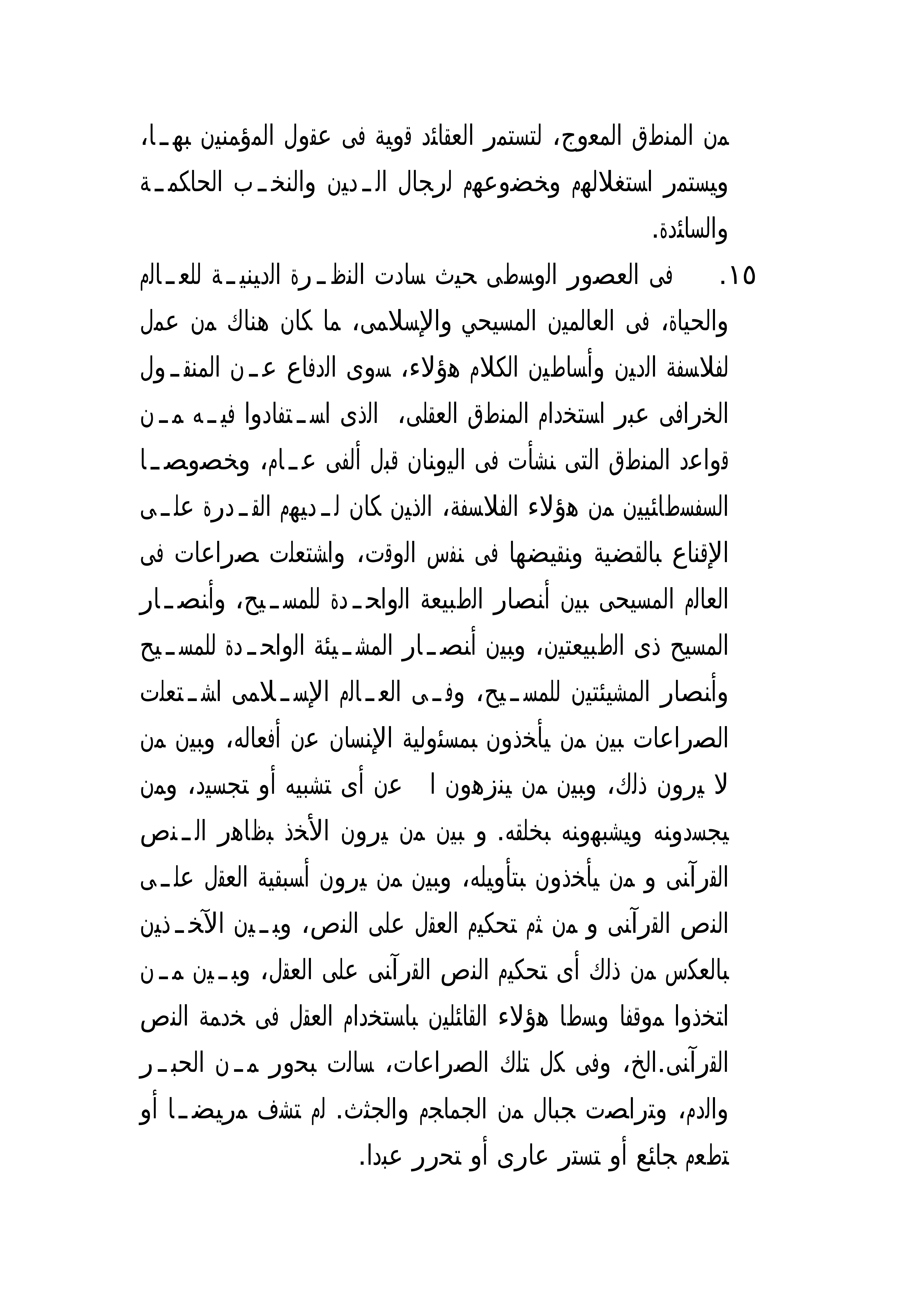
١٢. فى الوقت الذى كان البشر فيه لم يزالوا فى طور جمع الثمار والجذور والصيد، حيث كانوا لا ينقسمون لطبقات، و لا يعرفون الملكية الخاصة، و لا يخضعون سوى لأعراف وتقاليد وعادات عشائرهم، ظهر من بين هؤلاء البشر أول من عرفوا على أيديهم الاستغلال والقهر قبل أن يمارسه عليهم ملاك الثروة والتجار والمرابيين و العسكر والملوك، الذين لم يظهروا إلا فى مراحل أكثر تطورا من التاريخ البشرى، عندما عرف البشر الزراعة التقليدية، فقد كان المستغل والقاهر الأول لإخوانه من البشر ليس هو مالك العبيد أو الاقطاعى أو الرأسمالى أو الحاكم السياسى والإدارى والعسكرى، بل كان هو الكاهن أو الساحر أو العراف أو النبى الذى أدعى قدرته على التواصل مع أى من تلك الكائنات الغيبية والتأثير عليها، ومقابل أكاذيبه التى صدقوها، و هلاوسه التى قدسوها، تم إعفاءه من العمل المنتج والمفيد للعشيرة، وتكفل أفراد العشيرة المنتجين لكل الثروة، بمتطلبات حياته المختلفة، وليس ذلك فحسب، بل تم منحه مكانة ونفوذ واحترام و تقديس حيا وميتا يفوق غيره من أبناء العشيرة فى مقابل ما يبيعه لهم من أوهام، و هو فى ذلك أسوء من أى محتال أو دجال يستغل بلاهة بعض البشر وأطماعهم، ليعيش على حسابهم، وهو أسوء بما لا يقاس من مالك العبيد أو الاقطاعى أو الرأسمالى أو الحاكم السياسى والإدارى والعسكرى، فهؤلاء رغم استغلالهم وقهرهم للعبيد والفلاحين والحرفيين والمهنيين والعمال، وعيشهم على



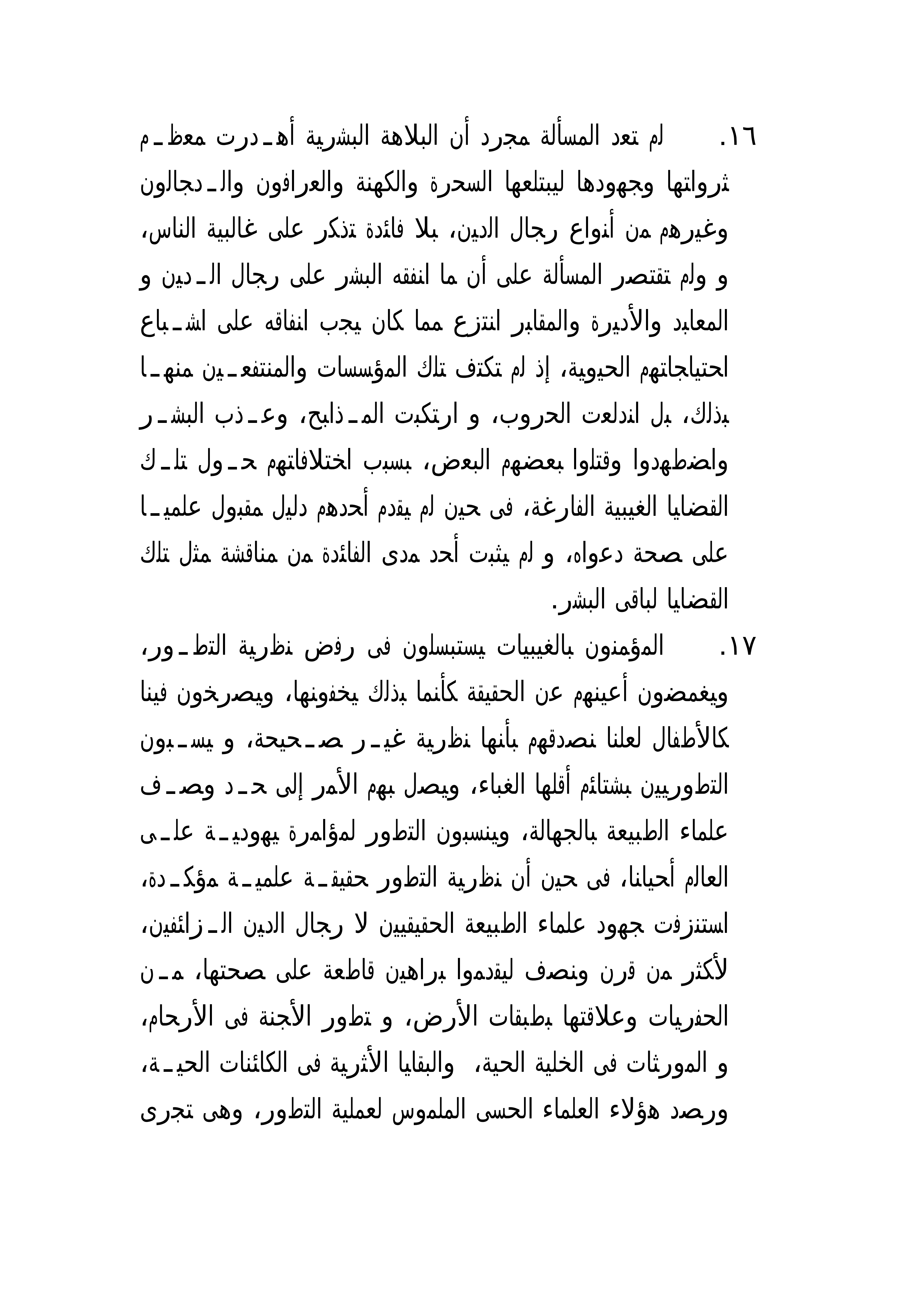
حسابهم، إلا أنهم يمارسون وظيفة ضرورية اجتماعيا، فهم على الأقل يوفرون الحماية والأمن و فرص العمل واحتياجات الحياة لمن يمارسون عليهم التسلط والاستغلال، أما ما يقدمه رجل الدين للمؤمنين به، فهو مجرد وهم يخدر الناس يمكنهم الاستغناء عنه، و رجل الدين بهذا المخدر الذى يبيعه لهم يجعلهم أكثر قابلية للاستغلال والقهر والبؤس لصالح الحكام و الرأسماليين والإقطاعيين وملاك العبيد.

١٣. استمر هذا الوضع وتطور وتعقد بتطور و تعقد المجتمع البشرى، فسار الكاهن والساحر والعراف والنبى فى العشيرة، مؤسسات دينية عملاقة كالفاتيكان والأزهر فى المجتمع الحديث، تستثمر الملايين فى إنتاج وإعادة إنتاج الوهم وبيعه للبشر، لتضمن أرباحا بالمليارات، وبذلك تفوق غيرها من المؤسسات التجارية الأخرى، بالإضافة لتسلطها عبر هذا الوهم على البشر وتقييد حرياتهم، مستغلة غفلة بعض البشر، وبلاهة بعضهم، وجهل بعضهم، وأمراض بعضهم النفسية والعقلية، فضلا عن احترامها غير المبرر، والخوف من انتقادها، ونفاق الجماهير التى تقدسها.

١٤. بعد تطور المجتمع البشرى، تطورت عقائد البشر لديانات أكثر تنظيما، و من ثم ظهرت فئة رجال الدين الفلاسفة التى حاولت أن تجعل تلك الخرافات والأساطير والمعتقدات البدائية أكثر عقلانية، دفاعا عن بقاء المؤسسات الدينية المنظمة، ولصالح المستفيدين من بقاءها سواء أكانوا من رجال الدين أو رجال الدولة أو ملاك الثروة، لأنه مع تطور العقل البشرى، ما أصبح البشر يبلعون تلك السذاجة البدائية بسهولة، فكان لابد من استخدام ألوان

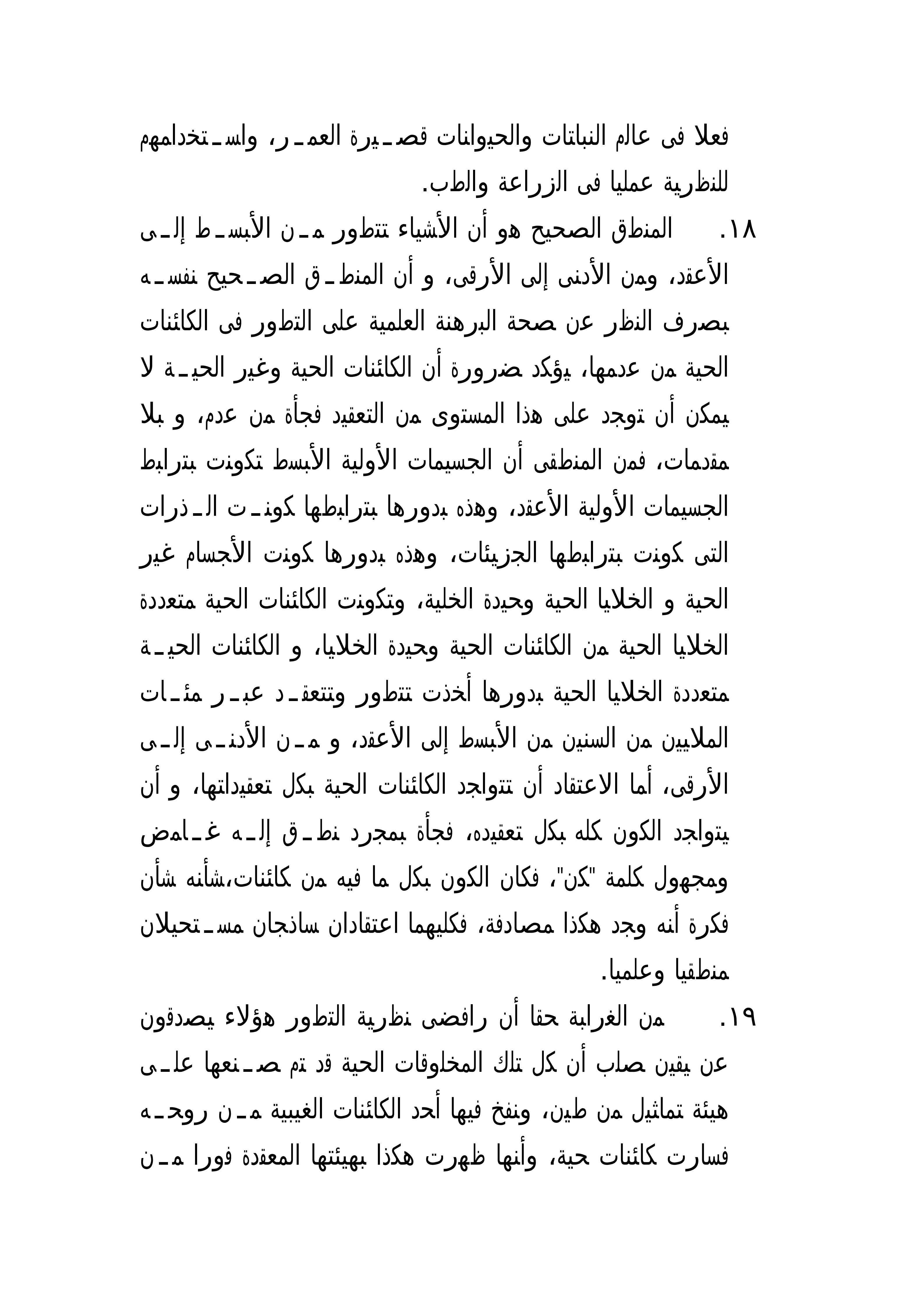

من المنطق المعوج، لتستمر العقائد قوية فى عقول المؤمنين بها، ويستمر استغلالهم وخضوعهم لرجال الدين والنخب الحاكمة والسائدة.

١٥. فى العصور الوسطى حيث سادت النظرة الدينية للعالم والحياة، فى العالمين المسيحي والإسلامى، ما كان هناك من عمل لفلاسفة الدين وأساطين الكلام هؤلاء، سوى الدفاع عن المنقول الخرافى عبر استخدام المنطق العقلى، الذى استفادوا فيه من قواعد المنطق التى نشأت فى اليونان قبل ألفى عام، وخصوصا السفسطائيين من هؤلاء الفلاسفة، الذين كان لديهم القدرة على الإقناع بالقضية ونقيضها فى نفس الوقت، واشتعلت صراعات فى العالم المسيحى بين أنصار الطبيعة الواحدة للمسيح، وأنصار المسيح ذى الطبيعتين، وبين أنصار المشيئة الواحدة للمسيح وأنصار المشيئتين للمسيح، وفى العالم الإسلامى اشتعلت الصراعات بين من يأخذون بمسئولية الإنسان عن أفعاله، وبين من لا يرون ذلك، وبين من ينزهون ا عن أى تشبيه أو تجسيد، ومن يجسدونه ويشبهونه بخلقه. و بين من يرون الأخذ بظاهر النص القرآنى و من يأخذون بتأويله، وبين من يرون أسبقية العقل على النص القرآنى و من ثم تحكيم العقل على النص، وبين الآخذين بالعكس من ذلك أى تحكيم النص القرآنى على العقل، وبين من اتخذوا موقفا وسطا هؤلاء القائلين باستخدام العقل فى خدمة النص القرآنى.الخ، وفى كل تلك الصراعات، سالت بحور من الحبر والدم، وتراصت جبال من الجماجم والجثث. لم تشف مريضا أو تطعم جائع أو تستر عارى أو تحرر عبدا.



١٦. لم تعد المسألة مجرد أن البلاهة البشرية أهدرت معظم ثرواتها وجهودها ليبتلعها السحرة والكهنة والعرافون والدجالون وغيرهم من أنواع رجال الدين، بلا فائدة تذكر على غالبية الناس، و ولم تقتصر المسألة على أن ما انفقه البشر على رجال الدين و المعابد والأديرة والمقابر انتزع مما كان يجب انفاقه على اشباع احتياجاتهم الحيوية، إذ لم تكتف تلك المؤسسات والمنتفعين منها بذلك، بل اندلعت الحروب، و ارتكبت المذابح، وعذب البشر واضطهدوا وقتلوا بعضهم البعض، بسبب اختلافاتهم حول تلك القضايا الغيبية الفارغة، فى حين لم يقدم أحدهم دليل مقبول علميا على صحة دعواه، و لم يثبت أحد مدى الفائدة من مناقشة مثل تلك القضايا لباقى البشر.

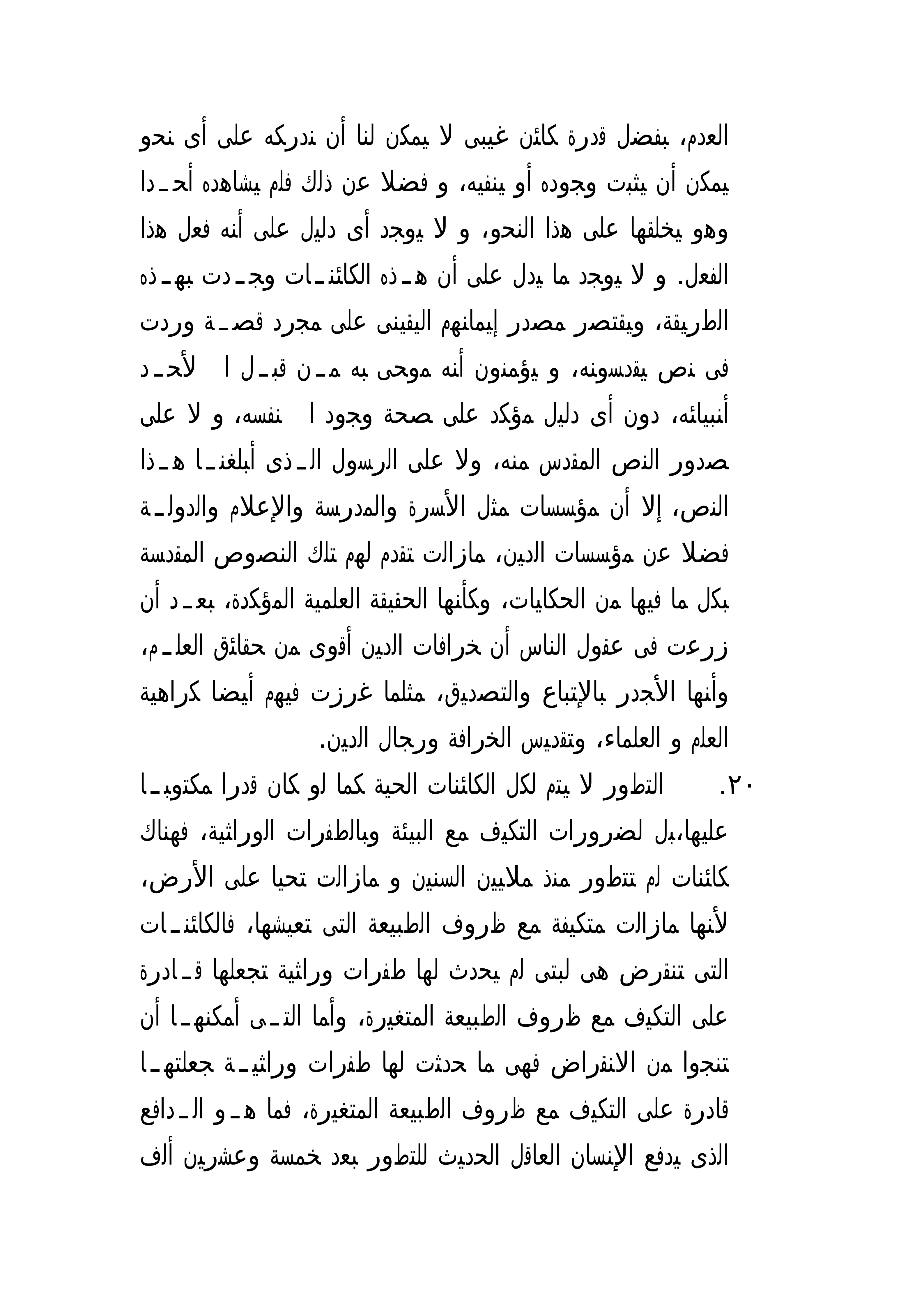
١٧. المؤمنون بالغيبيات يستبسلون فى رفض نظرية التطور، ويغمضون أعينهم عن الحقيقة كأنما بذلك يخفونها، ويصرخون فينا كالأطفال لعلنا نصدقهم بأنها نظرية غير صحيحة، و يسبون التطوريين بشتائم أقلها الغباء، ويصل بهم الأمر إلى حد وصف علماء الطبيعة بالجهالة، وينسبون التطور لمؤامرة يهودية على العالم أحيانا، فى حين أن نظرية التطور حقيقة علمية مؤكدة، استنزفت جهود علماء الطبيعة الحقيقيين لا رجال الدين الزائفين، لأكثر من قرن ونصف ليقدموا براهين قاطعة على صحتها، من الحفريات وعلاقتها بطبقات الأرض، و تطور الأجنة فى الأرحام، و المورثات فى الخلية الحية، والبقايا الأثرية فى الكائنات الحية، ورصد هؤلاء العلماء الحسى الملموس لعملية التطور، وهى تجرى



فعلا فى عالم النباتات والحيوانات قصيرة العمر، واستخدامهم للنظرية عمليا فى الزراعة والطب.

١٨. المنطق الصحيح هو أن الأشياء تتطور من الأبسط إلى الأعقد، ومن الأدنى إلى الأرقى، و أن المنطق الصحيح نفسه بصرف النظر عن صحة البرهنة العلمية على التطور فى الكائنات الحية من عدمها، يؤكد ضرورة أن الكائنات الحية وغير الحية لا يمكن أن توجد على هذا المستوى من التعقيد فجأة من عدم، و بلا مقدمات، فمن المنطقى أن الجسيمات الأولية الأبسط تكونت بترابط الجسيمات الأولية الأعقد، وهذه بدورها بترابطها كونت الذرات التى كونت بترابطها الجزيئات، وهذه بدورها كونت الأجسام غير الحية و الخلايا الحية وحيدة الخلية، وتكونت الكائنات الحية متعددة الخلايا الحية من الكائنات الحية وحيدة الخلايا، و الكائنات الحية متعددة الخلايا الحية بدورها أخذت تتطور وتتعقد عبر مئات الملايين من السنين من الأبسط إلى الأعقد، و من الأدنى إلى الأرقى، أما الاعتقاد أن تتواجد الكائنات الحية بكل تعقيداتها، و أن يتواجد الكون كله بكل تعقيده، فجأة بمجرد نطق إله غامض ومجهول كلمة "كن"، فكان الكون بكل ما فيه من كائنات،شأنه شأن فكرة أنه وجد هكذا مصادفة، فكليهما اعتقادان ساذجان مستحيلان منطقيا وعلميا.

١٩. من الغرابة حقا أن رافضى نظرية التطور هؤلاء يصدقون عن يقين صلب أن كل تلك المخلوقات الحية قد تم صنعها على هيئة تماثيل من طين، ونفخ فيها أحد الكائنات الغيبية من روحه فسارت كائنات حية، وأنها ظهرت هكذا بهيئتها المعقدة فورا من



العدم، بفضل قدرة كائن غيبى لا يمكن لنا أن ندركه على أى نحو يمكن أن يثبت وجوده أو ينفيه، و فضلا عن ذلك فلم يشاهده أحـدا وهو يخلقها على هذا النحو، و لا يوجد أى دليل على أنه فعل هذا الفعل. و لا يوجد ما يدل على أن هـذه الكائنـات وجـدت بهـذه الطريقة، ويقتصر مصدر إيمانهم اليقينى على مجرد قصـة وردت فى نص يقدسونه، و يؤمنون أنه موحى به مـن قبـل ا لأحـد أنبيائه، دون أى دليل مؤكد على صحة وجود ا نفسه، و لا على صدور النص المقدس منه، ولا على الرسول الـذى أبلغنـا هـذا النص، إلا أن مؤسسات مثل الأسرة والمدرسة والإعلام والدولـة فضلا عن مؤسسات الدين، مازالت تقدم لهم تلك النصوص المقدسة بكل ما فيها من الحكايات، وكأنها الحقيقة العلمية المؤكدة، بعـد أن زرعت فى عقول الناس أن خرافات الدين أقوى من حقائق العلـم، وأنها الأجدر بالإتباع والتصديق، مثلما غرزت فيهم أيضا كراهية العلم و العلماء، وتقديس الخرافة ورجال الدين.

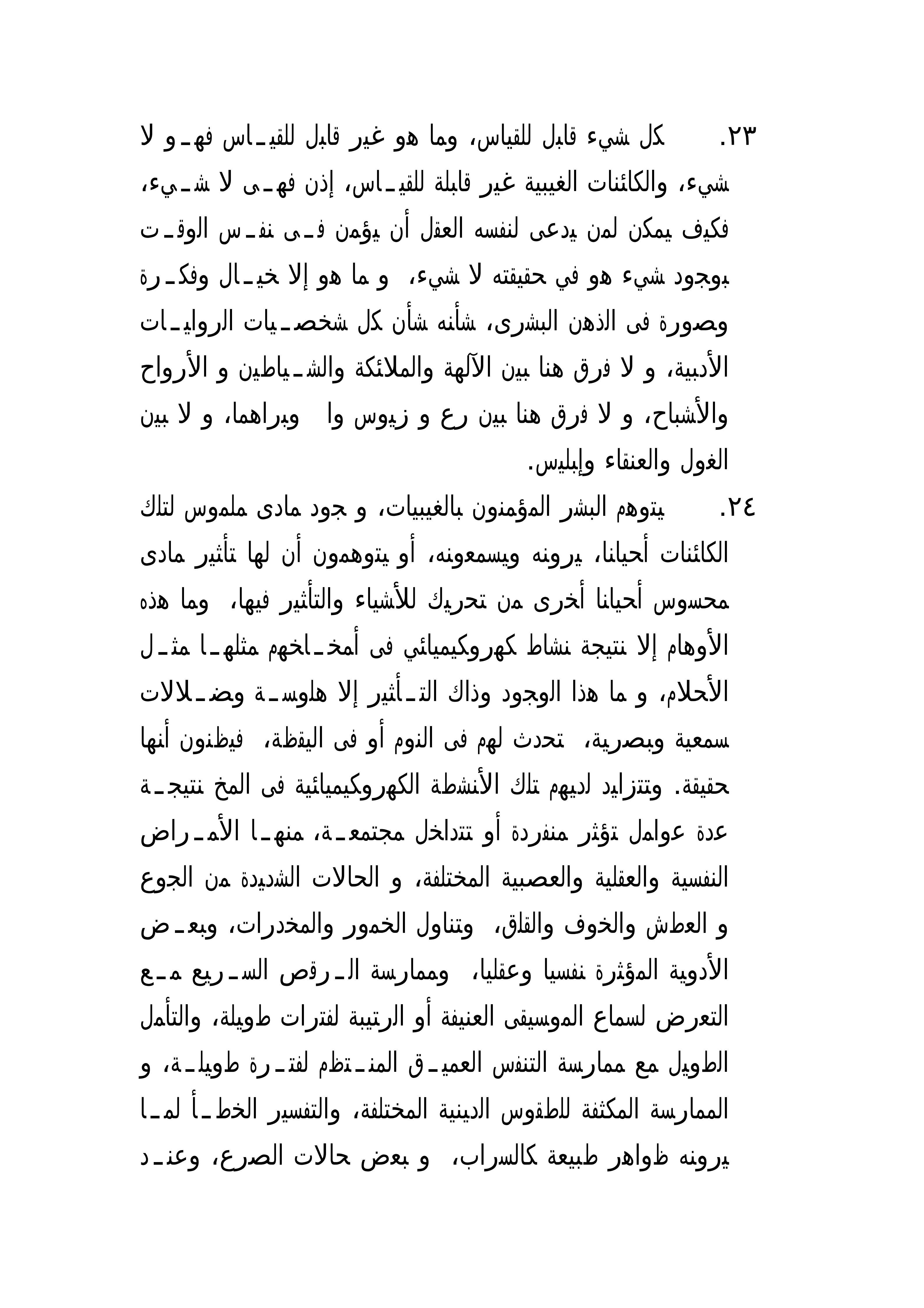
٢٠. التطور لا يتم لكل الكائنات الحية كما لو كان قدرا مكتوبـا عليها،بل لضرورات التكيف مع البيئة وبالطفرات الوراثية، فهناك كائنات لم تتطور منذ ملايين السنين و مازالت تحيا على الأرض، لأنها مازالت متكيفة مع ظروف الطبيعة التى تعيشها، فالكائنـات التى تنقرض هى لبتى لم يحدث لها طفرات وراثية تجعلها قـادرة على التكيف مع ظروف الطبيعة المتغيرة، وأما التـى أمكنهـا أن تنجوا من الانقراض فهى ما حدثت لها طفرات وراثيـة جعلتهـا قادرة على التكيف مع ظروف الطبيعة المتغيرة، فما هـو الـدافع الذى يدفع الإنسان العاقل الحديث للتطور بعد خمسة وعشرين ألف

عام على ظهوره، ربما سوف يحدث هذا مستقبلا عنـدما تتغيـر الظروف الطبيعية من حوله، وعندها إما أن يتطور فيتكيف معهـا أو ينقرض.

٢١. الإيمان البشرى العميق بتلك الكائنات الغيبية ، والأسـاطير والنصوص التى تروى عنها، و الذى يصل إلـى حـد التعصـب والقتل والاستشهاد دفاعا عنها ومن أجلها، يثير الدهشة فعـلا لأن كل هذه الكائنات الغيبية كائنات غاية فى الغموض، فضـلا عـن كونها غير مرئية أو محسوسة بأى وسيلة، و لم تغـادر جمـاجم البشر يوما لتصبح حقيقة ملموسة يمكن أن نختبرها علميـا، فهـى كما يعرفها المؤمنون بها، كائنات "لا مادية"، فإن كانـت كائنـات مادية إذن فهى ليست كائنات غيبية، ومن ثم فلن يوجد بيننا وبينهم خلاف، و لكن لكون هذه الكائنات لا مادية فهى لا تشبه شيء من أشياء الطبيعة التى نعرفها أو يمكن أن نعرفها، و التى نملك القدرة على قياسها ورصدها، وإخضاعها للتجارب العلميـة المنضـبطة، لأننا لا يمكن أن ندركها سواء بحواسنا أو بأجهزتنا العلميـة، و لا يمكن أن ندرك تأثيرها على كائنات الطبيعة المادية المختلفة، على النحو الذى يفرضه منهج العلم، و الإنسان مكون من مـادة، و لا يمكن بحواسه وامتدادها من أجهزة علمية، أن يدرك إلا كل ما هو مادى، و لما كان كل ما يحيطه من أشياء وكائنات مكونة من مادة، فلا منطق سليم فى أن يؤمن هذا الإنسان الذى يصف نفسـه عـن غرور بالعاقل، أن هناك شيء ما "لا مادى"، و هو لم يصادف فى حياته إلا ما هو مادى، فمن أين له إذن هذا اليقين بوجود ما هو لا مادى دون أن يعرف حتى كيفيه هذا الكائن "اللا مادى"؟، والـذى

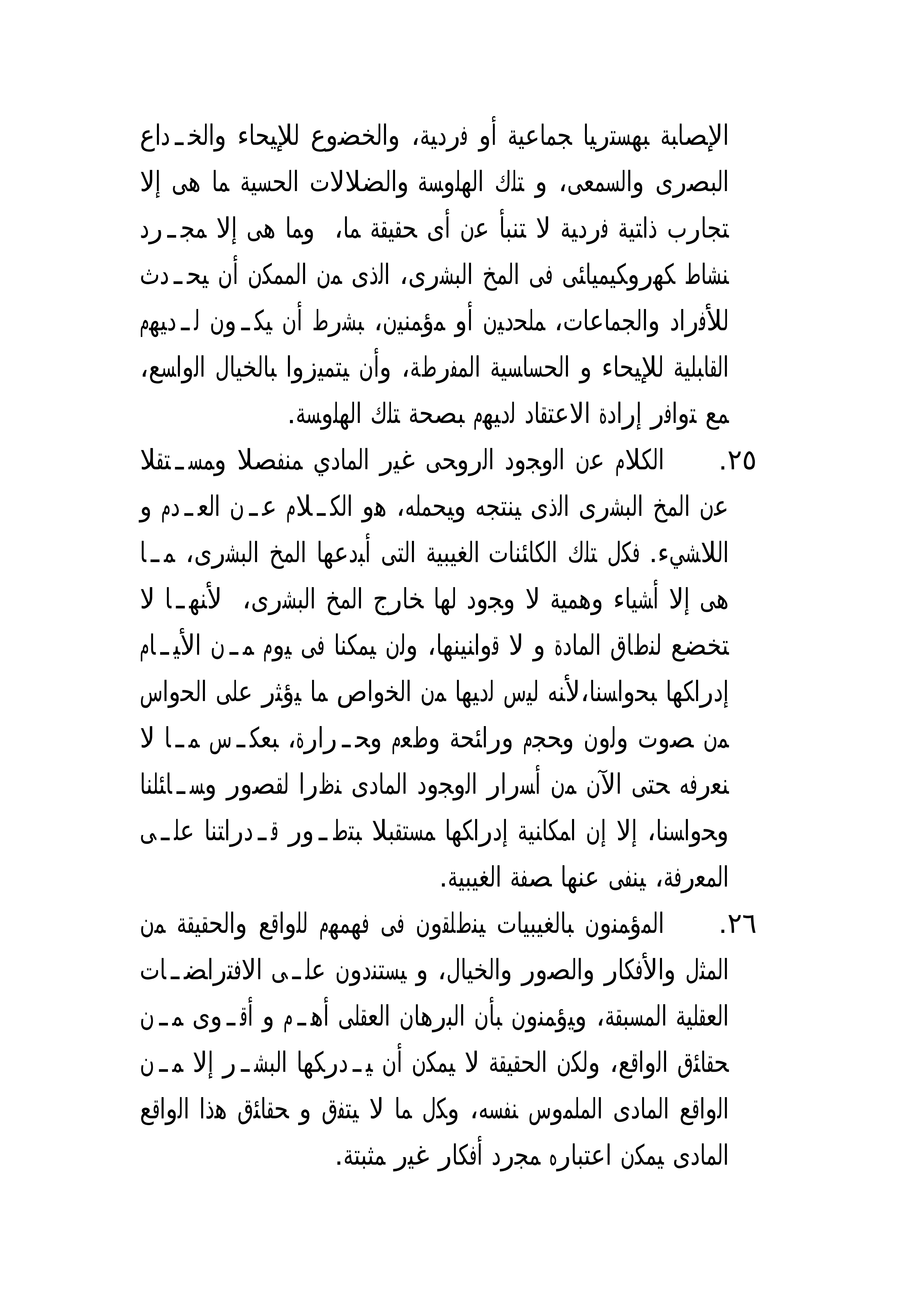
يعنى أنه ليس مكونا من ذرات العناصر الكيميائية المعروفة مثـل الكربون والأكسجين، و لا من الجسيمات الأولية التـى تكونهـا كالبروتونات والإلكترونات، و لا من جسيمات الطاقة التى تسـبب حركة جسيمات الكتلة كالفوتونـات، و لا مـن جسـيمات الكتلـة كالنيوترونات، ولا مركبات تلك الذرات من الجزيئـات العضـوية وغير العضوية من أحماض وقلويات وأملاح، التى تشـكل كـل الكون المعروف لدينا بكل ما فيه.

٢٢. الكائنات الغيبية إذن أشياء غير مادية مثلها مثـل الأفكـار والخيالات والصور، فإذا كانت كذلك، فكيف للأفكـار والخيـالات والصور أن توجد مجـردة و منفصـلة عـن المـادة المكتوبـة والمرسومة عليها، سواء أكانت هذه المادة ورق أو مخ بشـرى أو حجر أو أسطوانة مدمجة أو قرص صـلب، و كيـف للبشـر أن يصدقوا بأن الأفكار والصور والأخيلة يمكن أن توجد بـدون مـخ بشرى يصنعها ويحملها فى خلاياه وأنسجته فى كلمـات وجمـل مكتوبة بجزيئات كيميائية، ويسجلها فـى أوراق أو غيرهـا مـن وسائل التسجيل، و كيف للأفكار والأخيلة والصور أن تسبق المادة فى الوجود، وكيف لها أن تخلقها أو أن تؤثر فيهـا، و مـن أيـن للأفكار والصور والأخيلة تلك القوة والتأثير على المادة، وهـى لا كتلة لها و لا طاقة، و هى لا سائلة و لا صلبة و لا غازية، وهى لا طول لها و لا عرض و لا ارتفاع، و لا لون لها و لا طعم و لا رائحة، فكيف يمكنها أن تحرك الأشياء من حولنا فضـلا عـن أن تخلقها من عدم، وكيف لهم أن يتصوروا امكانية خلق المادة مـن عدم؟.



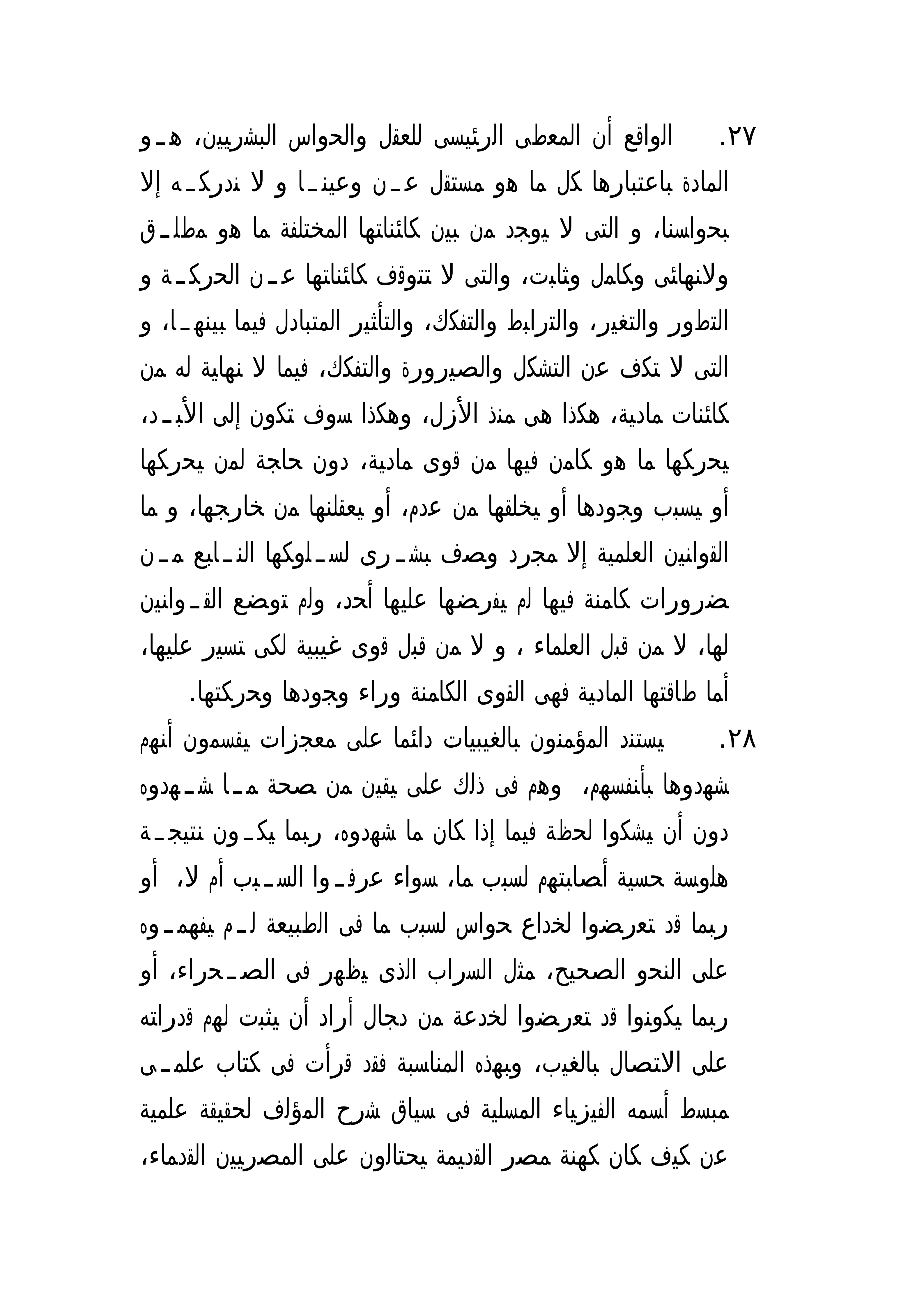
٢٣. كل شيء قابل للقياس، وما هو غير قابل للقياس فهو لا شيء، والكائنات الغيبية غير قابلة للقياس، إذن فهى لا شيء، فكيف يمكن لمن يدعى لنفسه العقل أن يؤمن فى نفس الوقت بوجود شيء هو في حقيقته لا شيء، و ما هو إلا خيال وفكرة وصورة فى الذهن البشرى، شأنه شأن كل شخصيات الروايات الأدبية، و لا فرق هنا بين الآلهة والملائكة والشياطين و الأرواح والأشباح، و لا فرق هنا بين رع و زيوس وا وبراهما، و لا بين الغول والعنقاء وإبليس.

٢٤. يتوهم البشر المؤمنون بالغيبيات، و جود مادى ملموس لتلك الكائنات أحيانا، يرونه ويسمعونه، أو يتوهمون أن لها تأثير مادى محسوس أحيانا أخرى من تحريك للأشياء والتأثير فيها، وما هذه الأوهام إلا نتيجة نشاط كهروكيميائي فى أمخاخهم مثلها مثل الأحلام، و ما هذا الوجود وذاك التأثير إلا هلاوسة وضلالات سمعية وبصرية، تحدث لهم فى النوم أو فى اليقظة، فيظنون أنها حقيقة. وتتزايد لديهم تلك الأنشطة الكهروكيميائية فى المخ نتيجة عدة عوامل تؤثر منفردة أو تتداخل مجتمعة، منها الأمراض النفسية والعقلية والعصبية المختلفة، و الحالات الشديدة من الجوع و العطش والخوف والقلق، وتناول الخمور والمخدرات، وبعض الأدوية المؤثرة نفسيا وعقليا، وممارسة الرقص السريع مع التعرض لسماع الموسيقى العنيفة أو الرتيبة لفترات طويلة، والتأمل الطويل مع ممارسة التنفس العميق المنتظم لفترة طويلة، و الممارسة المكثفة للطقوس الدينية المختلفة، والتفسير الخطأ لما يرونه ظواهر طبيعة كالسراب، و بعض حالات الصرع، وعند


الإصابة بهستريا جماعية أو فردية، والخضوع للإيحاء والخداع البصرى والسمعى، و تلك الهلوسة والضلالات الحسية ما هى إلا تجارب ذاتية فردية لا تنبأ عن أى حقيقة ما، وما هى إلا مجرد نشاط كهروكيميائى فى المخ البشرى، الذى من الممكن أن يحدث للأفراد والجماعات، ملحدين أو مؤمنين، بشرط أن يكون لديهم القابلية للإيحاء و الحساسية المفرطة، وأن يتميزوا بالخيال الواسع، مع توافر إرادة الاعتقاد لديهم بصحة تلك الهلوسة.

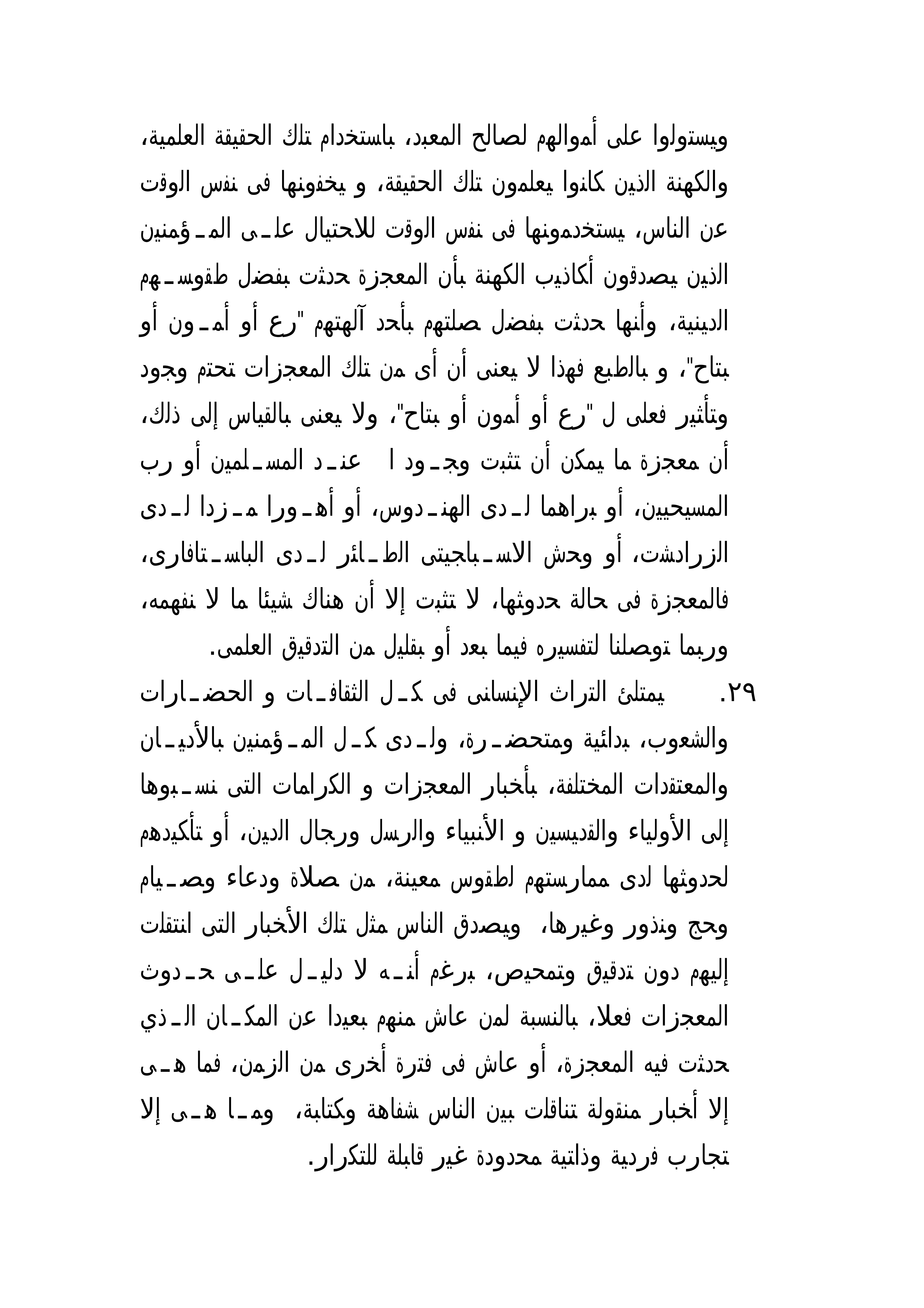
٢٥. الكلام عن الوجود الروحى غير المادي منفصلا ومستقلا عن المخ البشرى الذى ينتجه ويحمله، هو الكلام عن العدم و اللاشيء. فكل تلك الكائنات الغيبية التى أبدعها المخ البشرى، ما هى إلا أشياء وهمية لا وجود لها خارج المخ البشرى، لأنها لا تخضع لنطاق المادة و لا قوانينها، ولن يمكنا فى يوم من الأيام إدراكها بحواسنا،لأنه ليس لديها من الخواص ما يؤثر على الحواس من صوت ولون وحجم ورائحة وطعم وحرارة، بعكس ما لا نعرفه حتى الآن من أسرار الوجود المادى نظرا لقصور وسائلنا وحواسنا، إلا إن امكانية إدراكها مستقبلا بتطور قدراتنا على المعرفة، ينفى عنها صفة الغيبية.

٢٦. المؤمنون بالغيبيات ينطلقون فى فهمهم للواقع والحقيقة من المثل والأفكار والصور والخيال، و يستندون على الافتراضات العقلية المسبقة، ويؤمنون بأن البرهان العقلى أهم و أقوى من حقائق الواقع، ولكن الحقيقة لا يمكن أن يدركها البشر إلا من الواقع المادى الملموس نفسه، وكل ما لا يتفق و حقائق هذا الواقع المادى يمكن اعتباره مجرد أفكار غير مثبتة.

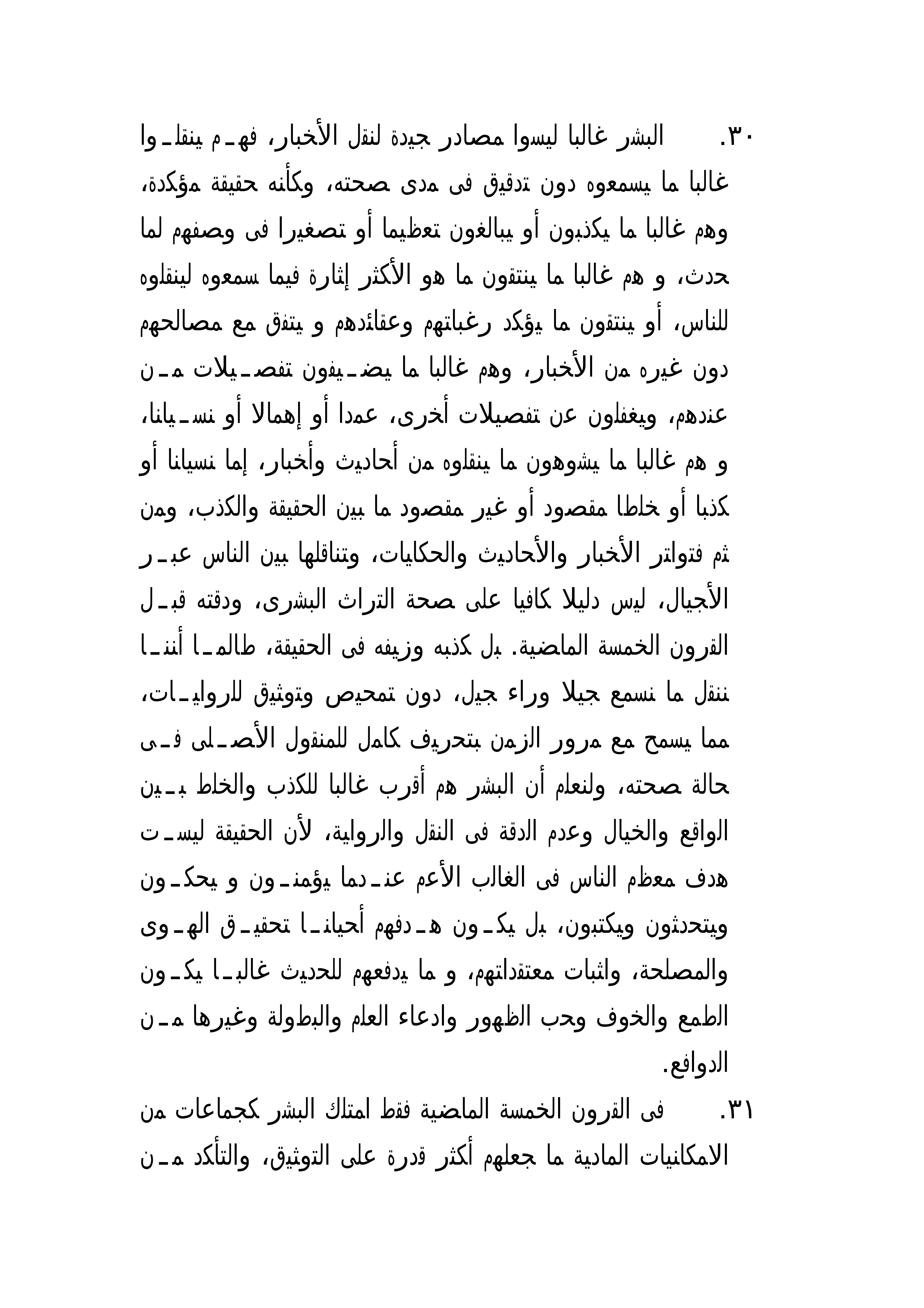


٢٧. الواقع أن المعطى الرئيسى للعقل والحواس البشريين، هو المادة باعتبارها كل ما هو مستقل عنا وعينا و لا ندركه إلا بحواسنا، و التى لا يوجد من بين كائناتها المختلفة ما هو مطلق ولانهائى وكامل وثابت، والتى لا تتوقف كائناتها عن الحركة و التطور والتغير، والترابط والتفكك، والتأثير المتبادل فيما بينها، و التى لا تكف عن التشكل والصيرورة والتفكك، فيما لا نهاية له من كائنات مادية، هكذا هى منذ الأزل، وهكذا سوف تكون إلى الأبد، يحركها ما هو كامن فيها من قوى مادية، دون حاجة لمن يحركها أو يسبب وجودها أو يخلقها من عدم، أو يعقلنها من خارجها، و ما القوانين العلمية إلا مجرد وصف بشرى لسلوكها النابع من ضرورات كامنة فيها لم يفرضها عليها أحد، ولم توضع القوانين لها، لا من قبل العلماء ، و لا من قبل قوى غيبية لكى تسير عليها، أما طاقتها المادية فهى القوى الكامنة وراء وجودها وحركتها.

٢٨. يستند المؤمنون بالغيبيات دائما على معجزات يقسمون أنهم شهدوها بأنفسهم، وهم فى ذلك على يقين من صحة ما شهدوه دون أن يشكوا لحظة فيما إذا كان ما شهدوه، ربما يكون نتيجة هلوسة حسية أصابتهم لسبب ما، سواء عرفوا السبب أم لا، أو ربما قد تعرضوا لخداع حواس لسبب ما فى الطبيعة لم يفهموه على النحو الصحيح، مثل السراب الذى يظهر فى الصحراء، أو ربما يكونوا قد تعرضوا لخدعة من دجال أراد أن يثبت لهم قدراته على الاتصال بالغيب، وبهذه المناسبة فقد قرأت فى كتاب علمى مبسط أسمه الفيزياء المسلية فى سياق شرح المؤلف لحقيقة علمية عن كيف كان كهنة مصر القديمة يحتالون على المصريين القدماء،

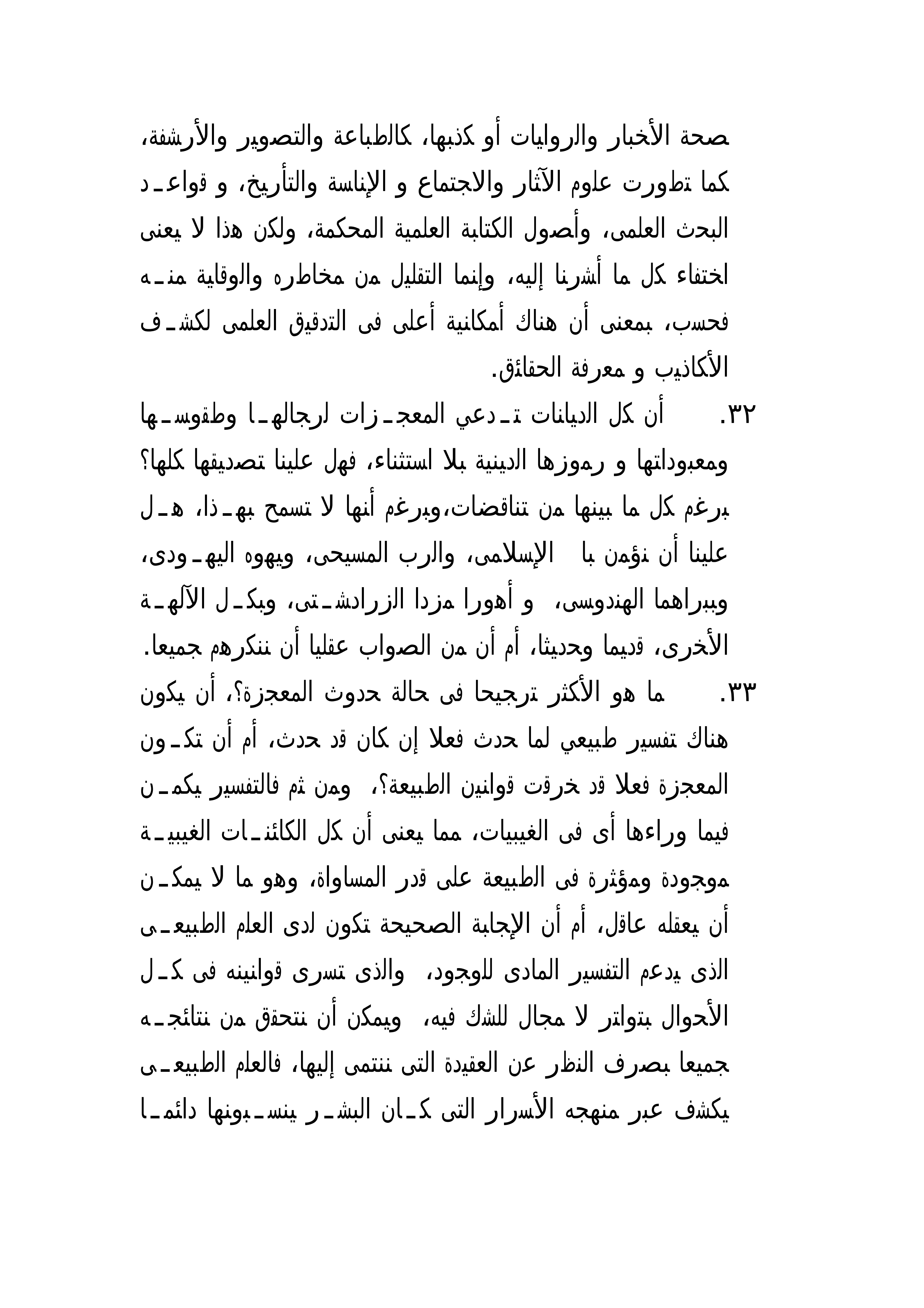

ويستولوا على أموالهم لصالح المعبد، باستخدام تلك الحقيقة العلمية، والكهنة الذين كانوا يعلمون تلك الحقيقة، و يخفونها فى نفس الوقت عن الناس، يستخدمونها فى نفس الوقت للاحتيال علـى المـؤمنين الذين يصدقون أكاذيب الكهنة بأن المعجزة حدثت بفضل طقوسـهم الدينية، وأنها حدثت بفضل صلتهم بأحد آلهتهم "رع أو أمـون أو بتاح"، و بالطبع فهذا لا يعنى أن أى من تلك المعجزات تحتم وجود وتأثير فعلى ل "رع أو أمون أو بتاح"، ولا يعنى بالقياس إلى ذلك، أن معجزة ما يمكن أن تثبت وجـود ا عنـد المسـلمين أو رب المسيحيين، أو براهما لـدى الهنـدوس، أو أهـورا مـزدا لـدى الزرادشت، أو وحش الاسـباجيتى الطـائر لـدى الباسـتافارى، فالمعجزة فى حالة حدوثها، لا تثبت إلا أن هناك شيئا ما لا نفهمه، وربما توصلنا لتفسيره فيما بعد أو بقليل من التدقيق العلمى.

٢٩. يمتلئ التراث الإنسانى فى كـل الثقافـات و الحضـارات والشعوب، بدائية ومتحضـرة، ولـدى كـل المـؤمنين بالأديـان والمعتقدات المختلفة، بأخبار المعجزات و الكرامات التى نسـبوها إلى الأولياء والقديسين و الأنبياء والرسل ورجال الدين، أو تأكيدهم لحدوثها لدى ممارستهم لطقوس معينة، من صلاة ودعاء وصـيام وحج ونذور وغيرها، ويصدق الناس مثل تلك الأخبار التى انتقلت إليهم دون تدقيق وتمحيص، برغم أنـه لا دليـل علـى حـدوث المعجزات فعلا، بالنسبة لمن عاش منهم بعيدا عن المكـان الـذي حدثت فيه المعجزة، أو عاش فى فترة أخرى من الزمن، فما هـى إلا أخبار منقولة تناقلت بين الناس شفاهة وكتابة، ومـا هـى إلا تجارب فردية وذاتية محدودة غير قابلة للتكرار.



٣٠.	البشر غالبا ليسوا مصادر جيدة لنقل الأخبار، فهم ينقلوا غالبا ما يسمعوه دون تدقيق فى مدى صحته، وكأنه حقيقة مؤكدة، وهم غالبا ما يكذبون أو يبالغون تعظيما أو تصغيرا فى وصفهم لما حدث، و هم غالبا ما ينتقون ما هو الأكثر إثارة فيما سمعوه لينقلوه للناس، أو ينتقون ما يؤكد رغباتهم وعقائدهم و يتفق مع مصالحهم دون غيره من الأخبار، وهم غالبا ما يضيفون تفصيلات من عندهم، ويغفلون عن تفصيلات أخرى، عمدا أو إهمالا أو نسيانا، و هم غالبا ما يشوهون ما ينقلوه من أحاديث وأخبار، إما نسيانا أو كذبا أو خلطا مقصود أو غير مقصود ما بين الحقيقة والكذب، ومن ثم فتواتر الأخبار والأحاديث والحكايات، وتناقلها بين الناس عبر الأجيال، ليس دليلا كافيا على صحة التراث البشرى، ودقته قبل القرون الخمسة الماضية. بل كذبه وزيفه فى الحقيقة، طالما أننا ننقل ما نسمع جيلا وراء جيل، دون تمحيص وتوثيق للروايات، مما يسمح مع مرور الزمن بتحريف كامل للمنقول الأصلى فى حالة صحته، ولنعلم أن البشر هم أقرب غالبا للكذب والخلط بين الواقع والخيال وعدم الدقة فى النقل والرواية، لأن الحقيقة ليست هدف معظم الناس فى الغالب الأعم عندما يؤمنون و يحكون ويتحدثون ويكتبون، بل يكون هدفهم أحيانا تحقيق الهوى والمصلحة، واثبات معتقداتهم، و ما يدفعهم للحديث غالبا يكون الطمع والخوف وحب الظهور وادعاء العلم والبطولة وغيرها من الدوافع.

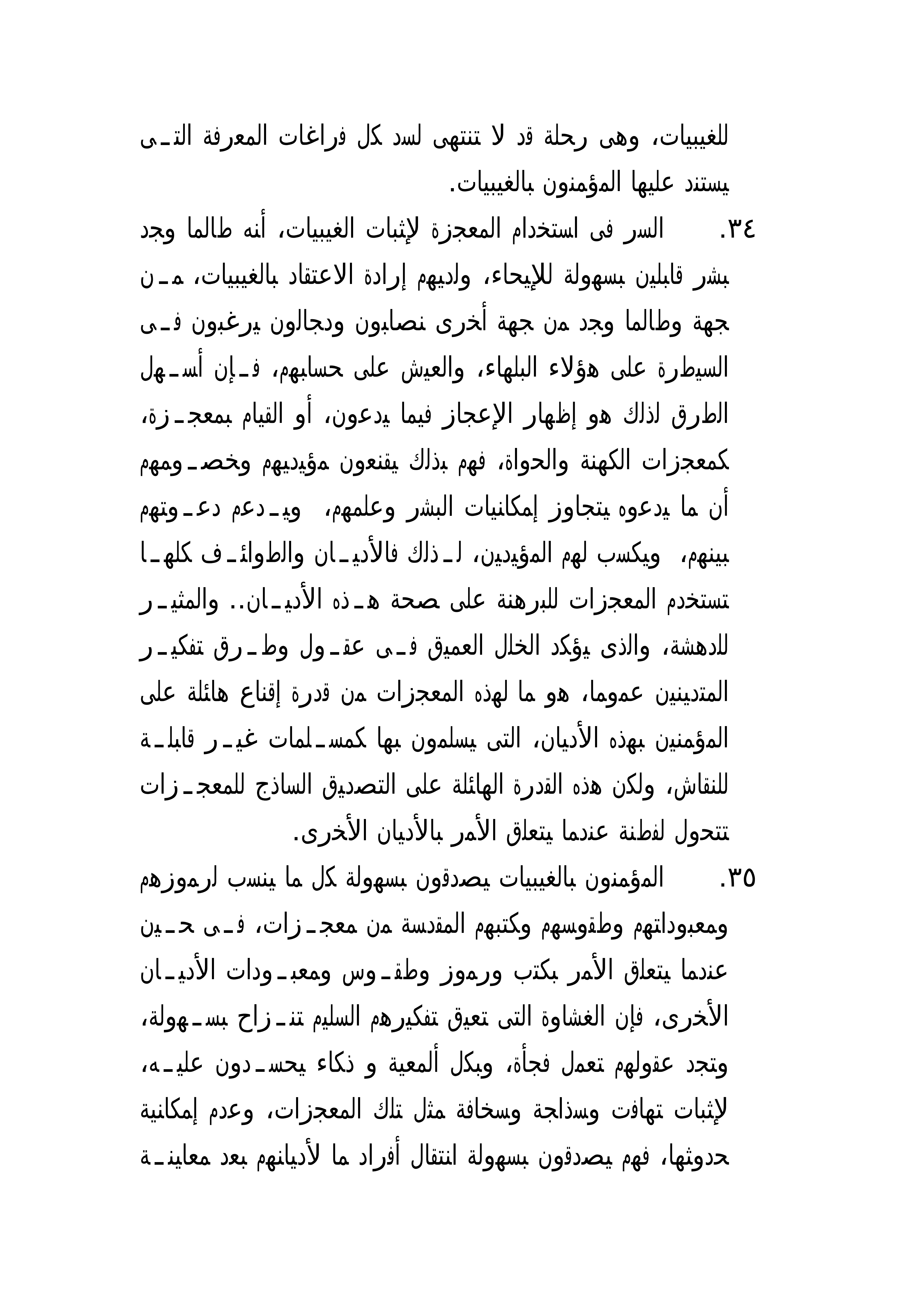
٣١.	فى القرون الخمسة الماضية فقط امتلك البشر كجماعات من الامكانيات المادية ما جعلهم أكثر قدرة على التوثيق، والتأكد من



صحة الأخبار والروايات أو كذبها، كالطباعة والتصوير والأرشفة، كما تطورت علوم الآثار والاجتماع و الإناسة والتأريخ، و قواعد البحث العلمى، وأصول الكتابة العلمية المحكمة، ولكن هذا لا يعنى اختفاء كل ما أشرنا إليه، وإنما التقليل من مخاطره والوقاية منه فحسب، بمعنى أن هناك أمكانية أعلى فى التدقيق العلمى لكشف الأكاذيب و معرفة الحقائق.

٣٢. أن كل الديانات تدعي المعجزات لرجالها وطقوسها ومعبوداتها و رموزها الدينية بلا استثناء، فهل علينا تصديقها كلها؟ برغم كل ما بينها من تناقضات،وبرغم أنها لا تسمح بهذا، هل علينا أن نؤمن با الإسلامى، والرب المسيحى، ويهوه اليهودى، وببراهما الهندوسى، و أهورا مزدا الزرادشتى، وبكل الآلهة الأخرى، قديما وحديثا، أم أن من الصواب عقليا أن ننكرهم جميعا.

٣٣. ما هو الأكثر ترجيحا فى حالة حدوث المعجزة؟، أن يكون هناك تفسير طبيعي لما حدث فعلا إن كان قد حدث، أم أن تكون المعجزة فعلا قد خرقت قوانين الطبيعة؟، ومن ثم فالتفسير يكمن فيما وراءها أى فى الغيبيات، مما يعنى أن كل الكائنات الغيبية موجودة ومؤثرة فى الطبيعة على قدر المساواة، وهو ما لا يمكن أن يعقله عاقل، أم أن الإجابة الصحيحة تكون لدى العلم الطبيعى الذى يدعم التفسير المادى للوجود، والذى تسرى قوانينه فى كل الأحوال بتواتر لا مجال للشك فيه، ويمكن أن نتحقق من نتائجه جميعا بصرف النظر عن العقيدة التى ننتمى إليها، فالعلم الطبيعى يكشف عبر منهجه الأسرار التى كان البشر ينسبونها دائما



للغيبيات، وهى رحلة قد لا تنتهى لسد كل فراغات المعرفة التى يستند عليها المؤمنون بالغيبيات.

٣٤. السر فى استخدام المعجزة لإثبات الغيبيات، أنه طالما وجد بشر قابلين بسهولة للإيحاء، ولديهم إرادة الاعتقاد بالغيبيات، من جهة وطالما وجد من جهة أخرى نصابون ودجالون يرغبون فى السيطرة على هؤلاء البلهاء، والعيش على حسابهم، فإن أسهل الطرق لذلك هو إظهار الإعجاز فيما يدعون، أو القيام بمعجزة، كمعجزات الكهنة والحواة، فهم بذلك يقنعون مؤيديهم وخصومهم أن ما يدعوه يتجاوز إمكانيات البشر وعلمهم، ويدعم دعوتهم بينهم، ويكسب لهم المؤيدين، لذلك فالأديان والطوائف كلها تستخدم المعجزات للبرهنة على صحة هذه الأديان.. والمثير للدهشة، والذى يؤكد الخلل العميق فى عقول وطرق تفكير المتدينين عموما، هو ما لهذه المعجزات من قدرة إقناع هائلة على المؤمنين بهذه الأديان، التى يسلمون بها كمسلمات غير قابلة للنقاش، ولكن هذه القدرة الهائلة على التصديق الساذج للمعجزات تتحول لفطنة عندما يتعلق الأمر بالأديان الأخرى.

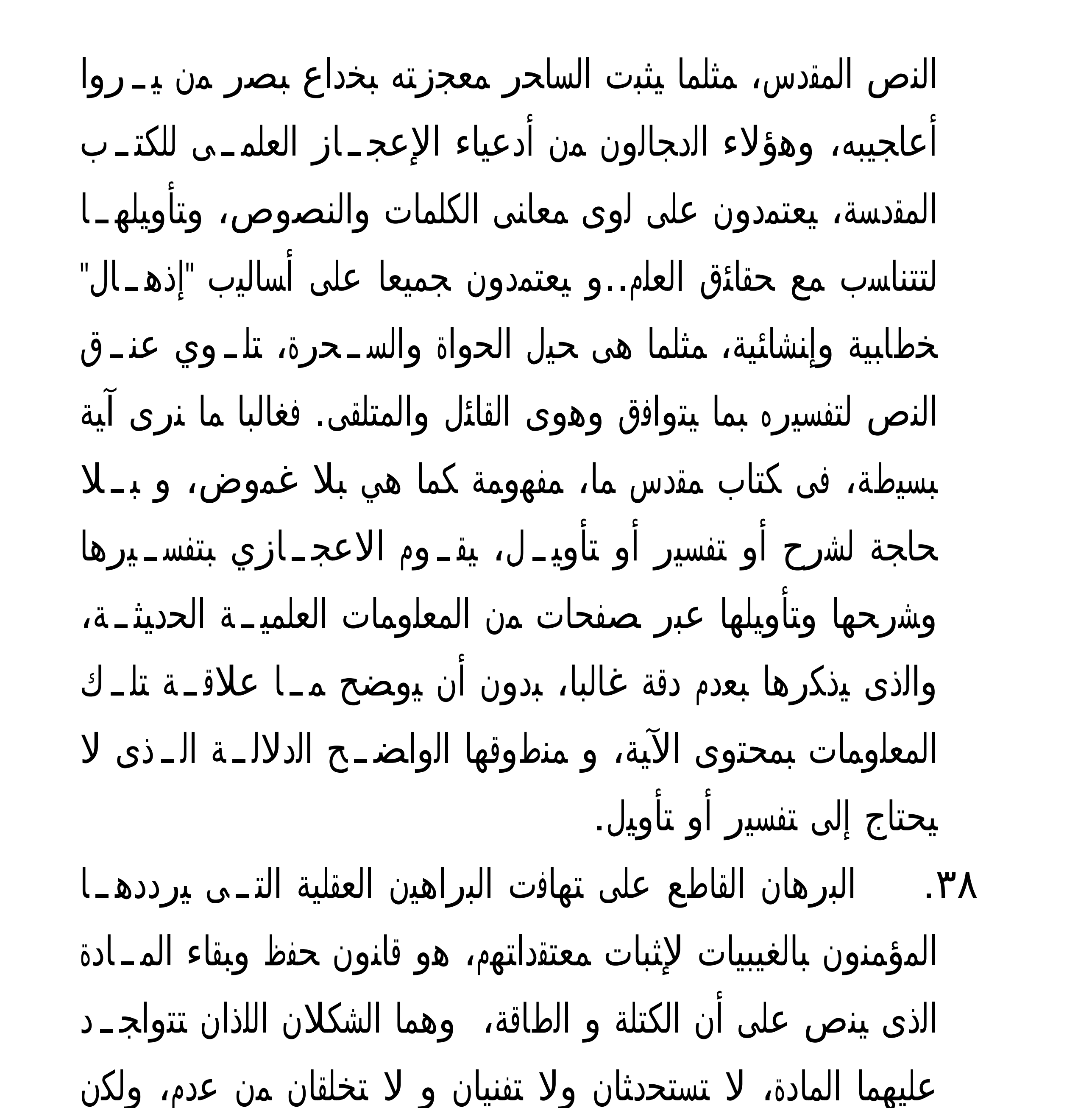
٣٥. المؤمنون بالغيبيات يصدقون بسهولة كل ما ينسب لرموزهم ومعبوداتهم وطقوسهم وكتبهم المقدسة من معجزات، فى حين عندما يتعلق الأمر بكتب ورموز وطقوس ومعبودات الأديان الأخرى، فإن الغشاوة التى تعيق تفكيرهم السليم تنزاح بسهولة، وتجد عقولهم تعمل فجأة، وبكل ألمعية و ذكاء يحسدون عليه، لإثبات تهافت وسذاجة وسخافة مثل تلك المعجزات، وعدم إمكانية حدوثها، فهم يصدقون بسهولة انتقال أفراد ما لأديانهم بعد معاينة

معجزات منسوبة لدينهم، فى حين يشككون فى ارتداد أفـراد مـن دينهم للدين الآخر بعد معاينته لمعجزة منسـوبة للـدين الآخـر، وينسبون هذه الردة لأسباب أخرى، و تجدهم و يا للهول غالبا ما يكونوا أكثر ذكاء وعقلانية عند نقدهم للدين الآخـر، فـى حـين يكونون فى قمة غباءهم و لا عقلانيتهم عندما يدافعون عن ديـنهم. فهم على الأغلب عندما يتم نقد دينهم سوف يبحثون عن "الخدعة"، أو عن "الصدفة"، أو عن "التبرير العلمي"، أو أي شيء آخر يحبط ذلك الزعم الذى يهز قناعتهم وإيمانهم الغيبى، وفي أفضل الأحوال قد يبقى لديهم شعور بالدهشة من أشياء لـم يسـتطيعوا تفسـيرها تزلزل هذا الإيمان.

٣٦. هناك تيار واسع يستند فى إثباته للغيبيات و وجـود العـالم الروحانى اللا مادى على الظواهر الطبيعية غير المفهومـة التـي يمكن وصفها بالمعجزات (مثل تحريك الأشياء عن بعد، أو تـوارد الخواطر). ولكن الدراسات العلمية الجادة لم تثبت أصلا وجـود هذه الظواهر التى يدعيها أصحابها لأنفسهم، والتى هى غالبا وليدة المصادفة، أو وليدة نوع من الحيل والخداع البصرى، الذى ما كان له أن يصمد تحت شروط تجريبية دقيقة، أي تحت المراقبة العلمية المنضبطة.

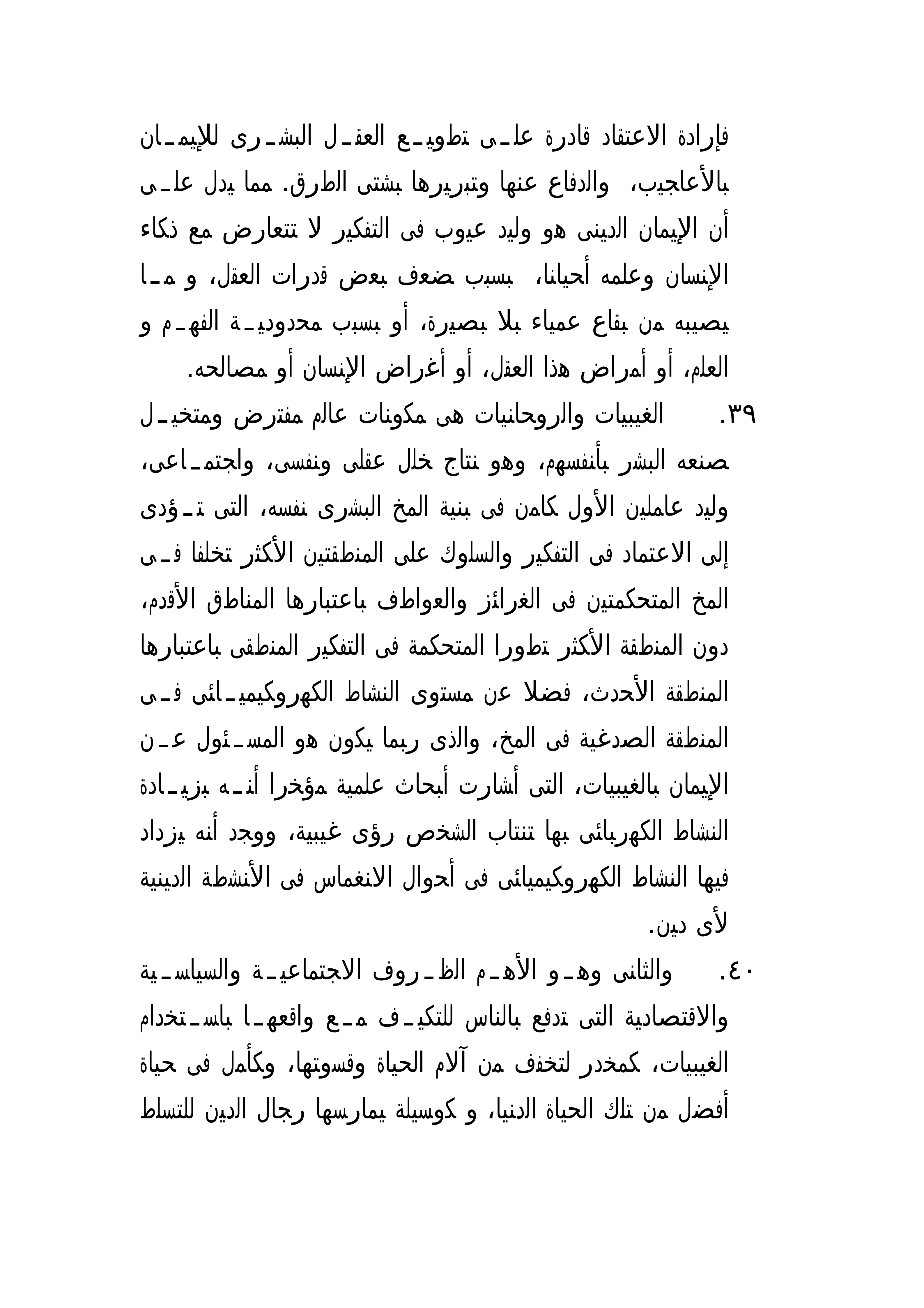
٣٧. تطبق نفس اللعبة لخداع جمهور المـؤمنين، والمسـتعدين للإيمان، فى إثبات الإعجاز العلمى لنصوص الكتب المقدسة لشتى الأديان، برغم كل مخالفات نصوص كل تلك الكتب الواضحة لكل ذى عينين وعقل لحقائق العلم النهائية، والأمر ليس كما هو شـائع فى المنطقة الإسلامية، يقتصر على القرآن والسنة فحسب، بـل أن

هناك من اليهود من يؤكدون اعجاز العهد القديم، وهناك مسيحيين يثبتون اعجاز العهد الجديد، ولم يترك الهندوس الفرصة، فتـراهم ينسبون إعجازا علميا لنصوص الفيدا و الأوبانشـيد، والبوذيـون يربطون بين عقيدتهم الأصلية وحقائق العلم الحديث، مما يؤكد لـو صدقناهم جميعا أن كل هذه الكتب ذات مصادر غيبية لا بشـرية، وإن مصدر كل تلك الكتب هو كائن غيبى واحد، إلا أنه فيما يبـدو مصاب بمرض تعدد الشخصيات، يظهر مرة باعتباره ا ، ومـرة أخرى باعتباره براهما وهذا احتمال، أما الاحتمال الآخر فهـو أن كل من ا ويهوا وبراهما وأهورا مزدا موجودون جميعا بجـوار بعضهم البعض، وقد أرسل كلا منهم رسالته الخاصة لمن يحب من البشر، وعبر رسل اختارهم بنفسه لحمل رسالته، و إلـى حيـث يسكنون، فيبدو أن ا يحب سكان الشرق الأوسـط لسـبب مـا، ويفضلهم عن سواهم من البشر، وقد أرسل إليهم العديد من الكتـب المتناقضة، وسلاسل طويلة من الأنبياء والرسل، أما براهمـا فقـد اقتصر حبه وتفضيله على سكان الهند وما حولها، أما أهور مازدا فقد أحب الفرس واصطفى لهم زرادشت، وعلى ما يبدو فإن بـين كل هؤلاء الآلهة تنافس، فكل منهم ينكـر وجـود الآخـرين فـى نصوصه المقدسة، وبما أن احتمال وجودهم جميعا بجوار بعضهم البعض لا يعقل، فالاحتمال الأدق أنهم جميعا غير موجودين إلا فى عقول المؤمنين بهم، و إن الاستنتاج الأكثر موضـوعية هـو أن مصدر الخدعة فى اثبات الإعجاز العلمى للكتـب المقدسـة، هـو تلاعب باللغة وعواطف الناس القابلة لتصديق ما يثبت عقائـدهم، والتعامى عن ما يفندها من خرافات لا تتفق وحقائق العلم فى نفس



النص المقدس، مثلما يثبت الساحر معجزته بخداع بصر من يـروا أعاجيبه، وهؤلاء الدجالون من أدعياء الإعجـاز العلمـى للكتـب المقدسة، يعتمدون على لوى معانى الكلمات والنصوص، وتأويلهـا لتتناسب مع حقائق العلم..و يعتمدون جميعا على أساليب "إذهـال" خطابية وإنشائية، مثلما هى حيل الحواة والسـحرة، تلـوي عنـق النص لتفسيره بما يتوافق وهوى القائل والمتلقى. فغالبا ما نرى آية بسيطة، فى كتاب مقدس ما، مفهومة كما هي بلا غموض، و بـلا حاجة لشرح أو تفسير أو تأويـل، يقـوم الاعجـازي بتفسـيرها وشرحها وتأويلها عبر صفحات من المعلومات العلميـة الحديثـة، والذى يذكرها بعدم دقة غالبا، بدون أن يوضح مـا علاقـة تلـك المعلومات بمحتوى الآية، و منطوقها الواضـح الدلالـة الـذى لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل.

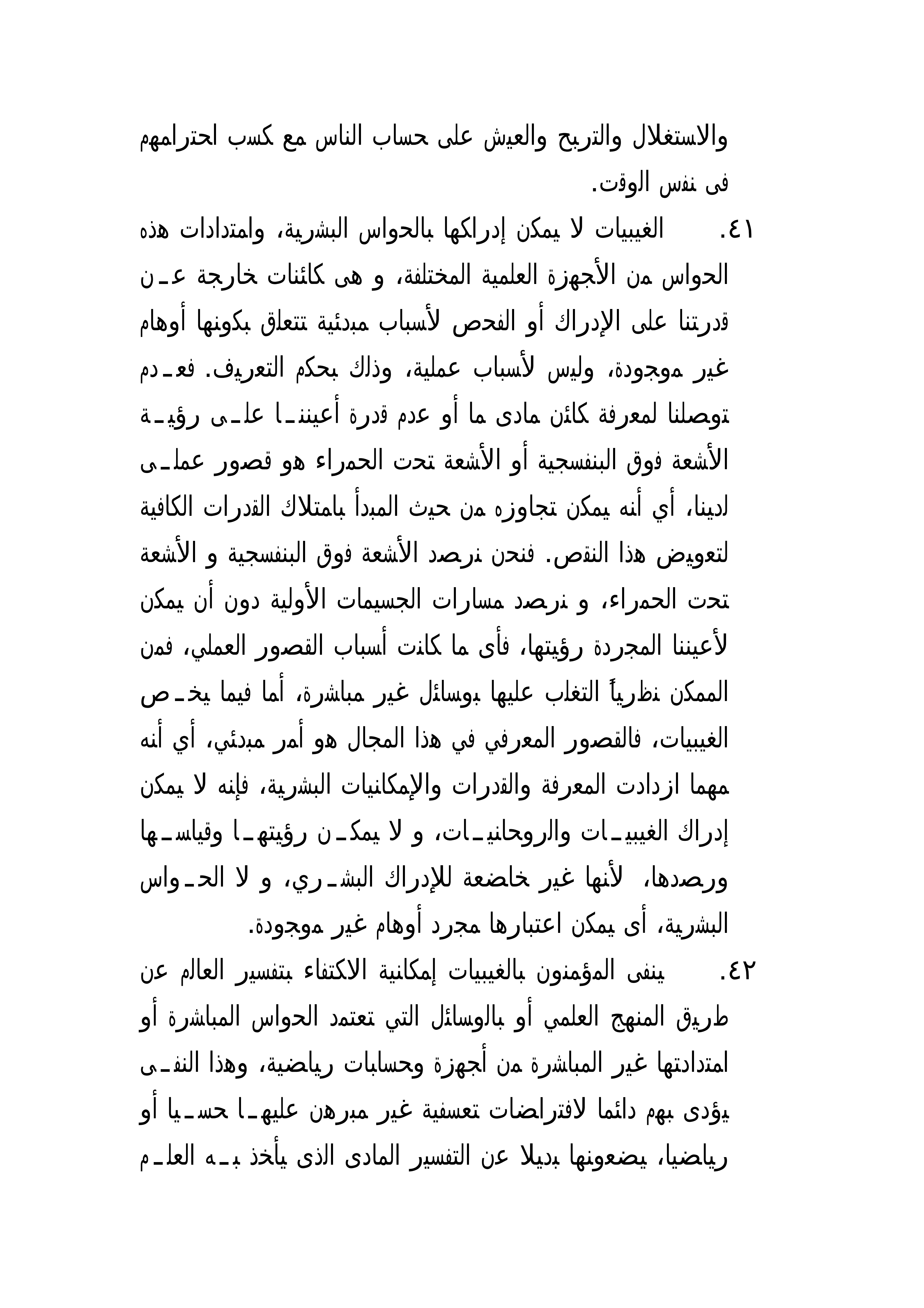
٣٨. البرهان القاطع على تهافت البراهين العقلية التـى يرددهـا المؤمنون بالغيبيات لإثبات معتقداتهم، هو قانون حفظ وبقاء المـادة الذى ينص على أن الكتلة و الطاقة، وهما الشكلان اللذان تتواجـد عليهما المادة، لا تستحدثان ولا تفنيان و لا تخلقان من عدم، ولكن كل منهما يمكن أن يتغير من حالة إلى أخرى، فتتحول الكتلة إلـى طاقة، والطاقة إلى كتلة، أى أنهما خاصيتان متبادلتان. والسـؤال كم من البشر وصل لعلمهم هذه الحقيقة المؤكدة، ومازالوا يؤمنون بالغيبيات مبررين ذلك بلزومية خالق المادة من عدم، و ضرورة أن هناك سبب الأول غيبى لوجودها، و بديهية أن يكون هناك محرك أول لها ؟ والإجابة هى ملايين البشـر مـن شـتى المسـتويات التعليمية، مما يشى بأن الإيمان بالغيبيات، لن تحسمه المجـادلات،



فإرادة الاعتقاد قادرة على تطويع العقل البشرى للإيمان بالأعاجيب، والدفاع عنها وتبريرها بشتى الطرق. مما يدل على أن الإيمان الدينى هو وليد عيوب فى التفكير لا تتعارض مع ذكاء الإنسان وعلمه أحيانا، بسبب ضعف بعض قدرات العقل، و ما يصيبه من بقاع عمياء بلا بصيرة، أو بسبب محدودية الفهم و العلم، أو أمراض هذا العقل، أو أغراض الإنسان أو مصالحه.

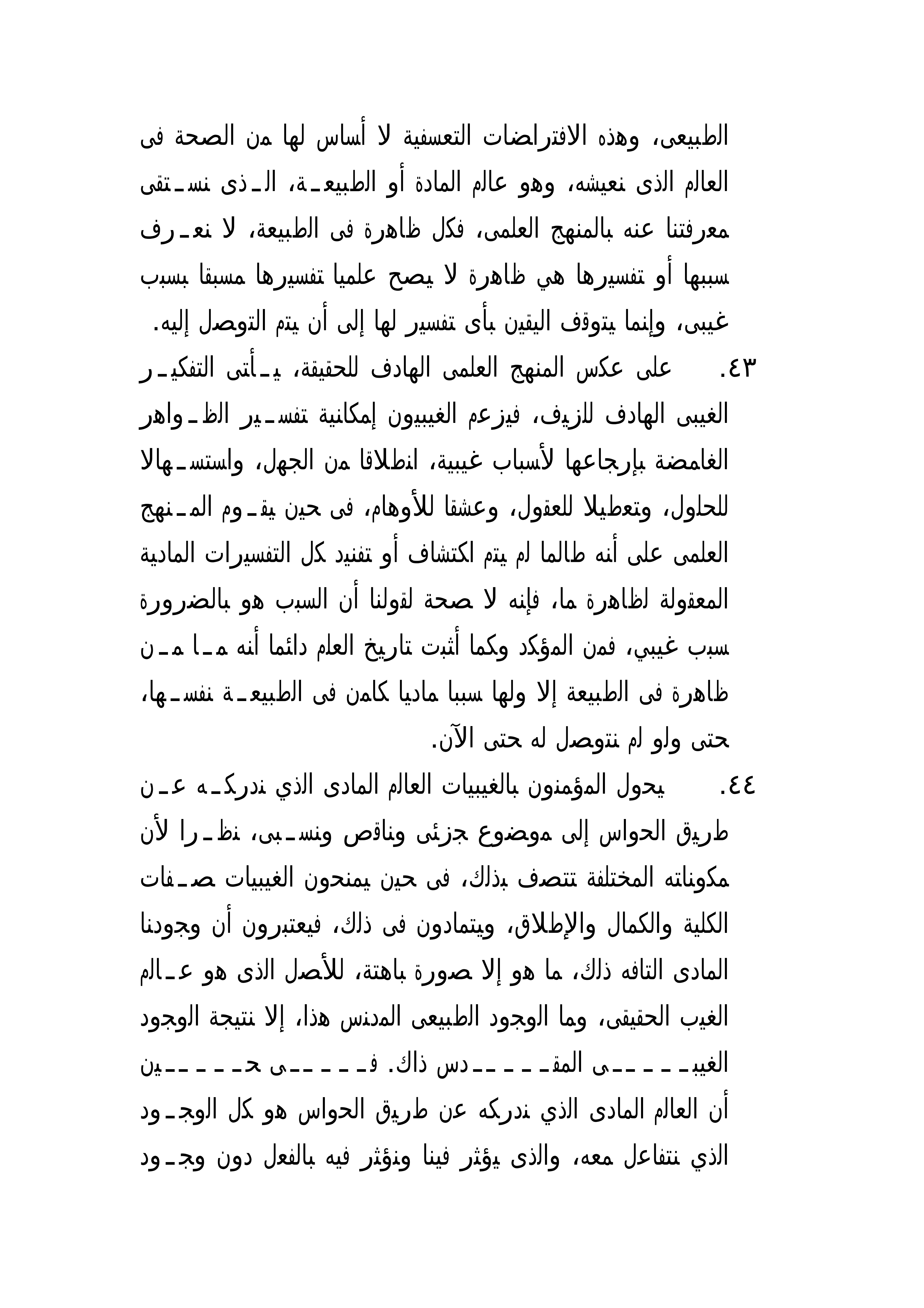
٣٩. الغيبيات والروحانيات هى مكونات عالم مفترض ومتخيل صنعه البشر بأنفسهم، وهو نتاج خلل عقلى ونفسى، واجتماعى، وليد عاملين الأول كامن فى بنية المخ البشرى نفسه، التى تؤدى إلى الاعتماد فى التفكير والسلوك على المنطقتين الأكثر تخلفا فى المخ المتحكمتين فى الغرائز والعواطف باعتبارها المناطق الأقدم، دون المنطقة الأكثر تطورا المتحكمة فى التفكير المنطقى باعتبارها المنطقة الأحدث، فضلا عن مستوى النشاط الكهروكيميائى فى المنطقة الصدغية فى المخ، والذى ربما يكون هو المسئول عن الإيمان بالغيبيات، التى أشارت أبحاث علمية مؤخرا أنه بزيادة النشاط الكهربائى بها تنتاب الشخص رؤى غيبية، ووجد أنه يزداد فيها النشاط الكهروكيميائى فى أحوال الانغماس فى الأنشطة الدينية لأى دين.

٤٠. والثانى وهو الأهم الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تدفع بالناس للتكيف مع واقعها باستخدام الغيبيات، كمخدر لتخفف من آلام الحياة وقسوتها، وكأمل فى حياة أفضل من تلك الحياة الدنيا، و كوسيلة يمارسها رجال الدين للتسلط


والاستغلال والتربح والعيش على حساب الناس مع كسب احترامهم فى نفس الوقت.

٤١. الغيبيات لا يمكن إدراكها بالحواس البشرية، وامتدادات هذه الحواس من الأجهزة العلمية المختلفة، و هى كائنات خارجة عن قدرتنا على الإدراك أو الفحص لأسباب مبدئية تتعلق بكونها أوهام غير موجودة، وليس لأسباب عملية، وذلك بحكم التعريف. فعدم توصلنا لمعرفة كائن مادى ما أو عدم قدرة أعيننا على رؤية الأشعة فوق البنفسجية أو الأشعة تحت الحمراء هو قصور عملى لدينا، أي أنه يمكن تجاوزه من حيث المبدأ بامتلاك القدرات الكافية لتعويض هذا النقص. فنحن نرصد الأشعة فوق البنفسجية و الأشعة تحت الحمراء، و نرصد مسارات الجسيمات الأولية دون أن يمكن لأعيننا المجردة رؤيتها، فأى ما كانت أسباب القصور العملي، فمن الممكن نظرياً التغلب عليها بوسائل غير مباشرة، أما فيما يخص الغيبيات، فالقصور المعرفي في هذا المجال هو أمر مبدئي، أي أنه مهما ازدادت المعرفة والقدرات والإمكانيات البشرية، فإنه لا يمكن إدراك الغيبيات والروحانيات، و لا يمكن رؤيتها وقياسها ورصدها، لأنها غير خاضعة للإدراك البشري، و لا الحواس البشرية، أى يمكن اعتبارها مجرد أوهام غير موجودة.

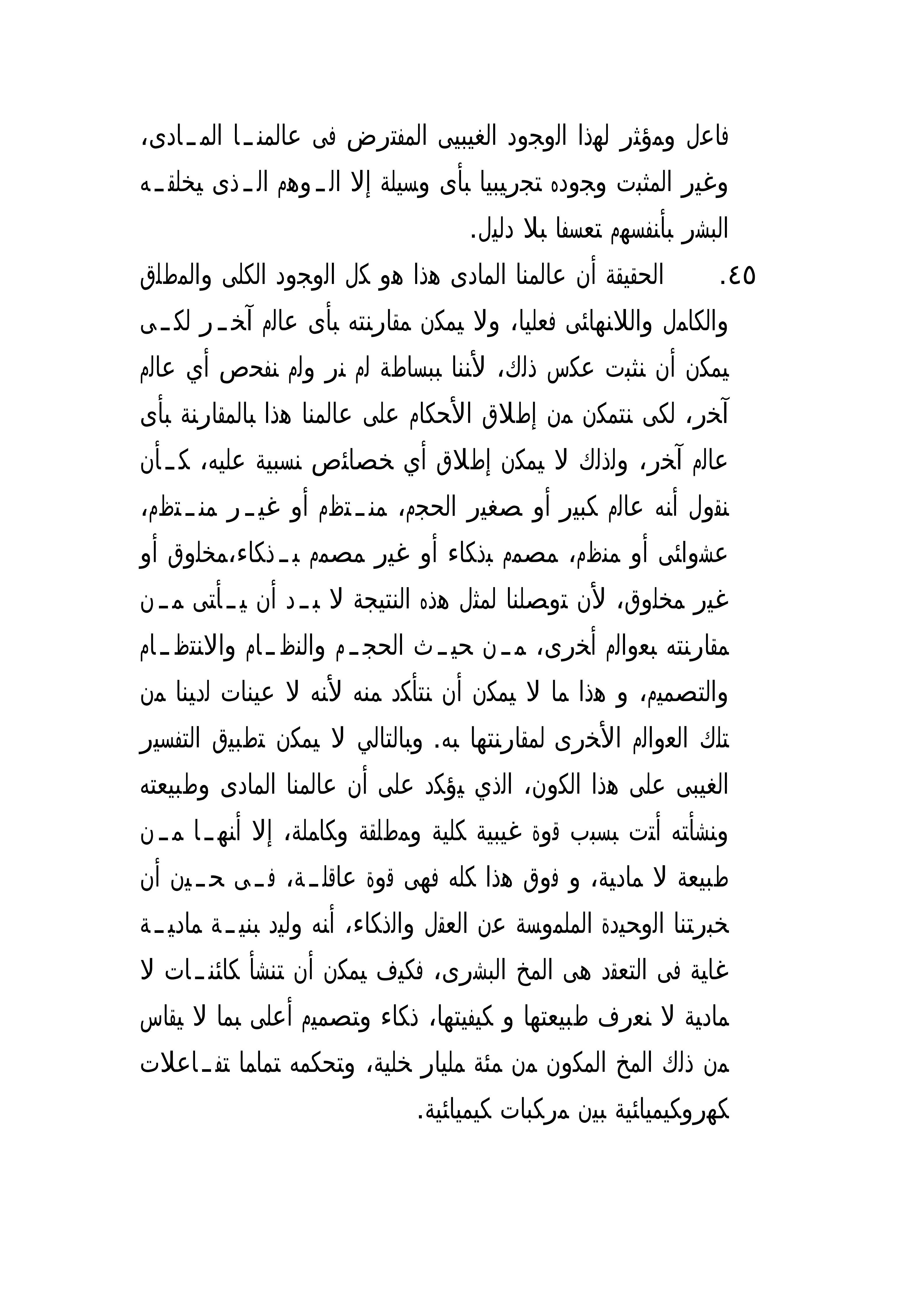
٤٢. ينفى المؤمنون بالغيبيات إمكانية الاكتفاء بتفسير العالم عن طريق المنهج العلمي أو بالوسائل التي تعتمد الحواس المباشرة أو امتدادتها غير المباشرة من أجهزة وحسابات رياضية، وهذا النفى يؤدى بهم دائما لافتراضات تعسفية غير مبرهن عليها حسيا أو رياضيا، يضعونها بديلا عن التفسير المادى الذى يأخذ به العلم



الطبيعى، وهذه الافتراضات التعسفية لا أساس لها من الصحة فى العالم الذى نعيشه، وهو عالم المادة أو الطبيعة، الذى نستقى معرفتنا عنه بالمنهج العلمى، فكل ظاهرة فى الطبيعة، لا نعرف سببها أو تفسيرها هي ظاهرة لا يصح علميا تفسيرها مسبقا بسبب غيبى، وإنما يتوقف اليقين بأى تفسير لها إلى أن يتم التوصل إليه.

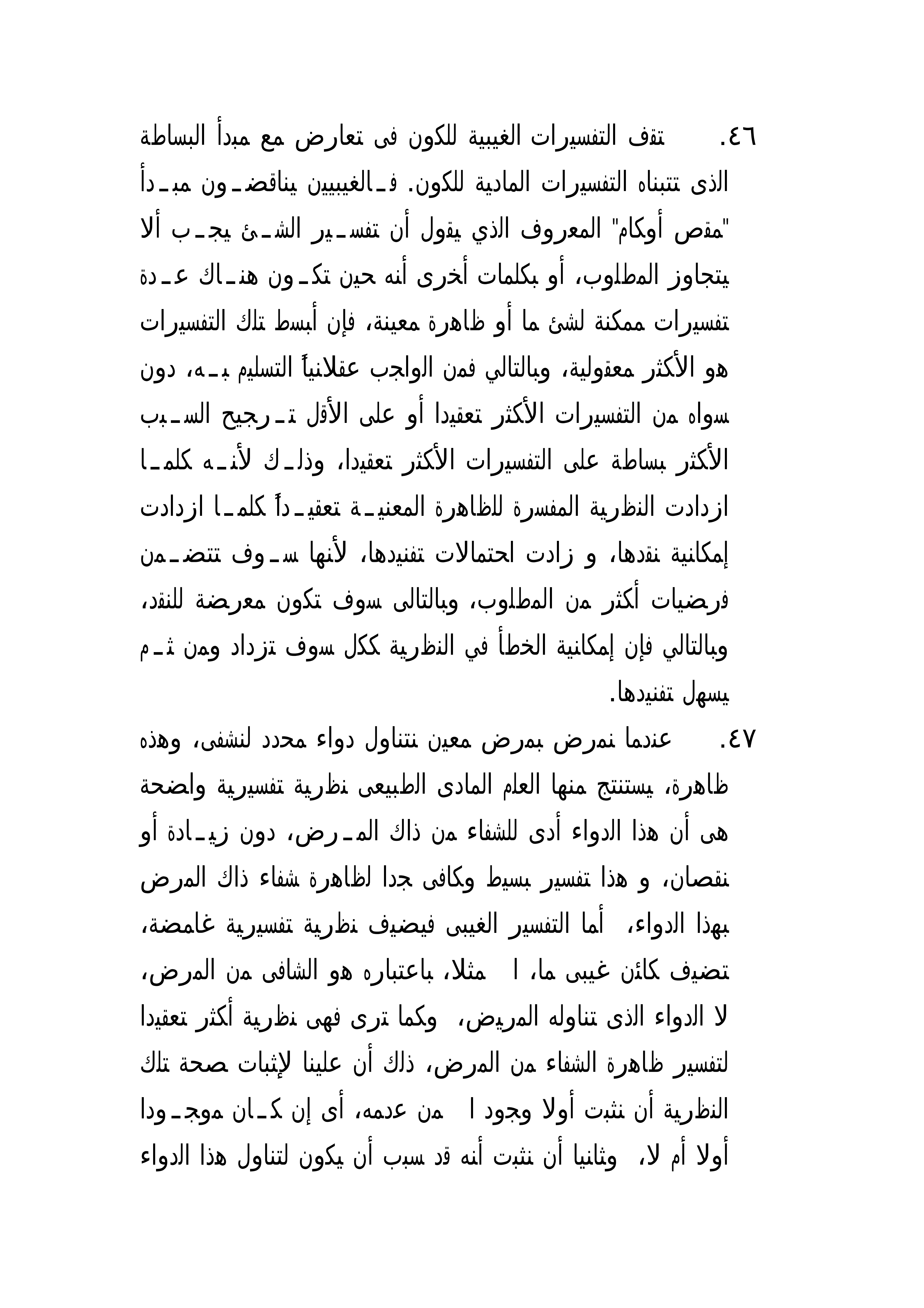
٤٣. على عكس المنهج العلمى الهادف للحقيقة، يأتى التفكير الغيبى الهادف للزيف، فيزعم الغيبيون إمكانية تفسير الظواهر الغامضة بإرجاعها لأسباب غيبية، انطلاقا من الجهل، واستسهالا للحلول، وتعطيلا للعقول، وعشقا للأوهام، فى حين يقوم المنهج العلمى على أنه طالما لم يتم الاكتشاف أو تفنيد كل التفسيرات المادية المعقولة لظاهرة ما، فإنه لا صحة لقولنا أن السبب هو بالضرورة سبب غيبي، فمن المؤكد وكما أثبت تاريخ العلم دائما أنه ما من ظاهرة فى الطبيعة إلا ولها سببا ماديا كامن فى الطبيعة نفسها، حتى ولو لم نتوصل له حتى الآن.

٤٤. يحول المؤمنون بالغيبيات العالم المادى الذي ندركه عن طريق الحواس إلى موضوع جزئى وناقص ونسبى، نظرا لأن مكوناته المختلفة تتصف بذلك، فى حين يمنحون الغيبيات صفات الكلية والكمال والإطلاق، ويتمادون فى ذلك، فيعتبرون أن وجودنا المادى التافه ذلك، ما هو إلا صورة باهتة، للأصل الذى هو عالم الغيب الحقيقى، وما الوجود الطبيعى المدنس هذا، إلا نتيجة الوجود الغيبى المقدس ذاك. فى حين أن العالم المادى الذي ندركه عن طريق الحواس هو كل الوجود الذي نتفاعل معه، والذى يؤثر فينا ونؤثر فيه بالفعل دون وجود



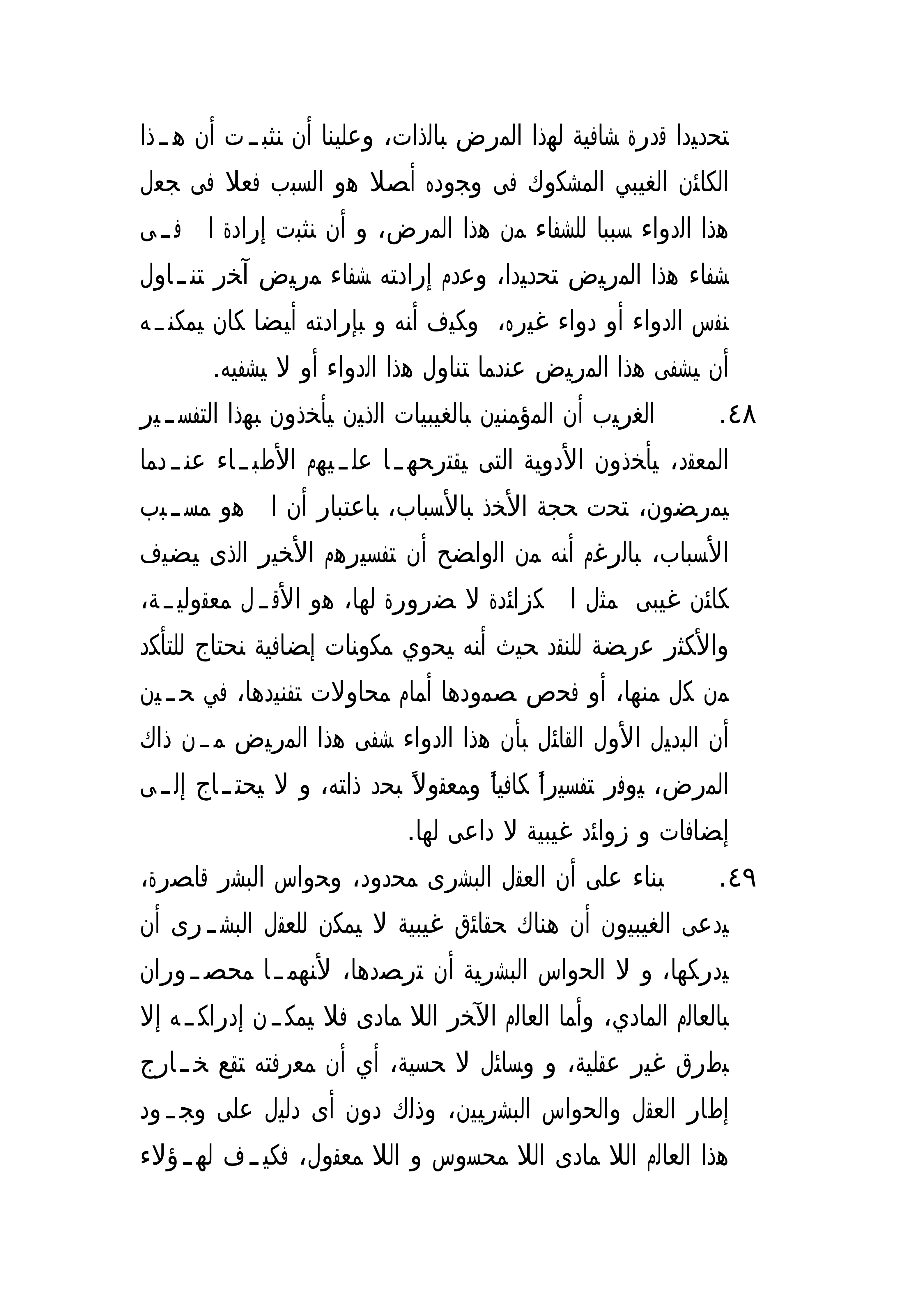
فاعل ومؤثر لهذا الوجود الغيبى المفترض فى عالمنا المادى، وغير المثبت وجوده تجريبيا بأى وسيلة إلا الوهم الذى يخلقه البشر بأنفسهم تعسفا بلا دليل.

٤٥. الحقيقة أن عالمنا المادى هذا هو كل الوجود الكلى والمطلق والكامل واللانهائى فعليا، ولا يمكن مقارنته بأى عالم آخر لكى يمكن أن نثبت عكس ذلك، لأننا ببساطة لم نر ولم نفحص أي عالم آخر، لكى نتمكن من إطلاق الأحكام على عالمنا هذا بالمقارنة بأى عالم آخر، ولذلك لا يمكن إطلاق أي خصائص نسبية عليه، كأن نقول أنه عالم كبير أو صغير الحجم، منتظم أو غير منتظم، عشوائى أو منظم، مصمم بذكاء أو غير مصمم بذكاء،مخلوق أو غير مخلوق، لأن توصلنا لمثل هذه النتيجة لا بد أن يأتى من مقارنته بعوالم أخرى، من حيث الحجم والنظام والانتظام والتصميم، و هذا ما لا يمكن أن نتأكد منه لأنه لا عينات لدينا من تلك العوالم الأخرى لمقارنتها به. وبالتالي لا يمكن تطبيق التفسير الغيبى على هذا الكون، الذي يؤكد على أن عالمنا المادى وطبيعته ونشأته أتت بسبب قوة غيبية كلية ومطلقة وكاملة، إلا أنها من طبيعة لا مادية، و فوق هذا كله فهى قوة عاقلة، فى حين أن خبرتنا الوحيدة الملموسة عن العقل والذكاء، أنه وليد بنية مادية غاية فى التعقد هى المخ البشرى، فكيف يمكن أن تنشأ كائنات لا مادية لا نعرف طبيعتها و كيفيتها، ذكاء وتصميم أعلى بما لا يقاس من ذلك المخ المكون من مئة مليار خلية، وتحكمه تماما تفاعلات كهروكيميائية بين مركبات كيميائية.



٤٦. تقف التفسيرات الغيبية للكون فى تعارض مع مبدأ البساطة الذى تتبناه التفسيرات المادية للكون. فـالغيبيين يناقضـون مبـدأ "مقص أوكام" المعروف الذي يقول أن تفسـير الشـئ يجـب ألا يتجاوز المطلوب، أو بكلمات أخرى أنه حين تكـون هنـاك عـدة تفسيرات ممكنة لشئ ما أو ظاهرة معينة، فإن أبسط تلك التفسيرات هو الأكثر معقولية، وبالتالي فمن الواجب عقلانياً التسليم بـه، دون سواه من التفسيرات الأكثر تعقيدا أو على الأقل تـرجيح السـبب الأكثر بساطة على التفسيرات الأكثر تعقيدا، وذلـك لأنـه كلمـا ازدادت النظرية المفسرة للظاهرة المعنيـة تعقيـداً كلمـا ازدادت إمكانية نقدها، و زادت احتمالات تفنيدها، لأنها سـوف تتضـمن فرضيات أكثر من المطلوب، وبالتالى سوف تكون معرضة للنقد، وبالتالي فإن إمكانية الخطأ في النظرية ككل سوف تزداد ومن ثـم يسهل تفنيدها.

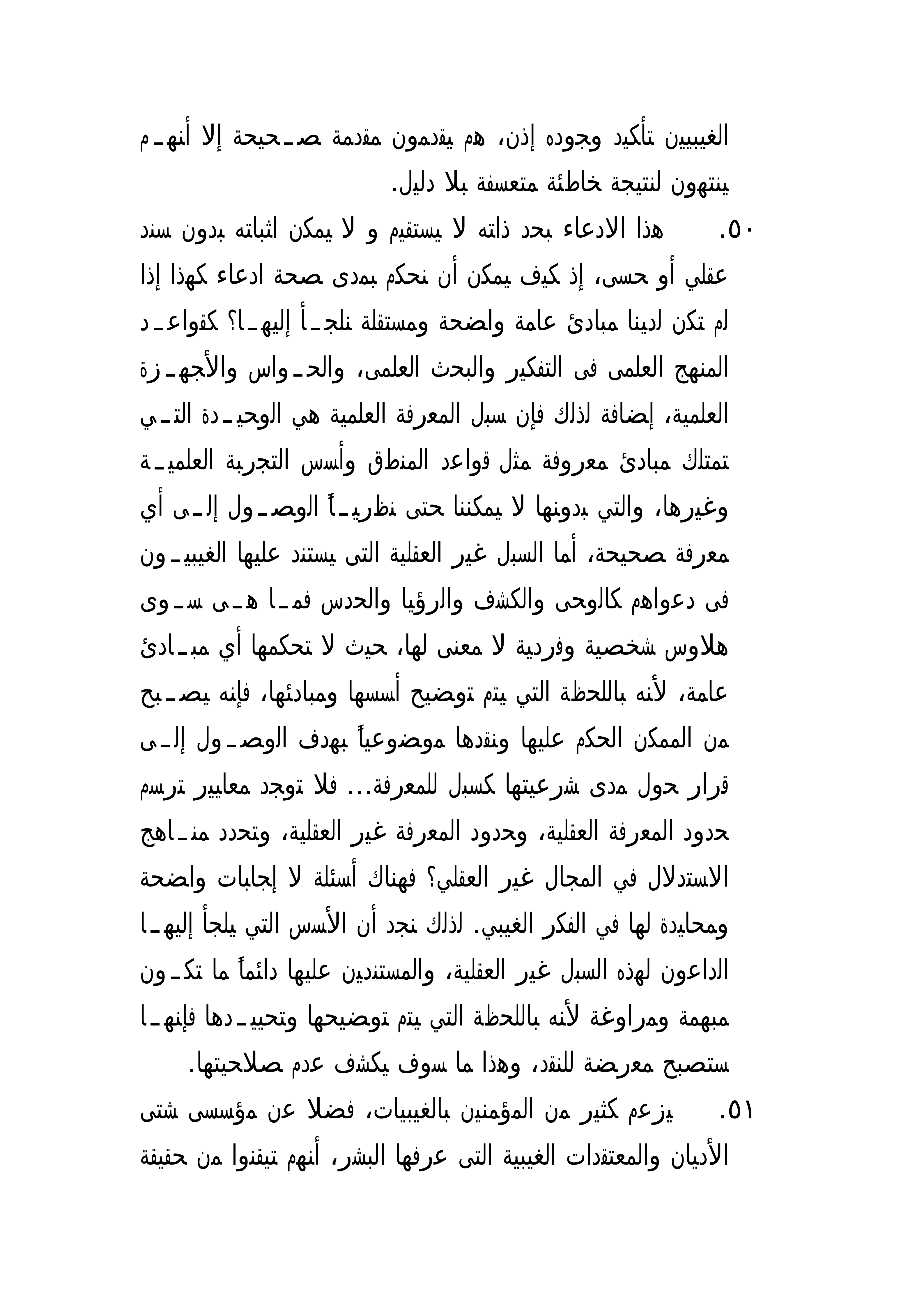
٤٧. عندما نمرض بمرض معين نتناول دواء محدد لنشفى، وهذه ظاهرة، يستنتج منها العلم المادى الطبيعى نظرية تفسيرية واضحة هى أن هذا الدواء أدى للشفاء من ذاك المـرض، دون زيـادة أو نقصان، و هذا تفسير بسيط وكافى جدا لظاهرة شفاء ذاك المرض بهذا الدواء، أما التفسير الغيبى فيضيف نظرية تفسيرية غامضة، تضيف كائن غيبى ما، ا مثلا، باعتباره هو الشافى من المرض، لا الدواء الذى تناوله المريض، وكما ترى فهى نظرية أكثر تعقيدا لتفسير ظاهرة الشفاء من المرض، ذلك أن علينا لإثبات صحة تلك النظرية أن نثبت أولا وجود ا من عدمه، أى إن كـان موجـودا أولا أم لا، وثانيا أن نثبت أنه قد سبب أن يكون لتناول هذا الدواء



تحديدا قدرة شافية لهذا المرض بالذات، وعلينا أن نثبت أن هذا الكائن الغيبي المشكوك فى وجوده أصلا هو السبب فعلا فى جعل هذا الدواء سببا للشفاء من هذا المرض، و أن نثبت إرادة ا فى شفاء هذا المريض تحديدا، وعدم إرادته شفاء مريض آخر تناول نفس الدواء أو دواء غيره، وكيف أنه و بإرادته أيضا كان يمكنه أن يشفى هذا المريض عندما تناول هذا الدواء أو لا يشفيه.

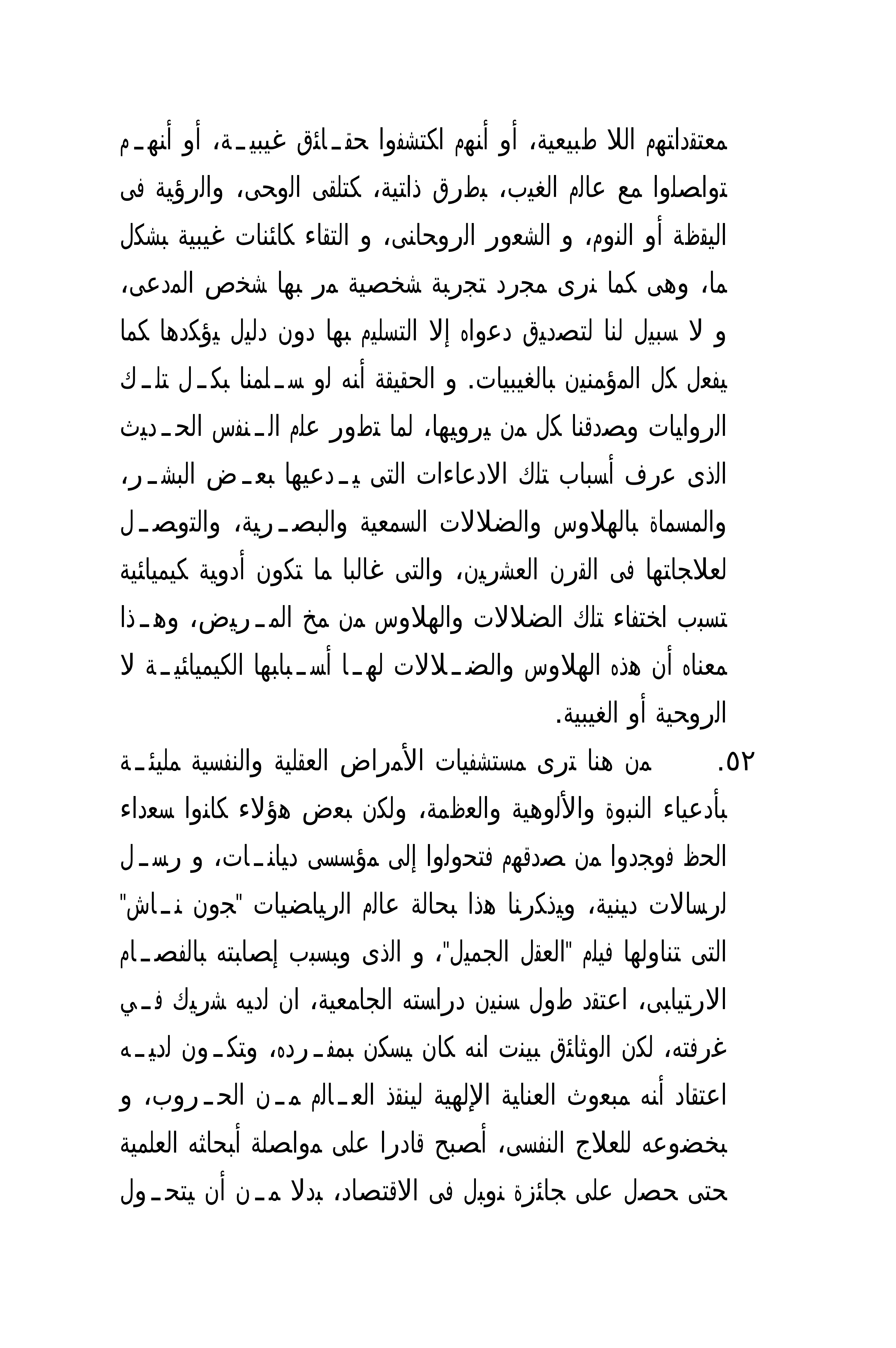
٤٨. الغريب أن المؤمنين بالغيبيات الذين يأخذون بهذا التفسير المعقد، يأخذون الأدوية التى يقترحها عليهم الأطباء عندما يمرضون، تحت حجة الأخذ بالأسباب، باعتبار أن ا هو مسبب الأسباب، بالرغم أنه من الواضح أن تفسيرهم الأخير الذى يضيف كائن غيبى مثل ا كزائدة لا ضرورة لها، هو الأقل معقولية، والأكثر عرضة للنقد حيث أنه يحوي مكونات إضافية نحتاج للتأكد من كل منها، أو فحص صمودها أمام محاولات تفنيدها، في حين أن البديل الأول القائل بأن هذا الدواء شفى هذا المريض من ذاك المرض، يوفر تفسيراً كافياً ومعقولاً بحد ذاته، و لا يحتاج إلى إضافات و زوائد غيبية لا داعى لها.

٤٩. بناء على أن العقل البشرى محدود، وحواس البشر قاصرة، يدعى الغيبيون أن هناك حقائق غيبية لا يمكن للعقل البشرى أن يدركها، و لا الحواس البشرية أن ترصدها، لأنهما محصوران بالعالم المادي، وأما العالم الآخر اللا مادى فلا يمكن إدراكه إلا بطرق غير عقلية، و وسائل لا حسية، أي أن معرفته تقع خارج إطار العقل والحواس البشريين، وذلك دون أى دليل على وجود هذا العالم اللا مادى اللا محسوس و اللا معقول، فكيف لهؤلاء


الغيبيين تأكيد وجوده إذن، هم يقدمون مقدمة صحيحة إلا أنهم ينتهون لنتيجة خاطئة متعسفة بلا دليل.

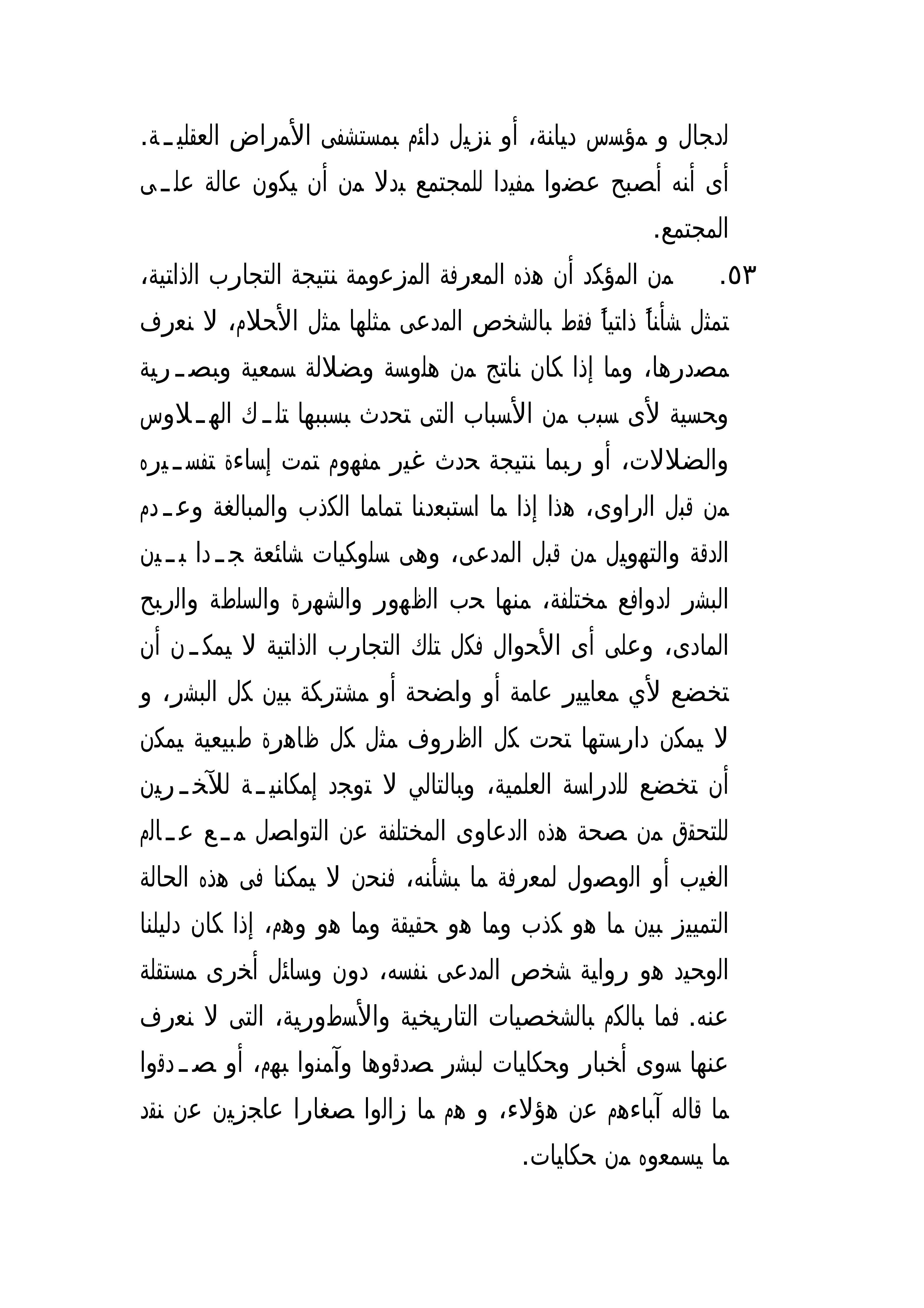
٥٠. هذا الادعاء بحد ذاته لا يستقيم و لا يمكن اثباته بدون سند عقلي أو حسى، إذ كيف يمكن أن نحكم بمدى صحة ادعاء كهذا إذا لم تكن لدينا مبادئ عامة واضحة ومستقلة نلجأ إليها؟ كقواعد المنهج العلمى فى التفكير والبحث العلمى، والحواس والأجهزة العلمية، إضافة لذلك فإن سبل المعرفة العلمية هي الوحيدة التي تمتلك مبادئ معروفة مثل قواعد المنطق وأسس التجربة العلمية وغيرها، والتي بدونها لا يمكننا حتى نظرياً الوصول إلى أي معرفة صحيحة، أما السبل غير العقلية التى يستند عليها الغيبيون فى دعواهم كالوحى والكشف والرؤيا والحدس فما هى سوى هلاوس شخصية وفردية لا معنى لها، حيث لا تحكمها أي مبادئ عامة، لأنه باللحظة التي يتم توضيح أسسها ومبادئها، فإنه يصبح من الممكن الحكم عليها ونقدها موضوعياً بهدف الوصول إلى قرار حول مدى شرعيتها كسبل للمعرفة... فلا توجد معايير ترسم حدود المعرفة العقلية، وحدود المعرفة غير العقلية، وتحدد مناهج الاستدلال في المجال غير العقلي؟ فهناك أسئلة لا إجابات واضحة ومحايدة لها في الفكر الغيبي. لذلك نجد أن الأسس التي يلجأ إليها الداعون لهذه السبل غير العقلية، والمستندين عليها دائماً ما تكون مبهمة ومراوغة لأنه باللحظة التي يتم توضيحها وتحييدها فإنها ستصبح معرضة للنقد، وهذا ما سوف يكشف عدم صلاحيتها.

٥١. يزعم كثير من المؤمنين بالغيبيات، فضلا عن مؤسسى شتى الأديان والمعتقدات الغيبية التى عرفها البشر، أنهم تيقنوا من حقيقة



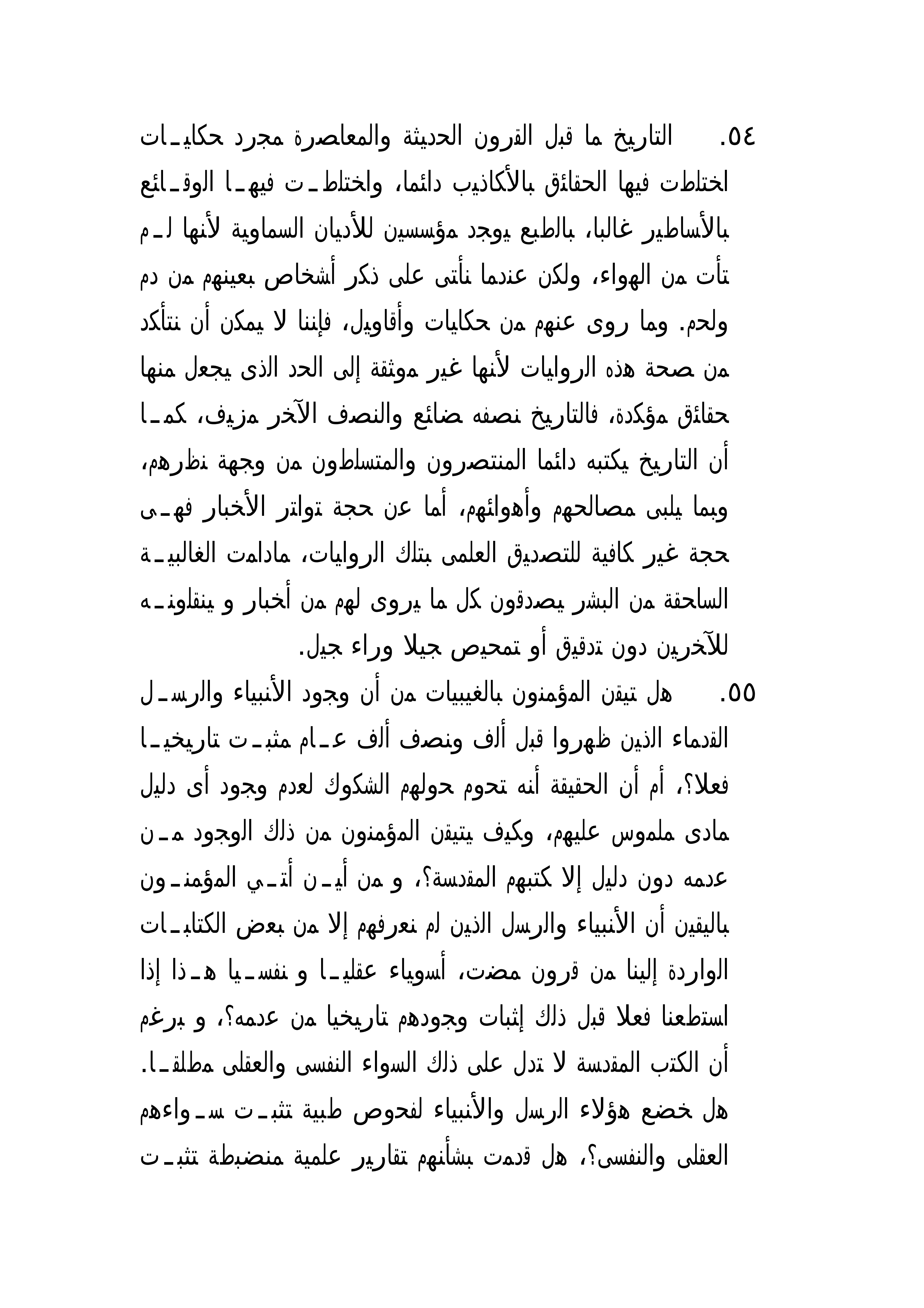
معتقداتهم اللا طبيعية، أو أنهم اكتشفوا حقـائق غيبيـة، أو أنهـم تواصلوا مع عالم الغيب، بطرق ذاتية، كتلقى الوحى، والرؤية فى اليقظة أو النوم، و الشعور الروحانى، و التقاء كائنات غيبية بشكل ما، وهى كما نرى مجرد تجربة شخصية مر بها شخص المدعى، و لا سبيل لنا لتصديق دعواه إلا التسليم بها دون دليل يؤكدها كما يفعل كل المؤمنين بالغيبيات. و الحقيقة أنه لو سـلمنا بكـل تلـك الروايات وصدقنا كل من يرويها، لما تطور علم الـنفس الحـديث الذى عرف أسباب تلك الادعاءات التى يـدعيها بعـض البشـر، والمسماة بالهلاوس والضلالات السمعية والبصـرية، والتوصـل لعلاجاتها فى القرن العشرين، والتى غالبا ما تكون أدوية كيميائية تسبب اختفاء تلك الضلالات والهلاوس من مخ المـريض، وهـذا معناه أن هذه الهلاوس والضـلالات لهـا أسـبابها الكيميائيـة لا الروحية أو الغيبية.

٥٢. من هنا ترى مستشفيات الأمراض العقلية والنفسية مليئـة بأدعياء النبوة والألوهية والعظمة، ولكن بعض هؤلاء كانوا سعداء الحظ فوجدوا من صدقهم فتحولوا إلى مؤسسى ديانـات، و رسـل لرسالات دينية، ويذكرنا هذا بحالة عالم الرياضيات "جون نـاش" التى تناولها فيلم "العقل الجميل"، و الذى وبسبب إصابته بالفصـام الارتيابى، اعتقد طول سنين دراسته الجامعية، ان لديه شريك فـي غرفته، لكن الوثائق بينت انه كان يسكن بمفـرده، وتكـون لديـه اعتقاد أنه مبعوث العناية الإلهية لينقذ العـالم مـن الحـروب، و بخضوعه للعلاج النفسى، أصبح قادرا على مواصلة أبحاثه العلمية حتى حصل على جائزة نوبل فى الاقتصاد، بدلا مـن أن يتحـول



لدجال و مؤسس ديانة، أو نزيل دائم بمستشفى الأمراض العقليـة. أى أنه أصبح عضوا مفيدا للمجتمع بدلا من أن يكون عالة علـى المجتمع.

٥٣. من المؤكد أن هذه المعرفة المزعومة نتيجة التجارب الذاتية، تمثل شأناً ذاتياً فقط بالشخص المدعى مثلها مثل الأحلام، لا نعرف مصدرها، وما إذا كان ناتج من هلوسة وضلالة سمعية وبصـرية وحسية لأى سبب من الأسباب التى تحدث بسببها تلـك الهـلاوس والضلالات، أو ربما نتيجة حدث غير مفهوم تمت إساءة تفسـيره من قبل الراوى، هذا إذا ما استبعدنا تماما الكذب والمبالغة وعـدم الدقة والتهويل من قبل المدعى، وهى سلوكيات شائعة جـدا بـين البشر لدوافع مختلفة، منها حب الظهور والشهرة والسلطة والربح المادى، وعلى أى الأحوال فكل تلك التجارب الذاتية لا يمكـن أن تخضع لأي معايير عامة أو واضحة أو مشتركة بين كل البشر، و لا يمكن دارستها تحت كل الظروف مثل كل ظاهرة طبيعية يمكن أن تخضع للدراسة العلمية، وبالتالي لا توجد إمكانيـة للآخـرين للتحقق من صحة هذه الدعاوى المختلفة عن التواصل مـع عـالم الغيب أو الوصول لمعرفة ما بشأنه، فنحن لا يمكنا فى هذه الحالة التمييز بين ما هو كذب وما هو حقيقة وما هو وهم، إذا كان دليلنا الوحيد هو رواية شخص المدعى نفسه، دون وسائل أخرى مستقلة عنه. فما بالكم بالشخصيات التاريخية والأسطورية، التى لا نعرف عنها سوى أخبار وحكايات لبشر صدقوها وآمنوا بهم، أو صـدقوا ما قاله آباءهم عن هؤلاء، و هم ما زالوا صغارا عاجزين عن نقد ما يسمعوه من حكايات.



٥٤. التاريخ ما قبل القرون الحديثة والمعاصرة مجرد حكايات اختلطت فيها الحقائق بالأكاذيب دائما، واختلطت فيها الوقائع بالأساطير غالبا، بالطبع يوجد مؤسسين للأديان السماوية لأنها لم تأت من الهواء، ولكن عندما نأتى على ذكر أشخاص بعينهم من دم ولحم. وما روى عنهم من حكايات وأقاويل، فإننا لا يمكن أن نتأكد من صحة هذه الروايات لأنها غير موثقة إلى الحد الذى يجعل منها حقائق مؤكدة، فالتاريخ نصفه ضائع والنصف الآخر مزيف، كما أن التاريخ يكتبه دائما المنتصرون والمتسلطون من وجهة نظرهم، وبما يلبى مصالحهم وأهوائهم، أما عن حجة تواتر الأخبار فهى حجة غير كافية للتصديق العلمى بتلك الروايات، مادامت الغالبية الساحقة من البشر يصدقون كل ما يروى لهم من أخبار و ينقلونه للآخرين دون تدقيق أو تمحيص جيلا وراء جيل.

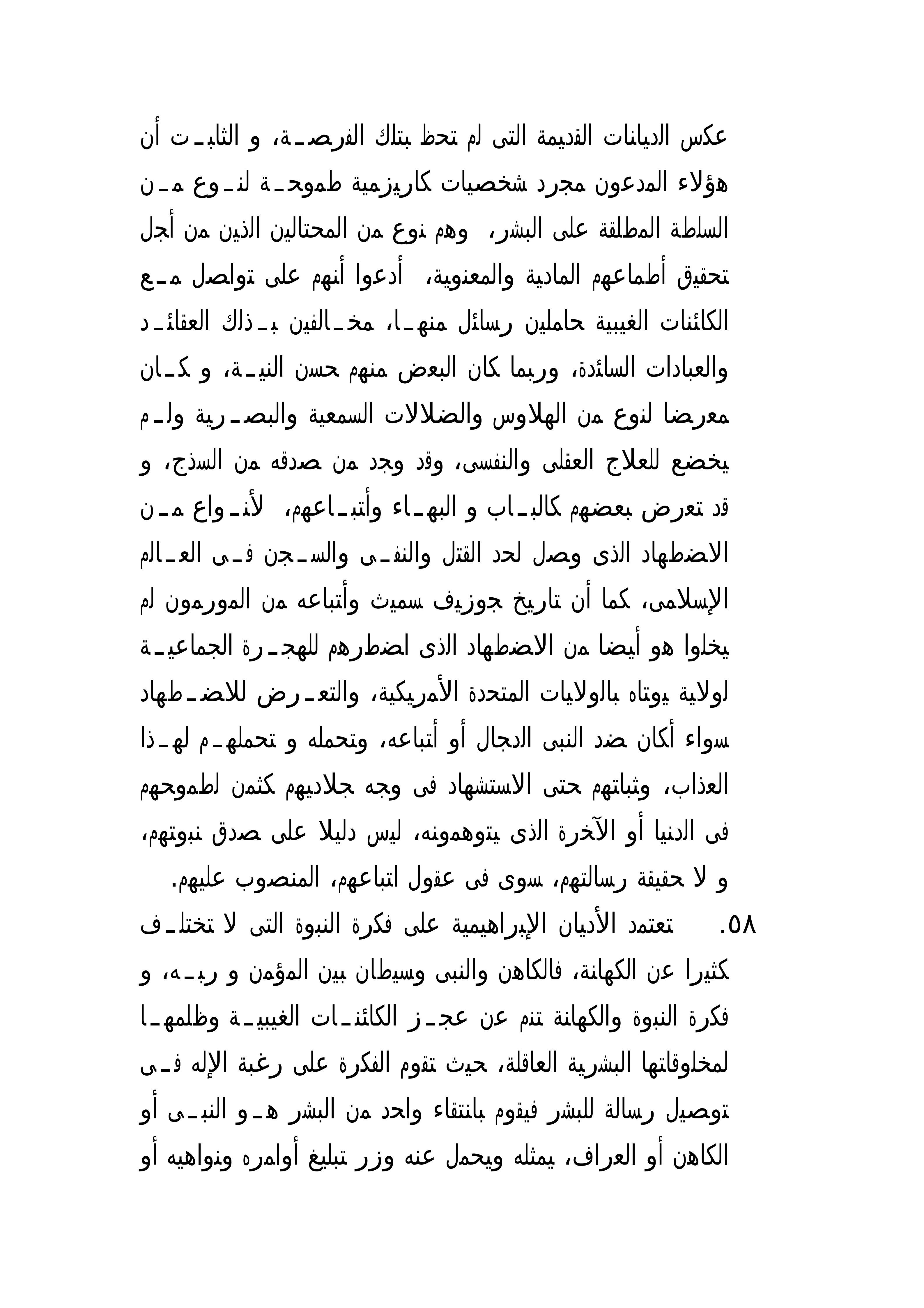
٥٥. هل تيقن المؤمنون بالغيبيات من أن وجود الأنبياء والرسل القدماء الذين ظهروا قبل ألف ونصف ألف عام مثبت تاريخيا فعلا؟، أم أن الحقيقة أنه تحوم حولهم الشكوك لعدم وجود أى دليل مادى ملموس عليهم، وكيف يتيقن المؤمنون من ذلك الوجود من عدمه دون دليل إلا كتبهم المقدسة؟، و من أين أتى المؤمنون باليقين أن الأنبياء والرسل الذين لم نعرفهم إلا من بعض الكتابات الواردة إلينا من قرون مضت، أسوياء عقليا و نفسيا هذا إذا استطعنا فعلا قبل ذلك إثبات وجودهم تاريخيا من عدمه؟، و برغم أن الكتب المقدسة لا تدل على ذلك السواء النفسى والعقلى مطلقا. هل خضع هؤلاء الرسل والأنبياء لفحوص طبية تثبت سواءهم العقلى والنفسى؟، هل قدمت بشأنهم تقارير علمية منضبطة تثبت

صدق ما يدعون، وأنه ليس مجرد هلاوس أو أكاذيب؟ وهـل تـم احاطتنا بهذا التقرير علما قبل أن نصدق دعواهم أو نكذبهم؟، أم أن هناك من عرفوهم و تميزوا بأن لديهم القابلية لتصديق ما يـروى لهم من حكايات فصدقوهم، و حاربوا من أجل إقناع باقى النـاس بتصديق ما صدقوه، وامتلكوا من السلطات أو تحالفوا مع أصحاب السلطة، فى تعاون مشترك، ففرضوا على باقى الناس ما صـدقوه بالخداع والقهر والإرهاب وتأليف القلوب بالمال، وملئـوا عقـول أطفالهم بتلك الحكايات والأقاويل، حتى أصبحت فى أذهانهم حقائق من كثرة تلقينهم إياها، وهم مازالوا صغارا، و كبر هؤلاء الأطفال بهذا اليقين، وتناسلوا أجيالا تلو أجيال، وكرروا مع أطفالهم ما فعله آباءهم بهم، وأورثوا من أتوا بعدهم تلـك الأكاذيـب والحكايـات باعتبارها حقائق يقينية، ومازال هذا التقليد سارى تحـت حمايـة القانون، وبرعاية الحكومات ومؤسساتها، و يدرس هذا الدجل فـى مدارسها وجامعتها جنبا إلى جنب مـع العلـم الحـديث، وباسـم الليبرالية، و تحت حماية مظلة حقوق وحريـات الإنسـان التـى تعاديهما المؤسسات الدينية غالبا.

٥٦. الحقيقة أن الأنبياء والرسل التى يـؤمن بوجـودهم أتبـاع الأديان التى ظهرت قبـل ألـف و خمسـمائة عـام، والمسـماة بالإبراهيمية أو السماوية، هى شخصيات أسطورية غامضـة لـم يثبت وجودهم علميا بأى وسيلة اثبات موضوعية، فـلا آثـار أو وثائق تدل عليهم وتثبت وجودهم وحقيقتهم، وما بلغنا عـنهم هـى مجرد حكايات فى نصوص مخطوطة كتبهـا المؤمنـون بهـم لا خصومهم الكافرون بهم، وقد حدث هـذا التسـجيل بعـد وفـاتهم

بسنوات طويلة تكفى لكل أشكال التحريف النـابع مـن النسـيان والكذب على السواء، فلا توجد روايات مسـتقلة عـن مـا رواه أتباعهم والمؤمنين بهم عنهم، وهى كتابات عبارة عن رص كـلام وأخبار وحكايات متناقضة على طريقة الجـدات، و هـى أقـرب للأدب منها للتأريخ العلمى المنضبط والمحكم، فـلا وثـائق و لا حفريات ولا أثار تدعمها وتؤيدها، بل هى مجرد أخبار شفهية فى أصلها تناقلتها الألسن طويلا قبل أن تكتب وتسجل، و هـى تقبـل شأنها شأن كل الأخبار الصدق والكذب، وبالرغم من ذلـك تجـد هناك من يؤمنون بما ترويه تلك الحكايات والأخبار المشكوك فـى صدقها، وما تصفه تلـك الكتـب للرسـل والأنبيـاء وحـواريهم وصحابتهم كونهم رجال نبلاء اختلفوا عـن السـائد مـن عقائـد وعبادات قومهم، لأهداف سامية، خالية من المطامع الشخصية، أو الدوافع الفردية، و أنهم لم يشكوا من الأمراض العقليـة والنفسـية والعصبية.

٥٧. هؤلاء الرسل والأنبياء و بعيدا عن الهالات الأسطورية التى تحيط بهم لا يختلفون عن الأنبياء والرسل المحدثين الذين ظهـروا فى القرون القليلة الماضية، و الثابـت وجـودهم بشـكل موثـق وموضوعى، والمتهمون من قبل من لا يؤمنون بنبوتهم أو رسالتهم بالكذب والدجل والجنون، فـى حـين يقدسـهم المؤمنـون بهـم، ويصدقون إدعاءتهم، وهؤلاء الرسل والأنبياء المثبـت وجـودهم المقصود بهم مؤسسى ديانات المورمون وشهود يهوه والبهـائيين والقيدانيين، والسيخ والرائليين والعلمويين وغيرهم، وقد تم رصـد تاريخهم وتاريخ جماعات المتدينين بأديانهم و توثيقه بدقـة علـى



عكس الديانات القديمة التى لم تحظ بتلك الفرصة، و الثابت أن هؤلاء المدعون مجرد شخصيات كاريزمية طموحة لنوع من السلطة المطلقة على البشر، وهم نوع من المحتالين الذين من أجل تحقيق أطماعهم المادية والمعنوية، أدعوا أنهم على تواصل مع الكائنات الغيبية حاملين رسائل منها، مخالفين بذلك العقائد والعبادات السائدة، وربما كان البعض منهم حسن النية، و كان معرضا لنوع من الهلاوس والضلالات السمعية والبصرية ولم يخضع للعلاج العقلى والنفسى، وقد وجد من صدقه من السذج، و قد تعرض بعضهم كالباب و البهاء وأتباعهم، لأنواع من الاضطهاد الذى وصل لحد القتل والنفى والسجن فى العالم الإسلامى، كما أن تاريخ جوزيف سميث وأتباعه من المورمون لم يخلوا هو أيضا من الاضطهاد الذى اضطرهم للهجرة الجماعية لولاية يوتاه بالولايات المتحدة الأمريكية، والتعرض للاضطهاد سواء أكان ضد النبى الدجال أو أتباعه، وتحمله و تحملهم لهذا العذاب، وثباتهم حتى الاستشهاد فى وجه جلاديهم كثمن لطموحهم فى الدنيا أو الآخرة الذى يتوهمونه، ليس دليلا على صدق نبوتهم، و لا حقيقة رسالتهم، سوى فى عقول اتباعهم، المنصوب عليهم.

٥٨. تعتمد الأديان الإبراهيمية على فكرة النبوة التى لا تختلف كثيرا عن الكهانة، فالكاهن والنبى وسيطان بين المؤمن و ربه، و فكرة النبوة والكهانة تنم عن عجز الكائنات الغيبية وظلمها لمخلوقاتها البشرية العاقلة، حيث تقوم الفكرة على رغبة الإله فى توصيل رسالة للبشر فيقوم بانتقاء واحد من البشر هو النبى أو الكاهن أو العراف، يمثله ويحمل عنه وزر تبليغ أوامره ونواهيه أو

وعوده ووعيده للناس، فيصدقه البعض ويكذبه الـبعض بطبيعـة الأحوال، فتكون النتيجة ثواب من صدقوه وعقـاب مـن كـذبوه، فتصبح سهولة تصديق الادعاءات بالنبوة والكهانة والعرافة التـى هى أحد خصائص السذاجة ميزة تستوجب الثـواب، و وصـعوبة تصديق الادعاءات بالنبوة والكهانة والعرافـة التـى هـى أحـد خصائص الفطنة عيب يستوجب العقاب، وكما يبدو مـن تـاريخ الأديان الإبراهيمية و التى ميزت النبوة عن الكهانة والعرافة، فإن انتقاء ا للأنبياء والرسل فيها يتم بطريقة عشوائية لا تعتمد علـى قواعد محددة وثابتة تليق بحكمة إله وعدله وقدرته، وباعتبـار أن النبوة على عكس الكهانة والعرافة ليست ظاهرة عالمية عرفتها كل شعوب العالم فى كل الأزمنة، بل هي ظاهرة محلية عرفتها منطقة محدودة فى الشرق الأوسط فقط، ولفترة زمنية محدودة لم تكن فيها البشرية قد حققت ما حققته من تقدم يجعلهـا تكشـف مثـل تلـك الادعاءات، فمن المدهش أن تجد ا يرسل لقرية واحدة نبيـين أو ثلاثة، وأن يتعاقب الأنبياء الواحد تلو الآخر في مكان ما وزمـان ما، فإبراهيم الملقب بأبي الأنبياء عم لوط، وأبو كل مـن اسـحاق وإسماعيل، والجد المباشر ليعقوب أبو يوسف، و الجد الأكبر لكـل من سليمان بن داود، وموسى زوج بنت شعيب، و أخو هارون، و زكريا أبو يحى، وزوج خالة عيسى بن مريم، ثـم محمـد وفـق الاعتقاد الإسلامى، وكلهم أنبياء لسلالة شخص واحد من البشر هو ابراهيم فى منطقة واحدة من العالم، فى حين يترك هذا الإله أماكن أخرى كالصين والهند دون أدنى اهتمام بإرسال حتـى نبـي مـن الدرجة الخامسة، إضافة إلى أنه ختم النبوة و غلق بابها بعد محمد

وفق الاعتقاد الإسلامى، في بدايات القرون الوسطى، بعد أن حققت البشرية تقدما يكفى لفضح حقيقة الادعاءات بالنبوة فيما عدا بعض الاستثناءات التى سبقت الإشارة إليها.

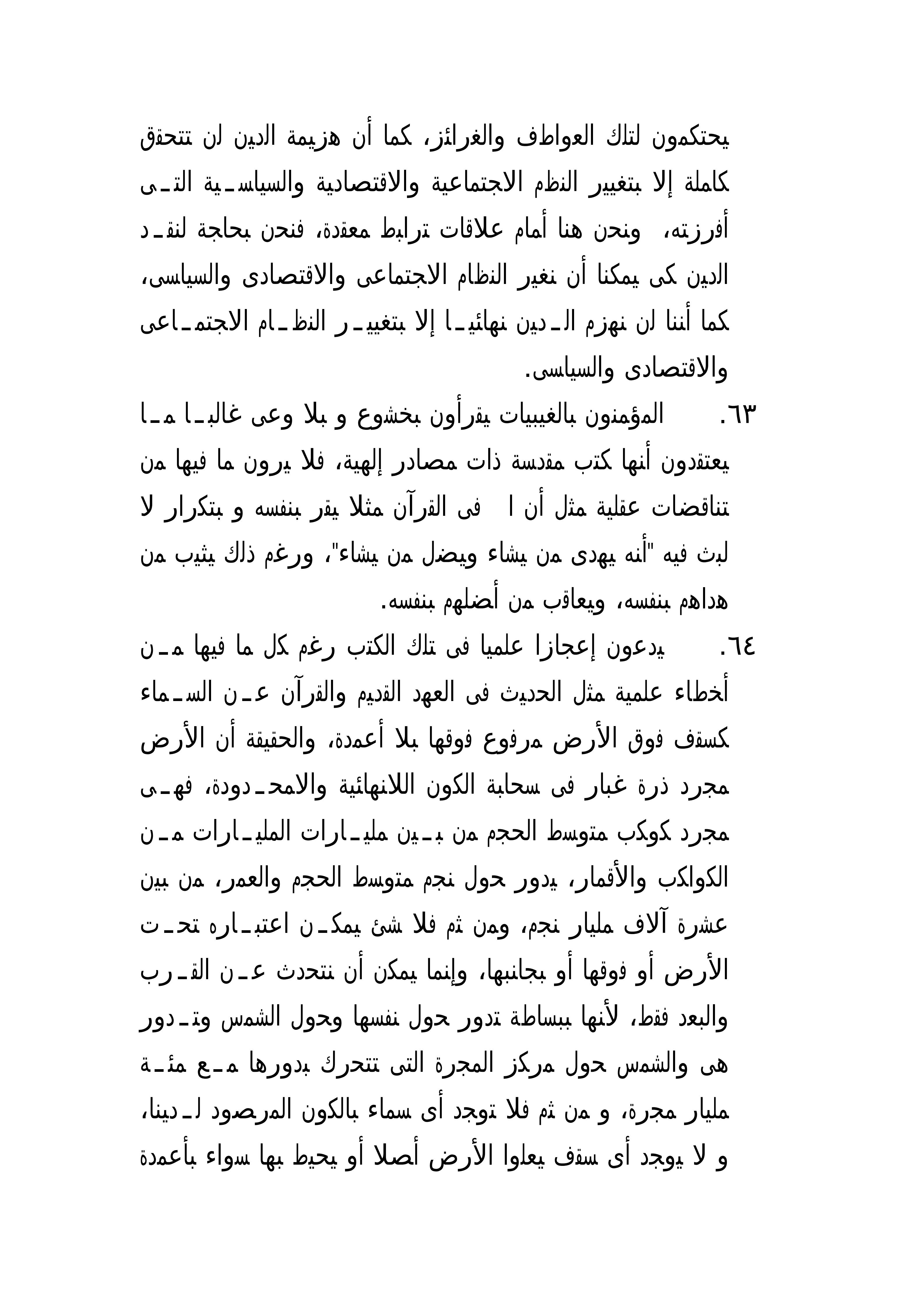
٥٩. تفترض جميع الأديان الإبراهيمية صفتى العدل والقدرة المطلقة في إلهها المزعوم، إلا أنه مما تقدم فإن هاتين الصفتين تتناقضان مع مفهوم النبوة نفسه، والتي تقوم عليه هذه الأديان مما ينقضها من أسسها ويخلعها من جذورها، وذلك لأن انتقاء (اصطفاء) ا لأحد خلقه دون الآخرين ليصبح نبيه ورسوله هو تفضيل لهذا الشخص على سائر البشر، وهذا يناقض العدل بين البشر، ولا يبرر هذا الفعل غير العادل سوى "عجز" هذا الإله عن إيجاد وسيلة أخرى يستطيع من خلالها أن يبلغ رسالته لكافة البشر مباشرة، حتى يحق له محاسبتهم إن لم يطيعوه، فلا يصح للمدرس أن يشرح لأحد التلاميذ المنهج دون كل التلاميذ، ويطلب منه إبلاغهم به، فيصدقه البعض و لا يصدقه البعض، ثم يحاسبهم جميعا بنفس الامتحان، فيهانون أو يكرمون بناء على سماعهم وتصديقهم من عدمه، إذ أن العدل يستوجب أن يشرح هو بنفسه لكل التلاميذ المنهج، بل وأن يولى الضعاف دراسيا منهم اهتماما أكثر من المتميزين الذين لا يحتاجون جهدا غير عادى لإفهامهم المنهج، وهذا تفنيد لحجة أن تميز الأنبياء عن باقى البشر هو الدافع لتفضيلهم على العاديين من الناس، بقصر النبوة عليهم.

٦٠. الأغلب أننا أمام إله عاجز وظالم في الوقت ذاته، و يؤكد ذلك إرسال ا الأنبياء لمناطق محددة من العالم، وتركه لمناطق أخرى.. و هذا ظلم للمناطق التي لم يرسل ا إليها أنبياء أو رسل،

ومثله مثل إرسال ا   الأنبياء في أزمنة محـددة وتركـه لأزمنـة أخرى، وهذا ظلم للبشر الذين يتواجدون فى غير زمن النبـى.. و إعلانه ختم النبوة وغلق بابها. وفى هذا تفضيل لمن حظي بفتـرة العيش قرب النبي وبجواره ومشاهدة معجزاته وآياته على من لـم تشأ الأقدار له أن يعيش بجوار أي نبي (وهم الأكثرية الساحقة من بني البشر). و الخلاصة هى أن إله الأديان الإبراهيمية فهو ظالم لتفضيله بعض البشر على بعض البشر، وهـو ارتكـب جريمـة تفضيل شخص كنبى أو قوم كبنى إسرائيل على سائر البشر فأرسل إليهم معظم أنبياءه. و هذا ما تقـر بـه كافـة الكتـب المقدسـة الإبراهيمية، و من ثم فهذا الإله لا يصح له إلا أن يكون ظالماً وفقاً لتعريف العدل.

٦١.   فى ضوء أن مثل هذه الدعاوى بتلقى الـوحى مـن الغيـب يشترك فى ادعاءها شتى المؤمنين بالغيبيات من كل العقائد الغيبية والروحية، إبراهيمية و دراهمية و وثنية و روحية، ولما كان مـن غير الممكن أن تكون كلها صحيحة، لأن هذا يعنى أن كل أصحاب هذه التجارب على صواب فى نفس الوقت، فإن تفسيرها كأوهام أو أكاذيب هو الأقرب للصواب. فلابـد إذن مـن اللجـوء لوسـائل موضوعية وليست ذاتية، للتحقق من صحة أي زعم، وأي فكـرة يرويها أى شخص.

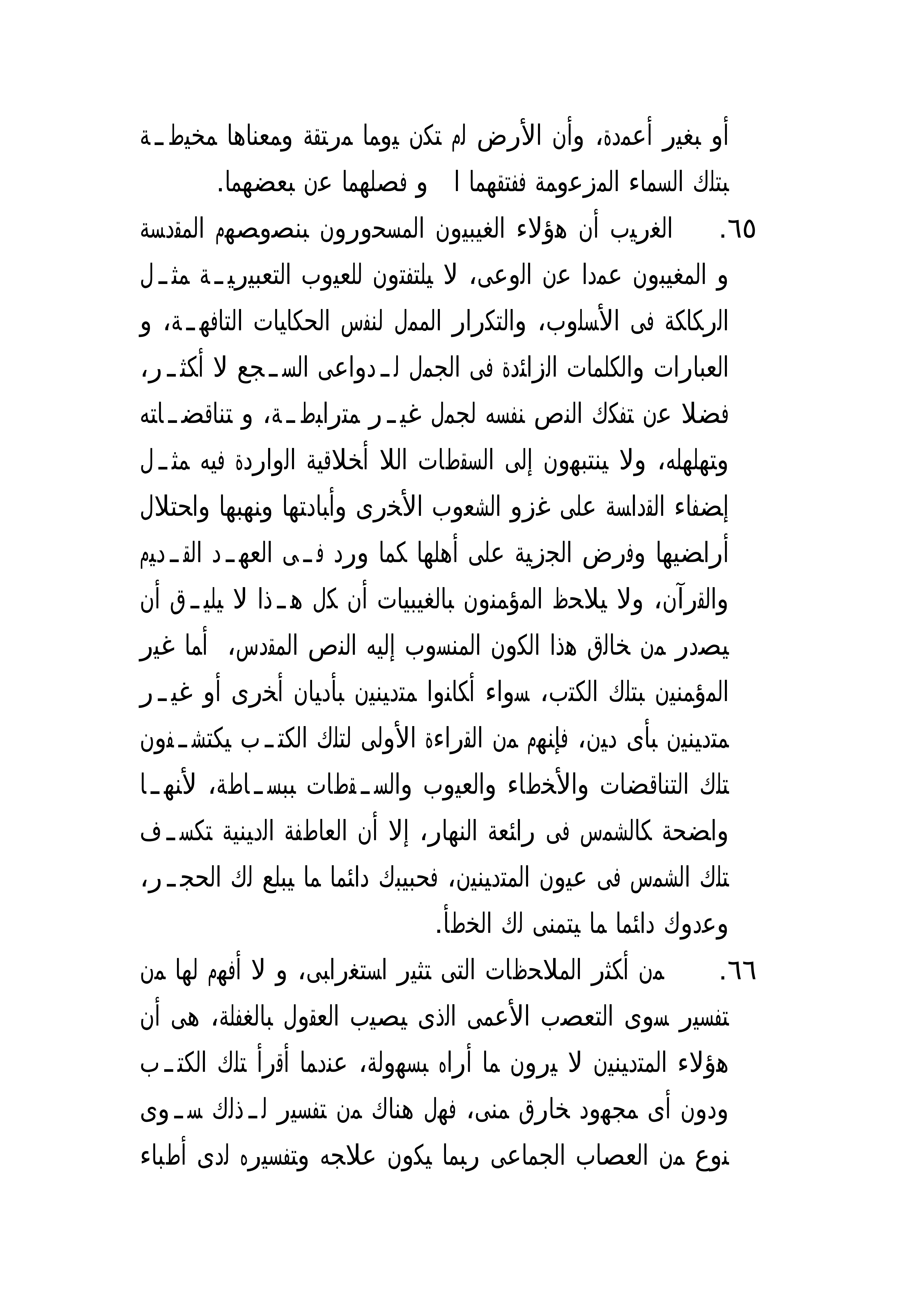
٦٢.   التدين ظاهرة وليدة المخ البدائى، إذ تضرب بجذورها فـى عواطف وغرائز البشر الذى يتحكم فيها هذا المخ، كمـا تضـرب جذورها أيضا فى النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، ومن ثم فنقد الدين باستخدام المنطق المجرد لا يكون مـؤثرا فـى مـن



يحتكمون لتلك العواطف والغرائز، كما أن هزيمة الدين لن تتحقق كاملة إلا بتغيير النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى أفرزته، ونحن هنا أمام علاقات ترابط معقدة، فنحن بحاجة لنقد الدين كى يمكننا أن نغير النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى، كما أننا لن نهزم الدين نهائيا إلا بتغيير النظام الاجتماعى والاقتصادى والسياسى.

٦٣. المؤمنون بالغيبيات يقرأون بخشوع و بلا وعى غالبا ما يعتقدون أنها كتب مقدسة ذات مصادر إلهية، فلا يرون ما فيها من تناقضات عقلية مثل أن ا فى القرآن مثلا يقر بنفسه و بتكرار لا لبث فيه "أنه يهدى من يشاء ويضل من يشاء"، ورغم ذلك يثيب من هداهم بنفسه، ويعاقب من أضلهم بنفسه.

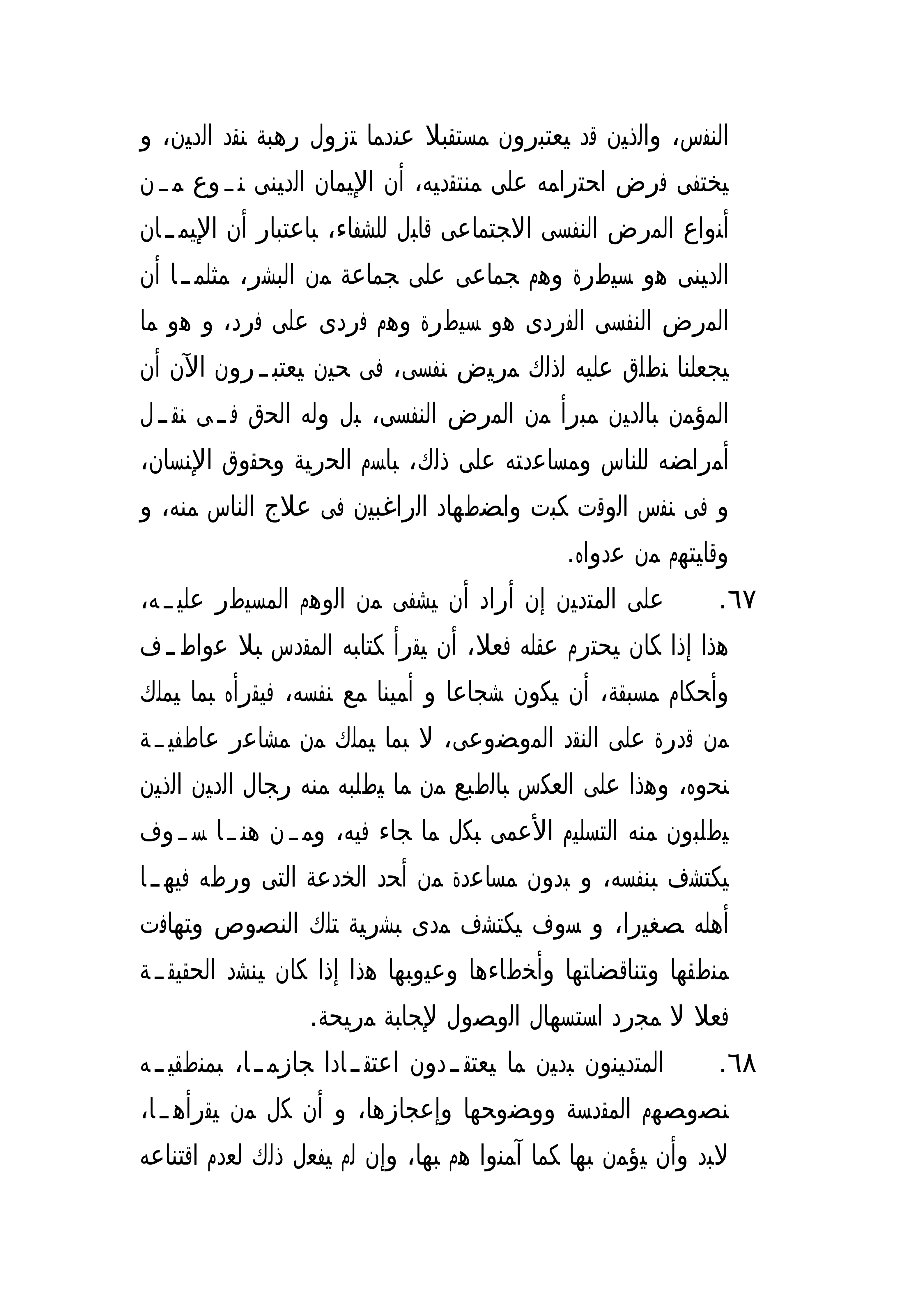
٦٤. يدعون إعجازا علميا فى تلك الكتب رغم كل ما فيها من أخطاء علمية مثل الحديث فى العهد القديم والقرآن عن السماء كسقف فوق الأرض مرفوع فوقها بلا أعمدة، والحقيقة أن الأرض مجرد ذرة غبار فى سحابة الكون اللانهائية واللامحدودة، فهى مجرد كوكب متوسط الحجم من بين مليارات المليارات من الكواكب والأقمار، يدور حول نجم متوسط الحجم والعمر، من بين عشرة آلاف مليار نجم، ومن ثم فلا شئ يمكن اعتباره تحت الأرض أو فوقها أو بجانبها، وإنما يمكن أن نتحدث عن القرب والبعد فقط، لأنها ببساطة تدور حول نفسها وحول الشمس وتدور هى والشمس حول مركز المجرة التى تتحرك بدورها مع مئة مليار مجرة، و من ثم فلا توجد أى سماء بالكون المرصود لدينا، و لا يوجد أى سقف يعلوا الأرض أصلا أو يحيط بها سواء بأعمدة



أو بغير أعمدة، وأن الأرض لم تكن يوما مرتقة ومعناها مخيطة بتلك السماء المزعومة ففتقهما ا و فصلهما عن بعضهما.

٦٥. الغريب أن هؤلاء الغيبيون المسحورون بنصوصهم المقدسة و المغيبون عمدا عن الوعى، لا يلتفتون للعيوب التعبيرية مثل الركاكة فى الأسلوب، والتكرار الممل لنفس الحكايات التافهة، و العبارات والكلمات الزائدة فى الجمل لدواعى السجع لا أكثر، فضلا عن تفكك النص نفسه لجمل غير مترابطة، و تناقضاته وتهلهله، ولا ينتبهون إلى السقطات اللا أخلاقية الواردة فيه مثل إضفاء القداسة على غزو الشعوب الأخرى وأبادتها ونهبها واحتلال أراضيها وفرض الجزية على أهلها كما ورد فى العهد القديم والقرآن، ولا يلاحظ المؤمنون بالغيبيات أن كل هذا لا يليق أن يصدر من خالق هذا الكون المنسوب إليه النص المقدس، أما غير المؤمنين بتلك الكتب، سواء أكانوا متدينين بأديان أخرى أو غير متدينين بأى دين، فإنهم من القراءة الأولى لتلك الكتب يكتشفون تلك التناقضات والأخطاء والعيوب والسقطات ببساطة، لأنها واضحة كالشمس فى رائعة النهار، إلا أن العاطفة الدينية تكسف تلك الشمس فى عيون المتدينين، فحبيبك دائما ما يبلع لك الحجر، وعدوك دائما ما يتمنى لك الخطأ.

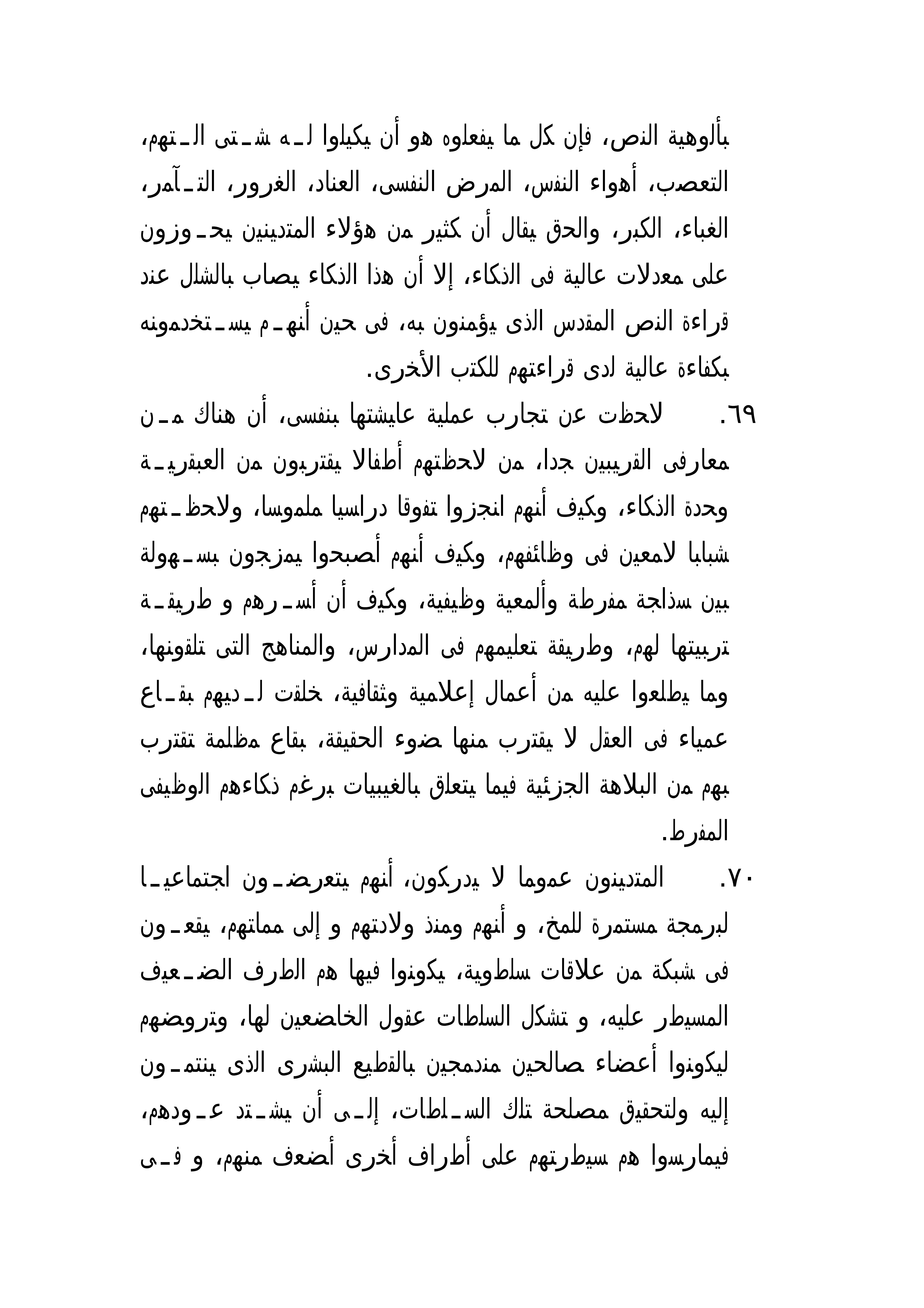
٦٦. من أكثر الملاحظات التى تثير استغرابى، و لا أفهم لها من تفسير سوى التعصب الأعمى الذى يصيب العقول بالغفلة، هى أن هؤلاء المتدينين لا يرون ما أراه بسهولة، عندما أقرأ تلك الكتب ودون أى مجهود خارق منى، فهل هناك من تفسير لذلك سوى نوع من العصاب الجماعى ربما يكون علاجه وتفسيره لدى أطباء



النفس، والذين قد يعتبرون مستقبلا عندما تزول رهبة نقد الدين، و يختفى فرض احترامه على منتقديه، أن الإيمان الدينى نوع من أنواع المرض النفسى الاجتماعى قابل للشفاء، باعتبار أن الإيمان الدينى هو سيطرة وهم جماعى على جماعة من البشر، مثلما أن المرض النفسى الفردى هو سيطرة وهم فردى على فرد، و هو ما يجعلنا نطلق عليه لذلك مريض نفسى، فى حين يعتبرون الآن أن المؤمن بالدين مبرأ من المرض النفسى، بل وله الحق فى نقل أمراضه للناس ومساعدته على ذلك، باسم الحرية وحقوق الإنسان، و فى نفس الوقت كبت واضطهاد الراغبين فى علاج الناس منه، و وقايتهم من عدواه.

٦٧. على المتدين إن أراد أن يشفى من الوهم المسيطر عليه، هذا إذا كان يحترم عقله فعلا، أن يقرأ كتابه المقدس بلا عواطف وأحكام مسبقة، أن يكون شجاعا و أمينا مع نفسه، فيقرأه بما يملك من قدرة على النقد الموضوعى، لا بما يملك من مشاعر عاطفية نحوه، وهذا على العكس بالطبع من ما يطلبه منه رجال الدين الذين يطلبون منه التسليم الأعمى بكل ما جاء فيه، ومن هنا سوف يكتشف بنفسه، و بدون مساعدة من أحد الخدعة التى ورطه فيها أهله صغيرا، و سوف يكتشف مدى بشرية تلك النصوص وتهافت منطقها وتناقضاتها وأخطاءها وعيوبها هذا إذا كان ينشد الحقيقة فعلا لا مجرد استسهال الوصول لإجابة مريحة.

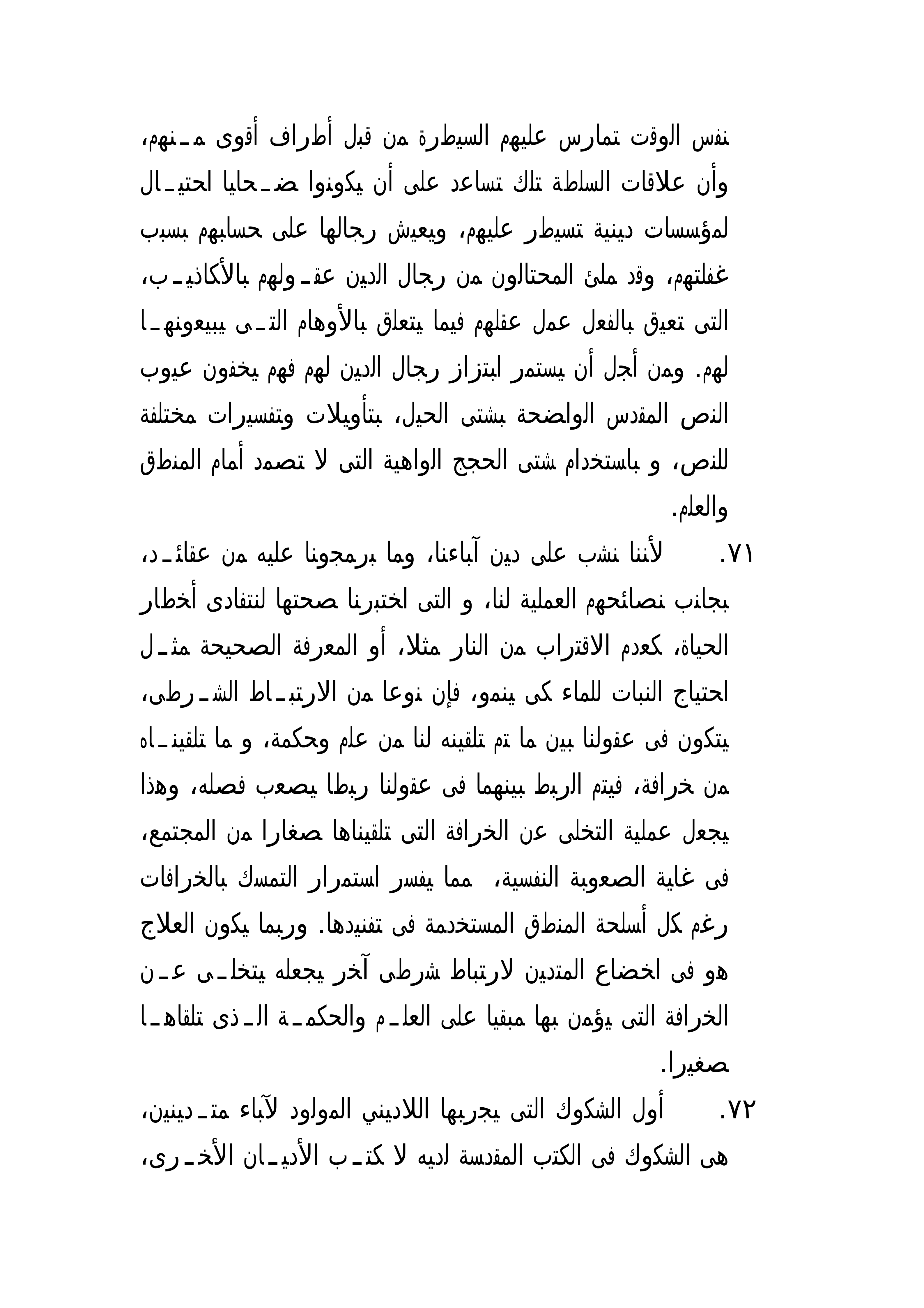
٦٨. المتدينون بدين ما يعتقدون اعتقادا جازما، بمنطقيه نصوصهم المقدسة ووضوحها وإعجازها، و أن كل من يقرأها، لابد وأن يؤمن بها كما آمنوا هم بها، وإن لم يفعل ذلك لعدم اقتناعه



بألوهية النص، فإن كل ما يفعلوه هو أن يكيلوا له شتى التهم، التعصب، أهواء النفس، المرض النفسى، العناد، الغرور، التآمر، الغباء، الكبر، والحق يقال أن كثير من هؤلاء المتدينين يحوزون على معدلات عالية فى الذكاء، إلا أن هذا الذكاء يصاب بالشلل عند قراءة النص المقدس الذى يؤمنون به، فى حين أنهم يستخدمونه بكفاءة عالية لدى قراءتهم للكتب الأخرى.

٦٩. لاحظت عن تجارب عملية عايشتها بنفسى، أن هناك من معارفى القريبين جدا، من لاحظتهم أطفالا يقتربون من العبقرية وحدة الذكاء، وكيف أنهم انجزوا تفوقا دراسيا ملموسا، ولاحظتهم شبابا لامعين فى وظائفهم، وكيف أنهم أصبحوا يمزجون بسهولة بين سذاجة مفرطة وألمعية وظيفية، وكيف أن أسرهم و طريقة تربيتها لهم، وطريقة تعليمهم فى المدارس، والمناهج التى تلقونها، وما يطلعوا عليه من أعمال إعلامية وثقافية، خلقت لديهم بقاع عمياء فى العقل لا يقترب منها ضوء الحقيقة، بقاع مظلمة تقترب بهم من البلاهة الجزئية فيما يتعلق بالغيبيات برغم ذكاءهم الوظيفى المفرط.

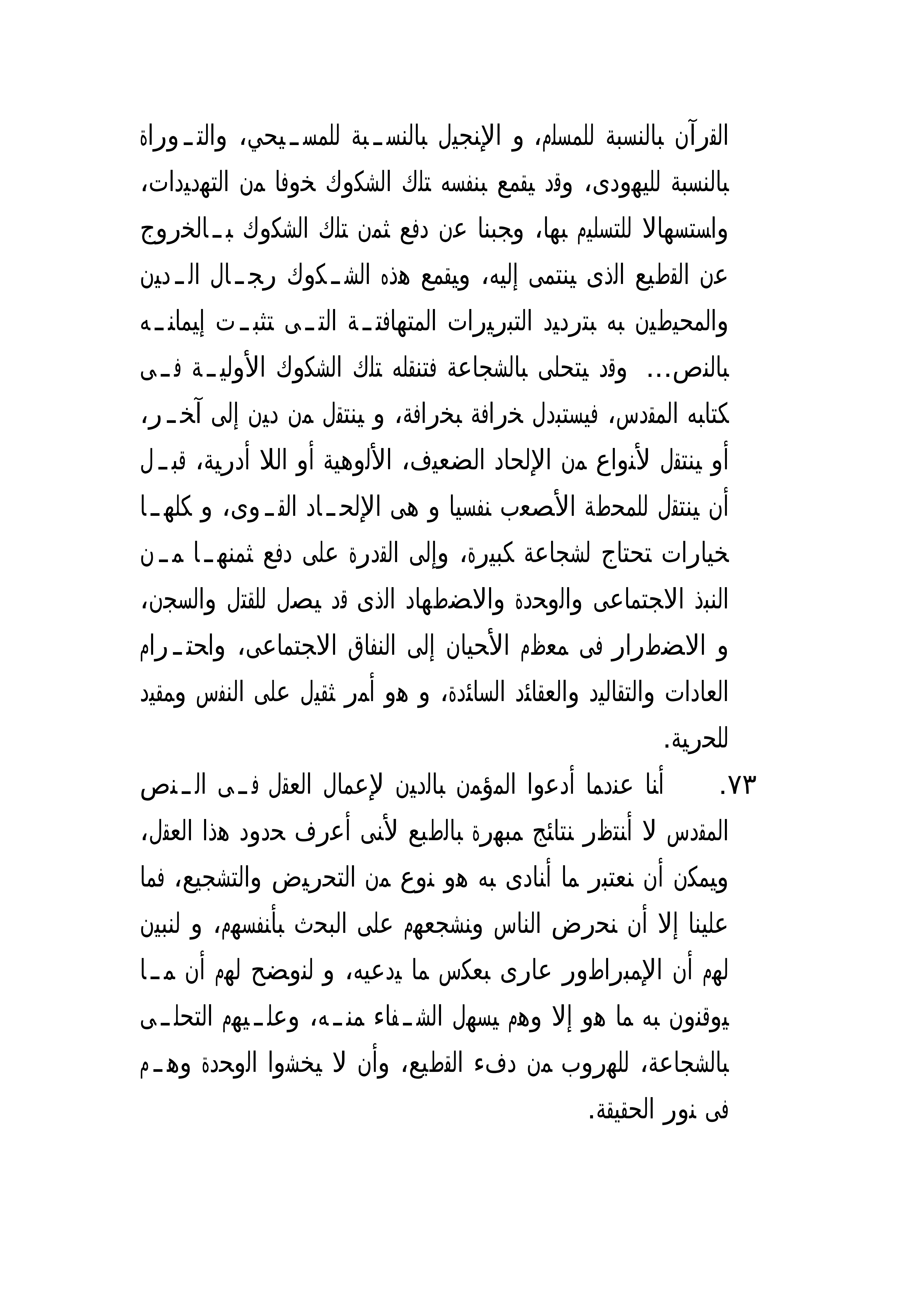
٧٠. المتدينون عموما لا يدركون، أنهم يتعرضون اجتماعيا لبرمجة مستمرة للمخ، و أنهم ومنذ ولادتهم و إلى مماتهم، يقعون فى شبكة من علاقات سلطوية، يكونوا فيها هم الطرف الضعيف المسيطر عليه، و تشكل السلطات عقول الخاضعين لها، وتروضهم ليكونوا أعضاء صالحين مندمجين بالقطيع البشرى الذى ينتمون إليه ولتحقيق مصلحة تلك السلطات، إلى أن يشتد عودهم، فيمارسوا هم سيطرتهم على أطراف أخرى أضعف منهم، و فى



نفس الوقت تمارس عليهم السيطرة من قبل أطراف أقوى منهم، وأن علاقات السلطة تلك تساعد على أن يكونوا ضحايا احتيال لمؤسسات دينية تسيطر عليهم، ويعيش رجالها على حسابهم بسبب غفلتهم، وقد ملئ المحتالون من رجال الدين عقولهم بالأكاذيب، التى تعيق بالفعل عمل عقلهم فيما يتعلق بالأوهام التى يبيعونها لهم. ومن أجل أن يستمر ابتزاز رجال الدين لهم فهم يخفون عيوب النص المقدس الواضحة بشتى الحيل، بتأويلات وتفسيرات مختلفة للنص، و باستخدام شتى الحجج الواهية التى لا تصمد أمام المنطق والعلم.

٧١. لأننا نشب على دين آباءنا، وما برمجونا عليه من عقائد، بجانب نصائحهم العملية لنا، و التى اختبرنا صحتها لنتفادى أخطار الحياة، كعدم الاقتراب من النار مثلا، أو المعرفة الصحيحة مثل احتياج النبات للماء كى ينمو، فإن نوعا من الارتباط الشرطى، يتكون فى عقولنا بين ما تم تلقينه لنا من علم وحكمة، و ما تلقيناه من خرافة، فيتم الربط بينهما فى عقولنا ربطا يصعب فصله، وهذا يجعل عملية التخلى عن الخرافة التى تلقيناها صغارا من المجتمع، فى غاية الصعوبة النفسية، مما يفسر استمرار التمسك بالخرافات رغم كل أسلحة المنطق المستخدمة فى تفنيدها. وربما يكون العلاج هو فى اخضاع المتدين لارتباط شرطى آخر يجعله يتخلى عن الخرافة التى يؤمن بها مبقيا على العلم والحكمة الذى تلقاها صغيرا.

٧٢. أول الشكوك التى يجربها اللاديني المولود لآباء متدينين، هى الشكوك فى الكتب المقدسة لديه لا كتب الأديان الأخرى،

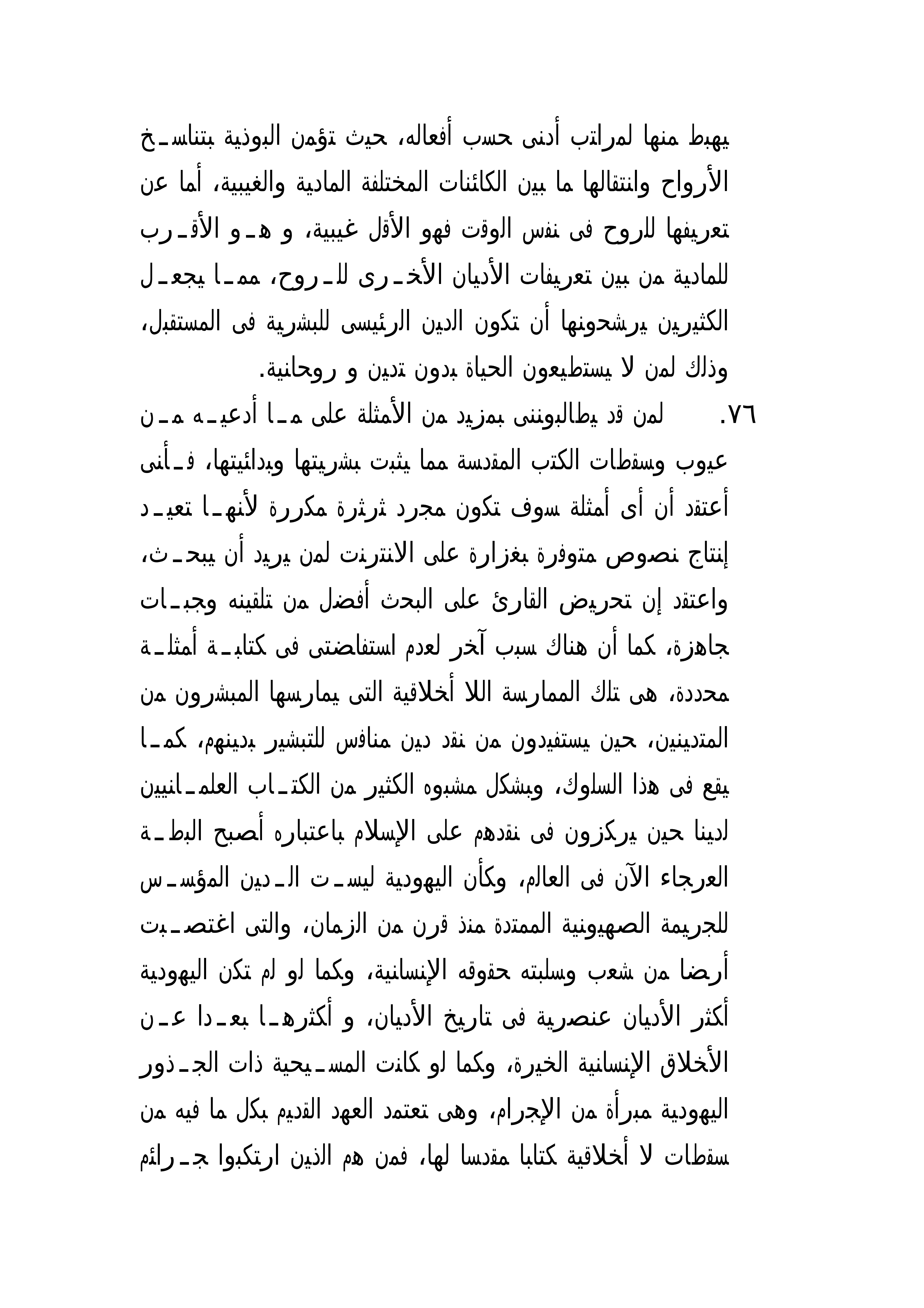


القرآن بالنسبة للمسلم، و الإنجيل بالنسـبة للمسـيحي، والتـوراة بالنسبة لليهودى، وقد يقمع بنفسه تلك الشكوك خوفا من التهديدات، واستسهالا للتسليم بها، وجبنا عن دفع ثمن تلك الشكوك بـالخروج عن القطيع الذى ينتمى إليه، ويقمع هذه الشـكوك رجـال الـدين والمحيطين به بترديد التبريرات المتهافتـة التـى تثبـت إيمانـه بالنص... وقد يتحلى بالشجاعة فتنقله تلك الشكوك الأوليـة فـى كتابه المقدس، فيستبدل خرافة بخرافة، و ينتقل من دين إلى آخـر، أو ينتقل لأنواع من الإلحاد الضعيف، الألوهية أو اللا أدرية، قبـل أن ينتقل للمحطة الأصعب نفسيا و هى الإلحـاد القـوى، و كلهـا خيارات تحتاج لشجاعة كبيرة، وإلى القدرة على دفع ثمنهـا مـن النبذ الاجتماعى والوحدة والاضطهاد الذى قد يصل للقتل والسجن، و الاضطرار فى معظم الأحيان إلى النفاق الاجتماعى، واحتـرام العادات والتقاليد والعقائد السائدة، و هو أمر ثقيل على النفس ومقيد للحرية.

٧٣. أنا عندما أدعوا المؤمن بالدين لإعمال العقل فـى الـنص المقدس لا أنتظر نتائج مبهرة بالطبع لأنى أعرف حدود هذا العقل، ويمكن أن نعتبر ما أنادى به هو نوع من التحريض والتشجيع، فما علينا إلا أن نحرض الناس ونشجعهم على البحث بأنفسهم، و لنبين لهم أن الإمبراطور عارى بعكس ما يدعيه، و لنوضح لهم أن مـا يوقنون به ما هو إلا وهم يسهل الشـفاء منـه، وعلـيهم التحلـى بالشجاعة، للهروب من دفء القطيع، وأن لا يخشوا الوحدة وهـم فى نور الحقيقة.

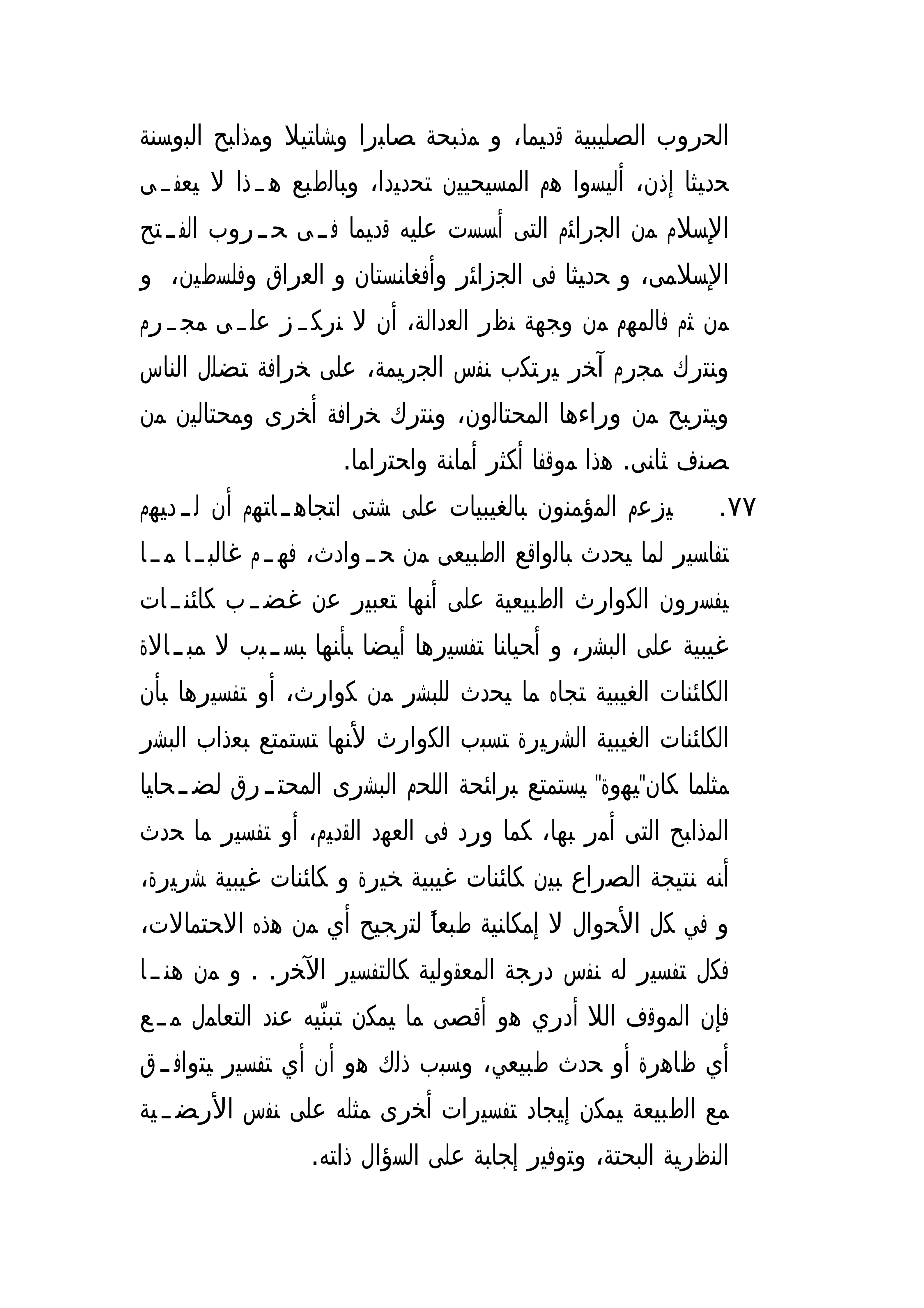
٧٤. قبل أن يدلى المتـدينون بنصـائحهم الجـاهزة، وتعـاليهم الأجوف، ويقينهم العصابى بأن المؤمن هو الأعلى بسذاجته وغفلته وجهله، أقول لهم، أننى قرأت التوراة والأناجيل ورسـائل الرسـل والقرآن وتفاسيره المختلفة، وكثير من السنة والسـيرة، و كتـاب الأقدس البهائى، ودرست أصول الفقه الإسـلامى، وقـرأت عـن الأديان الأخرى لدرجة تكفى للإلمام بها، والشئ المؤكد بالنسبة لى أننى أضعت وقتى فى قراءة كل هذا العبث الذى لا يفيد و لا يمتع، و لا يغنى و لا يسمن من جوع، وخسارة لا تعوض، إلا من زاوية اكتشاف بشرية تلك النصوص، بل والعقلية البدائية السـاذجة وراء كتابتها. و اعتقد أن قراءة هذه الكتب يكفى لإلحاد كـل ذى عقـل يعمل بكل إمكانياته دون أى مسوغات أخرى.

٧٥. وفق هذا الإلمام العام فإننى اعتقد أن الأديان كلها، لا تقـف عند نفس المستوى من السوء، إذا فاضلنا بين سئ وأسوء، لا بـين جيد و سئ، لأنه لا يوجد ما هو جيد فى الأديـان عمومـا، فإننـا سوف نلاحظ أن اليهودية والهندوسـية والمسـيحية والزرادشـتية والإسلام تحظى بالدرجات الأسوأ فى تقييم الأديان عمومـا، أمـا الأقل سوءا من بين الأديان فهى الأديان الفلسفية كبوذية الثيرافـادا من بين البوذيات الأخرى الأكثر خرافية منها، فهى الأقـرب مـن بين الأديان التقليدية للعلم والمنطق العلمى، و الأبعد عـن الغيبيـة والخرافية، وإن لم تخلوا منهما شأنها شأن كل دين، كما أن البوذية عموما تقترب من مواقف الإلحاد لكونها لا تعتـرف بوجـود أى خالق للكون، و لا تؤمن ببعث الأجساد بعد موتها، فالألوهية لديها مجرد مرتبة يمكن أن يصل إليها أى انسان بناء على أعمالـه، أو



يهبط منها لمراتب أدنى حسب أفعاله، حيث تؤمن البوذية بتناسخ الأرواح وانتقالها ما بين الكائنات المختلفة المادية والغيبية، أما عن تعريفها للروح فى نفس الوقت فهو الأقل غيبية، و هو الأقرب للمادية من بين تعريفات الأديان الأخرى للروح، مما يجعل الكثيرين يرشحونها أن تكون الدين الرئيسى للبشرية فى المستقبل، وذلك لمن لا يستطيعون الحياة بدون تدين و روحانية.

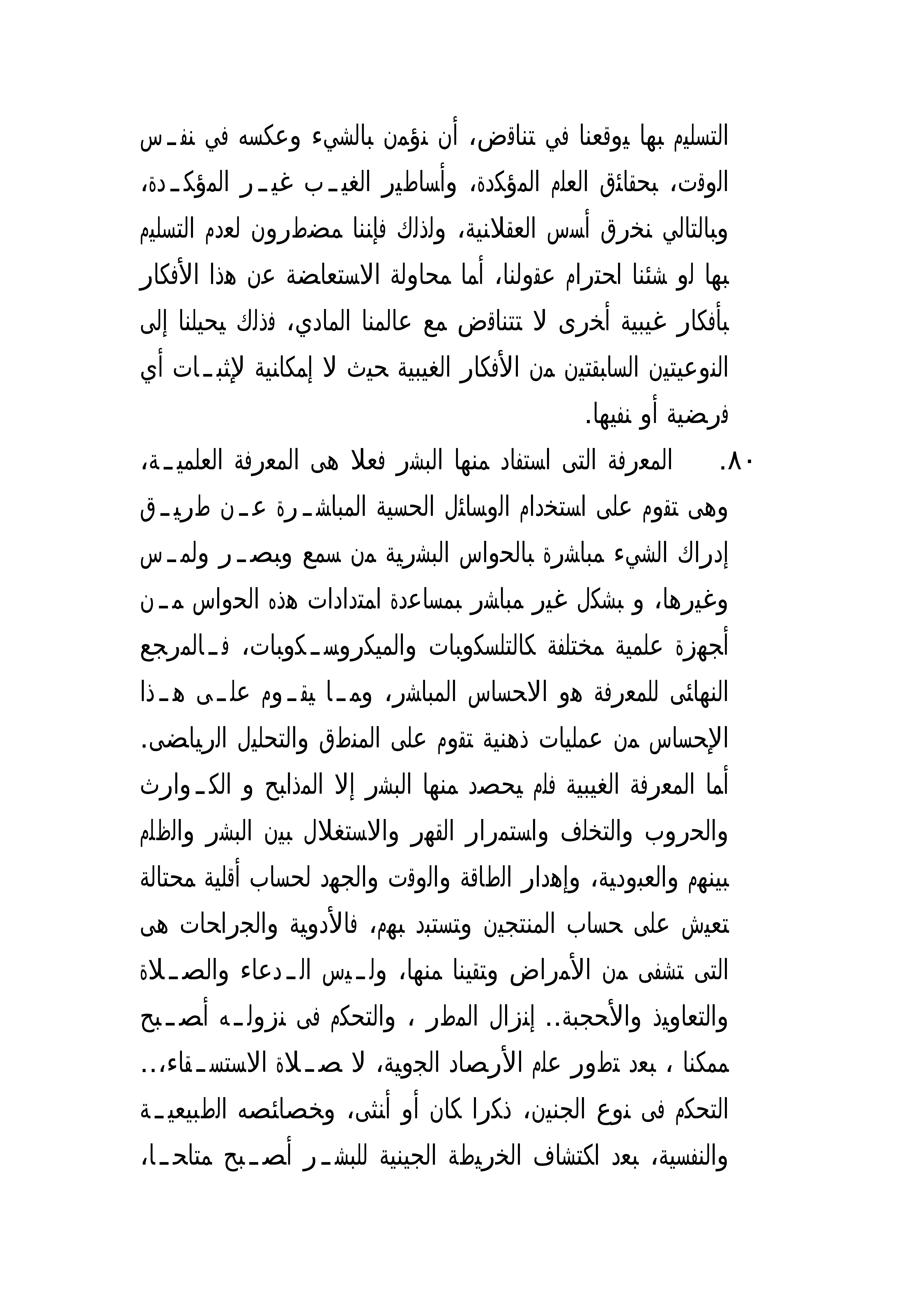
٧٦. لمن قد يطالبوننى بمزيد من الأمثلة على ما أدعيه من عيوب وسقطات الكتب المقدسة مما يثبت بشريتها وبدائيتها، فأننى أعتقد أن أى أمثلة سوف تكون مجرد ثرثرة مكررة لأنها تعيد إنتاج نصوص متوفرة بغزارة على الانترنت لمن يريد أن يبحث، واعتقد إن تحريض القارئ على البحث أفضل من تلقينه وجبات جاهزة، كما أن هناك سبب آخر لعدم استفاضتى فى كتابة أمثلة محددة، هى تلك الممارسة اللا أخلاقية التى يمارسها المبشرون من المتدينين، حين يستفيدون من نقد دين منافس للتبشير بدينهم، كما يقع فى هذا السلوك، وبشكل مشبوه الكثير من الكتاب العلمانيين لدينا حين يركزون فى نقدهم على الإسلام باعتباره أصبح البطة العرجاء الآن فى العالم، وكأن اليهودية ليست الدين المؤسس للجريمة الصهيونية الممتدة منذ قرن من الزمان، والتى اغتصبت أرضا من شعب وسلبته حقوقه الإنسانية، وكما لو لم تكن اليهودية أكثر الأديان عنصرية فى تاريخ الأديان، و أكثرها بعدا عن الأخلاق الإنسانية الخيرة، وكما لو كانت المسيحية ذات الجذور اليهودية مبرأة من الإجرام، وهى تعتمد العهد القديم بكل ما فيه من سقطات لا أخلاقية كتابا مقدسا لها، فمن هم الذين ارتكبوا جرائم


الحروب الصليبية قديما، و مذبحة صابرا وشاتيلا ومذابح البوسنة حديثا إذن، أليسوا هم المسيحيين تحديدا، وبالطبع هـذا لا يعفـى الإسلام من الجرائم التى أسست عليه قديما فـى حـروب الفـتح الإسلامى، و حديثا فى الجزائر وأفغانستان و العراق وفلسطين، و من ثم فالمهم من وجهة نظر العدالة، أن لا نركـز علـى مجـرم ونترك مجرم آخر يرتكب نفس الجريمة، على خرافة تضلل الناس ويتربح من وراءها المحتالون، ونترك خرافة أخرى ومحتالين من صنف ثانى. هذا موقفا أكثر أمانة واحتراما.

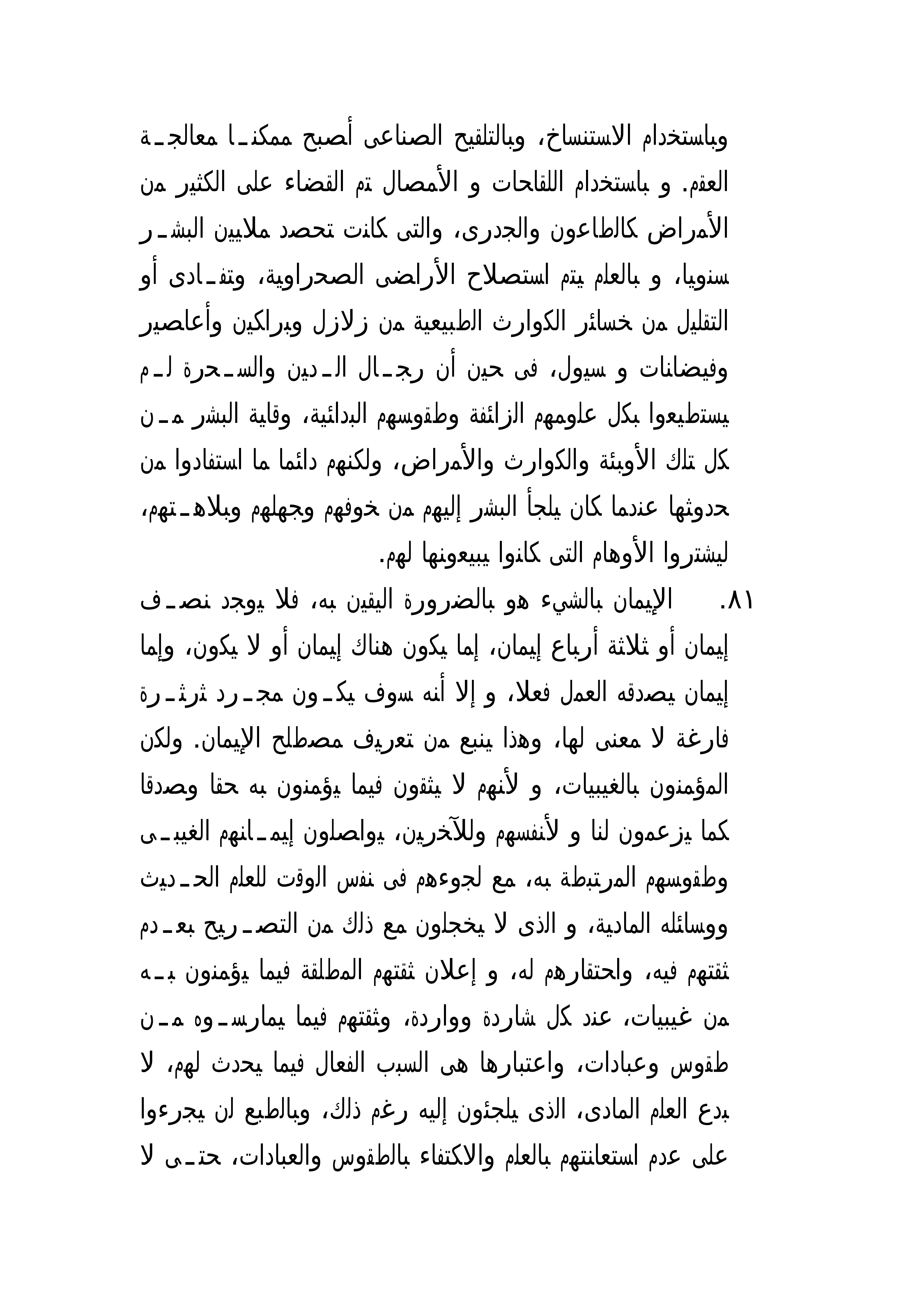
٧٧. يزعم المؤمنون بالغيبيات على شتى اتجاهـاتهم أن لـديهم تفاسير لما يحدث بالواقع الطبيعى من حـوادث، فهـم غالبـا مـا يفسرون الكوارث الطبيعية على أنها تعبير عن غضـب كائنـات غيبية على البشر، و أحيانا تفسيرها أيضا بأنها بسـبب لا مبـالاة الكائنات الغيبية تجاه ما يحدث للبشر من كوارث، أو تفسيرها بأن الكائنات الغيبية الشريرة تسبب الكوارث لأنها تستمتع بعذاب البشر مثلما كان"يهوة" يستمتع برائحة اللحم البشرى المحتـرق لضـحايا المذابح التى أمر بها، كما ورد فى العهد القديم، أو تفسير ما حدث أنه نتيجة الصراع بين كائنات غيبية خيرة و كائنات غيبية شريرة، و في كل الأحوال لا إمكانية طبعاً لترجيح أي من هذه الاحتمالات، فكل تفسير له نفس درجة المعقولية كالتفسير الآخر. . و من هنـا فإن الموقف اللا أدري هو أقصى ما يمكن تبنّيه عند التعامل مـع أي ظاهرة أو حدث طبيعي، وسبب ذلك هو أن أي تفسير يتوافـق مع الطبيعة يمكن إيجاد تفسيرات أخرى مثله على نفس الأرضـية النظرية البحتة، وتوفير إجابة على السؤال ذاته.

٧٨. هناك كثير من الأفكار الغيبية من النوع الذي لا يمكن تفنيده أو تأكيده، و لا يمكن الوصول لجزم أو ترجيح بخصوصها عـن طريق عالمنا المادي لأنها لا تتنافى مع أي ظاهرة طبيعية، و مثل تلك الأفكار لا تفسر أي ظواهر أو أحداث طبيعية، مثـل إجابـة أسئلة من نوع كم ملاك يستطيع الوقوف على سن إبـرة؟، وهـل الملائكة إناث أم ذكور؟، و هذه الفرضيات، لا يمكن إثباتهـا لأن وقائع الوجود المادي تقف حيادياً تجاهها، وهى لن تفيد في شـيء في حال ثبتت صحتها أو خطؤها أو فى حالة عدم ثبوتها.

٧٩. هناك الأفكار الغيبية التي تتناقض مع عالمنا المادي، مثـل إمكانية ميلاد بشر ذكر يحوى الدنا الخاص به على الكروموزوم (xy) الخاص بالذكورة من أنثى عذراء لا يحتوى الدنا الخاص بها على هذا الكروموزوم، وليس كذلك فحسب بل انجبتـه بغيـر أن يمسها ذكر يحمل هذا الكروموزوم أصلا، مما يعنى بالضرورة أن المولود حصل على كل كروموزوماته منها، بالاستنساخ مثلا، مما لابد وأن يجعله أنثى مطابقة تماما لأمها فى كل صفاتها، فمن أيـن أتى المسيح بذكورته إذن؟، وهذا ينطبق على خلق حواء من خلايا ضلع آدم بالاستنساخ أيضا، فمن أيـن لهـا بـالكروموزوم (xx) الخاص بالأنوثة، و لا إجابة على كل هذا لدى الغيبيـين إلا إرادة ا المعجزة، ومثل آخر هو هذا الوهم الخاص بإمكانية بعث أجساد البشر بعد تلاشيها، بالموت والتحلل، والتجول بلا نهايـة لـذراتها وجزيئاتها بين شتى الكائنات الحية وغير الحية، و لا إجابة علـى كل هذا لدى الغيبيين إلا إرادة ا المعجزة، هـذه النوعيـة مـن الأفكار الغيبية هى الوحيدة التي يمكن التعامل معها وتفنيـدها، لأن

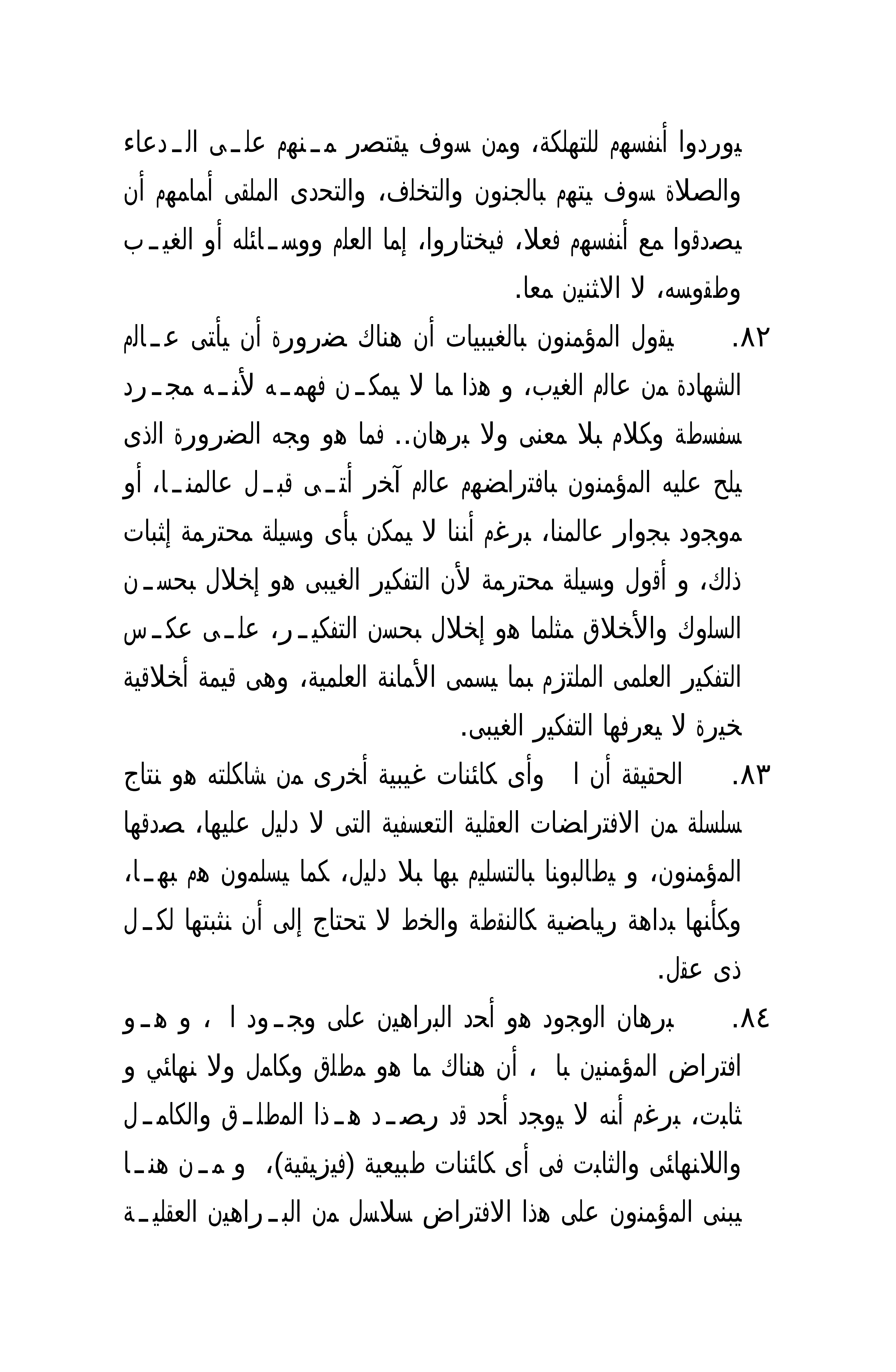

التسليم بها يوقعنا في تناقض، أن نؤمن بالشيء وعكسه في نفس الوقت، بحقائق العلم المؤكدة، وأساطير الغيب غير المؤكدة، وبالتالي نخرق أسس العقلانية، ولذلك فإننا مضطرون لعدم التسليم بها لو شئنا احترام عقولنا، أما محاولة الاستعاضة عن هذا الأفكار بأفكار غيبية أخرى لا تتناقض مع عالمنا المادي، فذلك يحيلنا إلى النوعيتين السابقتين من الأفكار الغيبية حيث لا إمكانية لإثبات أي فرضية أو نفيها.

٨٠. المعرفة التى استفاد منها البشر فعلا هى المعرفة العلمية، وهى تقوم على استخدام الوسائل الحسية المباشرة عن طريق إدراك الشيء مباشرة بالحواس البشرية من سمع وبصر ولمس وغيرها، و بشكل غير مباشر بمساعدة امتدادات هذه الحواس من أجهزة علمية مختلفة كالتلسكوبات والميكروسكوبات، فالمرجع النهائى للمعرفة هو الاحساس المباشر، وما يقوم على هذا الإحساس من عمليات ذهنية تقوم على المنطق والتحليل الرياضى. أما المعرفة الغيبية فلم يحصد منها البشر إلا المذابح و الكوارث والحروب والتخلف واستمرار القهر والاستغلال بين البشر والظلم بينهم والعبودية، وإهدار الطاقة والوقت والجهد لحساب أقلية محتالة تعيش على حساب المنتجين وتستبد بهم، فالأدوية والجراحات هى التى تشفى من الأمراض وتقينا منها، وليس الدعاء والصلاة والتعاويذ والأحجبة.. إنزال المطر ، والتحكم فى نزوله أصبح ممكنا ، بعد تطور علم الأرصاد الجوية، لا صلاة الاستسقاء،.. التحكم فى نوع الجنين، ذكرا كان أو أنثى، وخصائصه الطبيعية والنفسية، بعد اكتشاف الخريطة الجينية للبشر أصبح متاحا،



وباستخدام الاستنساخ، وبالتلقيح الصناعى أصبح ممكنا معالجة العقم. و باستخدام اللقاحات و الأمصال تم القضاء على الكثير من الأمراض كالطاعون والجدرى، والتى كانت تحصد ملايين البشر سنويا، و بالعلم يتم استصلاح الأراضى الصحراوية، وتفادى أو التقليل من خسائر الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وأعاصير وفيضانات و سيول، فى حين أن رجال الدين والسحرة لم يستطيعوا بكل علومهم الزائفة وطقوسهم البدائية، وقاية البشر من كل تلك الأوبئة والكوارث والأمراض، ولكنهم دائما ما استفادوا من حدوثها عندما كان يلجأ البشر إليهم من خوفهم وجهلهم وبلاهتهم، ليشتروا الأوهام التى كانوا يبيعونها لهم.

٨١. الإيمان بالشيء هو بالضرورة اليقين به، فلا يوجد نصف إيمان أو ثلاثة أرباع إيمان، إما يكون هناك إيمان أو لا يكون، وإما إيمان يصدقه العمل فعلا، و إلا أنه سوف يكون مجرد ثرثرة فارغة لا معنى لها، وهذا ينبع من تعريف مصطلح الإيمان. ولكن المؤمنون بالغيبيات، و لأنهم لا يثقون فيما يؤمنون به حقا وصدقا كما يزعمون لنا و لأنفسهم وللآخرين، يواصلون إيمانهم الغيبى وطقوسهم المرتبطة به، مع لجوءهم فى نفس الوقت للعلم الحديث ووسائله المادية، و الذى لا يخجلون مع ذلك من التصريح بعدم ثقتهم فيه، واحتقارهم له، و إعلان ثقتهم المطلقة فيما يؤمنون به من غيبيات، عند كل شاردة وواردة، وثقتهم فيما يمارسوه من طقوس وعبادات، واعتبارها هى السبب الفعال فيما يحدث لهم، لا بدع العلم المادى، الذى يلجئون إليه رغم ذلك، وبالطبع لن يجرءوا على عدم استعانتهم بالعلم والاكتفاء بالطقوس والعبادات، حتى لا



يوردوا أنفسهم للتهلكة، ومن سوف يقتصر منهم على الدعاء والصلاة سوف يتهم بالجنون والتخاف، والتحدى الملقى أمامهم أن يصدقوا مع أنفسهم فعلا، فيختاروا، إما العلم ووسائله أو الغيب وطقوسه، لا الاثنين معا.

٨٢. يقول المؤمنون بالغيبيات أن هناك ضرورة أن يأتى عالم الشهادة من عالم الغيب، و هذا ما لا يمكن فهمه لأنه مجرد سفسطة وكلام بلا معنى ولا برهان.. فما هو وجه الضرورة الذى يلح عليه المؤمنون بافتراضهم عالم آخر أتى قبل عالمنا، أو موجود بجوار عالمنا، برغم أننا لا يمكن بأى وسيلة محترمة إثبات ذلك، و أقول وسيلة محترمة لأن التفكير الغيبى هو إخلال بحسن السلوك والأخلاق مثلما هو إخلال بحسن التفكير، على عكس التفكير العلمى الملتزم بما يسمى الأمانة العلمية، وهى قيمة أخلاقية خيرة لا يعرفها التفكير الغيبى.

٨٣. الحقيقة أن ا وأى كائنات غيبية أخرى من شاكلته هو نتاج سلسلة من الافتراضات العقلية التعسفية التى لا دليل عليها، صدقها المؤمنون، و يطالبونا بالتسليم بها بلا دليل، كما يسلمون هم بها، وكأنها بداهة رياضية كالنقطة والخط لا تحتاج إلى أن نثبتها لكل ذى عقل.

٨٤. برهان الوجود هو أحد البراهين على وجود ا ، و هو افتراض المؤمنين با ، أن هناك ما هو مطلق وكامل ولا نهائي و ثابت، برغم أنه لا يوجد أحد قد رصد هذا المطلق والكامل واللانهائى والثابت فى أى كائنات طبيعية (فيزيقية)، و من هنا يبنى المؤمنون على هذا الافتراض سلاسل من البراهين العقلية

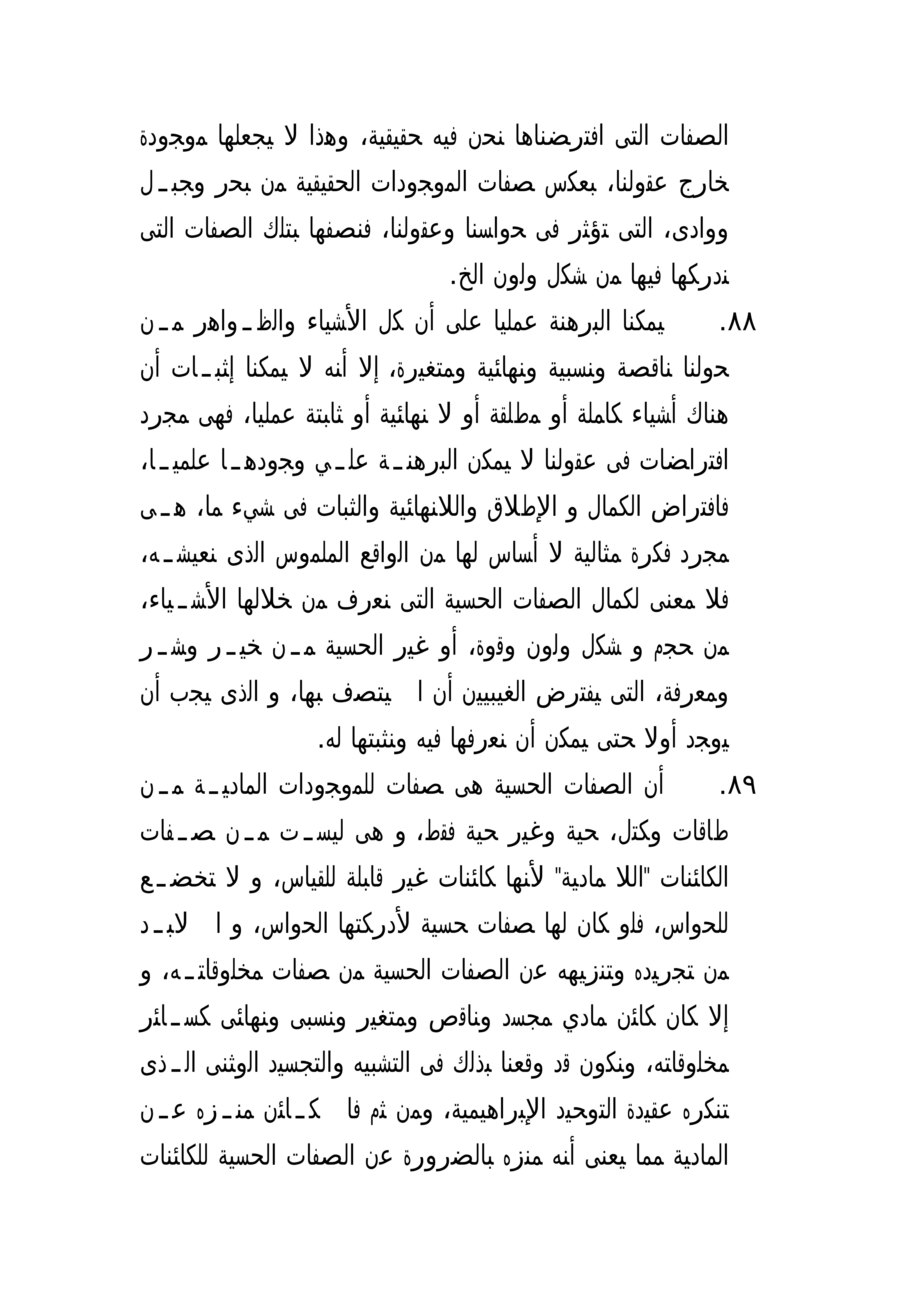
على وجود كائنات مطلقة وكاملة ولا نهائية و ثابتـة لا طبيعيـة (ميتافيزيقية)، لأن كل ما هو غير موجود لا يمكن أن يكون مطلق وكامل ونهائى وثابت، وبما أن هناك ما هو كامل ومطلق ونهـائى و ثابت، كما يفترضون هم عقليا، فأنـه لا بـد أن هـذا الكمـال والإطلاق و اللانهائية و الثبات يتمثـل فـى كـائن لا مـادى أو ميتافيزيقى، أى ما كان اسـمه، ا ، براهمـا، زيـوس، وحـش الإسباجيتى الطائر، التنين الوردى، وهـذا هـو برهـان وجـوده الرئيسى لديهم، رغم أنه لا يمكـن أن تدركـه الكائنـات الماديـة الفيزيقية مثلنا إلا عن طريق إيمانها العقلى بوجوده لا عن طريـق الحواس. وبرغم ذلك يطالبون من ينفى وجوده بالدليل علـى هـذا النفى، كما لو كانوا هم قد أتوا بـدليل الوجـود، والحقيقـة التـى يتغاضون عنها فى هذه الحالة أن البينة على من أدعى لا على من أنكر، ونحن لا ندعى وجود تلك الكائنات حتى تكون علينا البينـة بإثبات نفيها، فعلى من يدعون وجودها أن يثبتوا هذا الوجـود لنـا بالبينة. فهم يدعون أن الكون مخلوق، فعلـيهم إذن اثبـات كونـه مخلوق فضلا عن اثبات وجود من خلقه بناء على ذلك، أمـا مـن يقولون مثلنا أن الكون غير مخلوق فليس عليهم اثبات نفى وجـود هذا الخالق المزعوم لكون يؤكدون بأنفسهم أنه غير مخلوق.

٨٥. المؤمنون با يفترضون ضرورة وجود ما هو كامل وثابت ومطلق و لانهائي برغم كل ما يرونه من نقص وتغيـر ونسـبية ونهائية فى كل ما حولهم من أشياء، و هم بناء على ذلك الفـرض يثبتون وجود ا ، لأن ا لا بد و أن يكون كامل وثابت ومطلق و لانهائي، وهى أحد أهم الحجج التى يبرهنون بها على وجود ا ، و

تسمى حجة الوجوب وهى تقوم على افتراض أن ا لا بـد وأنـه يتصف بكمال وثبات وإطلاق و لانهائية ينفرد به وحده عـن كـل مخلوقاته، مستندين فى ذلك على أن الكمال والثبـات واللانهائيـة والاطلاقية صفات ضرورية للوجود، ومن ثم فلابد من وجود ما هو كامل فى مقابل ما هو ناقص، ما هو ثابت فى مقابل مـا هـو متغير، ما هو مطلق فى مقابل ما هو نسبى، ما هو لا نهائى فـى مواجهة ما هو نهائى، وهذا دليل على وجود ا من وجهه نظـر المؤمنين به.

٨٦. الحقيقة أن الكمال والثبات والإطلاق واللانهائية ليس صفات ضرورية للوجود كما يزعم المؤمنون، فكل الأشياء مـن حولنـا موجودة رغم نقصها و تغيرها ونسبيتها ونهائيتهـا، فـالوجود إذن ليس صفة كصفات اللون والحجم والشكل التى تلتصق بالموجود أو الشئ بمجرد وجوده، فاللون كصفة لا يمكن أن يوجد منفصلا عن الموجود الملون، فالأزرق صفة لا يمكن فصلها عن البحـر، أمـا البحر كشئ فيمكن أن يتلون بلون آخر، حيـث أن لونـه الأزرق مجرد صفه له، ناتجة عن عدم امتصاصه اللون الأزرق من ضوء الشمس الساقط عليه، بصرف النظر عن إدراكنا لتلـك الصـفة أو معرفتنا بها.

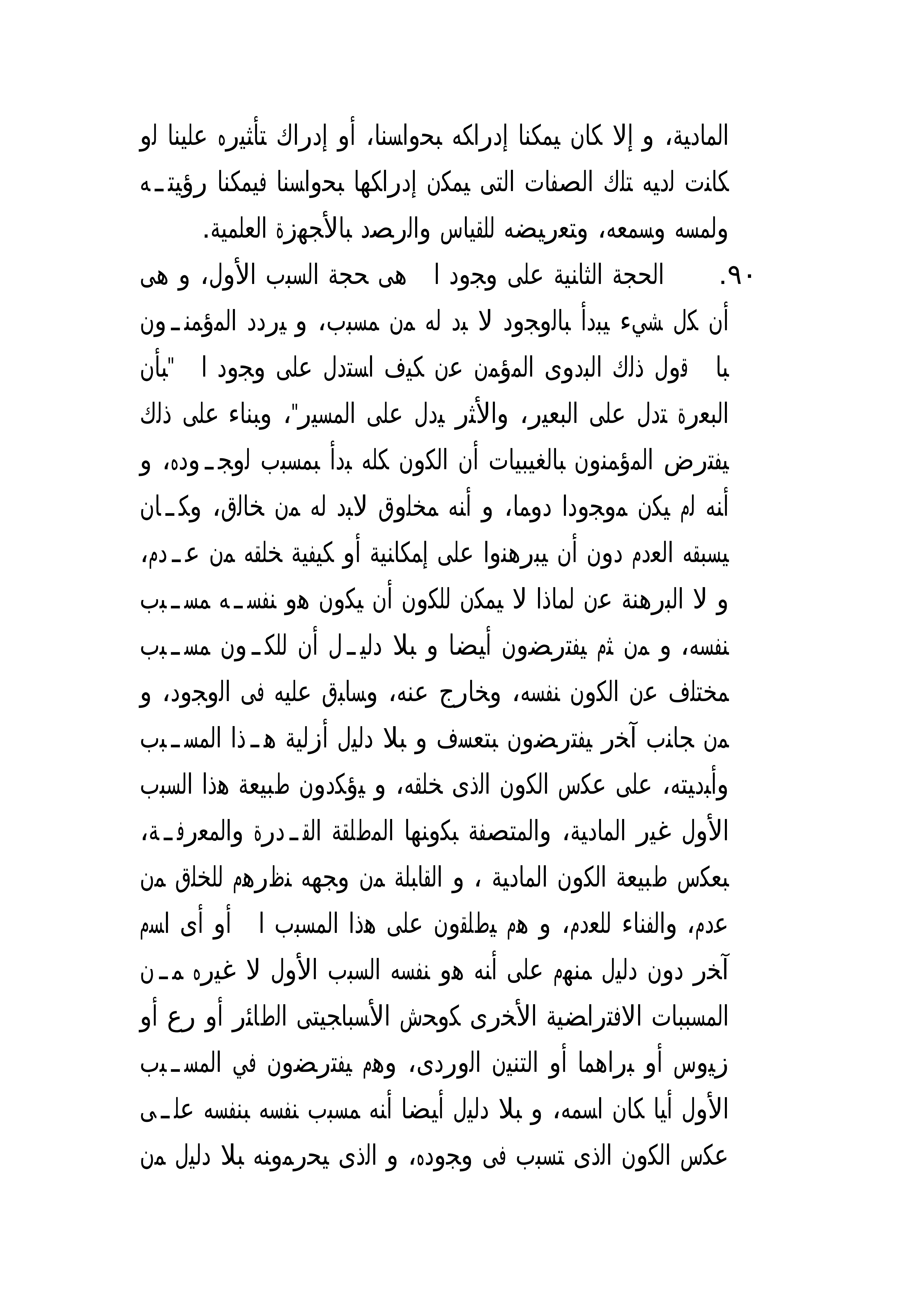
٨٧. غير الموجود إلا فى خيالنا ليس له مـن صـفات إلا مـا نفترضها نحن فيه، فنتخيل الغول، أو وحش الإسباجيتى الطائر، أو التنين الوردى، أو أى كائن غيبى آخر، ونفترض وجوده خـارج عقلنا ككيان مستقل عن هذا العقل، ونعطيه صفات من خيالنـا، إلا أن هذا لا يكفى إطلاقا لمنحه الوجود الحقيقى، و لا يعنى أن هـذه



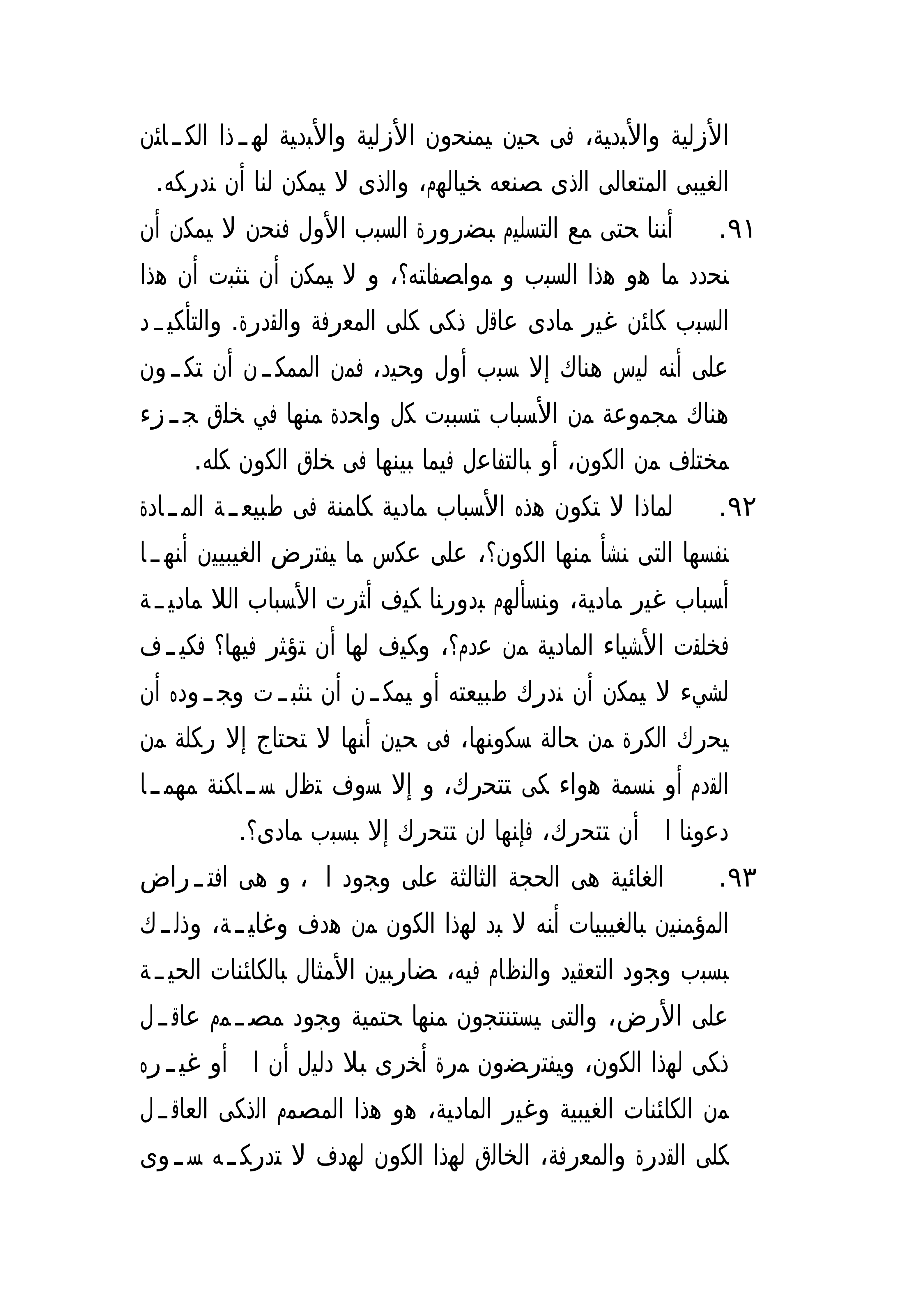
الصفات التى افترضناها نحن فيه حقيقية، وهذا لا يجعلها موجودة خارج عقولنا، بعكس صفات الموجودات الحقيقية من بحر وجبـل ووادى، التى تؤثر فى حواسنا وعقولنا، فنصفها بتلك الصفات التى ندركها فيها من شكل ولون الخ.

٨٨. يمكنا البرهنة عمليا على أن كل الأشياء والظـواهر مـن حولنا ناقصة ونسبية ونهائية ومتغيرة، إلا أنه لا يمكنا إثبـات أن هناك أشياء كاملة أو مطلقة أو لا نهائية أو ثابتة عمليا، فهى مجرد افتراضات فى عقولنا لا يمكن البرهنـة علـي وجودهـا علميـا، فافتراض الكمال و الإطلاق واللانهائية والثبات فى شيء ما، هـى مجرد فكرة مثالية لا أساس لها من الواقع الملموس الذى نعيشـه، فلا معنى لكمال الصفات الحسية التى نعرف من خلالها الأشـياء، من حجم و شكل ولون وقوة، أو غير الحسية مـن خيـر وشـر ومعرفة، التى يفترض الغيبيين أن ا يتصف بها، و الذى يجب أن يوجد أولا حتى يمكن أن نعرفها فيه ونثبتها له.

٨٩. أن الصفات الحسية هى صفات للموجودات الماديـة مـن طاقات وكتل، حية وغير حية فقط، و هى ليسـت مـن صـفات الكائنات "اللا مادية" لأنها كائنات غير قابلة للقياس، و لا تخضـع للحواس، فلو كان لها صفات حسية لأدركتها الحواس، و ا لابـد من تجريده وتنزيهه عن الصفات الحسية من صفات مخلوقاتـه، و إلا كان كائن مادي مجسد وناقص ومتغير ونسبى ونهائى كسـائر مخلوقاته، ونكون قد وقعنا بذلك فى التشبيه والتجسيد الوثنى الـذى تنكره عقيدة التوحيد الإبراهيمية، ومن ثم فا كـائن منـزه عـن المادية مما يعنى أنه منزه بالضرورة عن الصفات الحسية للكائنات


المادية، و إلا كان يمكنا إدراكه بحواسنا، أو إدراك تأثيره علينا لو كانت لديه تلك الصفات التى يمكن إدراكها بحواسنا فيمكنا رؤيتـه ولمسه وسمعه، وتعريضه للقياس والرصد بالأجهزة العلمية.

٩٠. الحجة الثانية على وجود ا هى حجة السبب الأول، و هى أن كل شيء يبدأ بالوجود لا بد له من مسبب، و يردد المؤمنـون با قول ذلك البدوى المؤمن عن كيف استدل على وجود ا "بأن البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير"، وبناء على ذلك يفترض المؤمنون بالغيبيات أن الكون كله بدأ بمسبب لوجـوده، و أنه لم يكن موجودا دوما، و أنه مخلوق لابد له من خالق، وكـان يسبقه العدم دون أن يبرهنوا على إمكانية أو كيفية خلقه من عـدم، و لا البرهنة عن لماذا لا يمكن للكون أن يكون هو نفسـه مسـبب نفسه، و من ثم يفترضون أيضا و بلا دليـل أن للكـون مسـبب مختلف عن الكون نفسه، وخارج عنه، وسابق عليه فى الوجود، و من جانب آخر يفترضون بتعسف و بلا دليل أزلية هـذا المسـبب وأبديته، على عكس الكون الذى خلقه، و يؤكدون طبيعة هذا السبب الأول غير المادية، والمتصفة بكونها المطلقة القـدرة والمعرفـة، بعكس طبيعة الكون المادية ، و القابلة من وجهه نظرهم للخلق من عدم، والفناء للعدم، و هم يطلقون على هذا المسبب ا أو أى اسم آخر دون دليل منهم على أنه هو نفسه السبب الأول لا غيره مـن المسببات الافتراضية الأخرى كوحش الأسباجيتى الطائر أو رع أو زيوس أو براهما أو التنين الوردى، وهم يفترضون في المسـبب الأول أيا كان اسمه، و بلا دليل أيضا أنه مسبب نفسه بنفسه علـى عكس الكون الذى تسبب فى وجوده، و الذى يحرمونه بلا دليل من

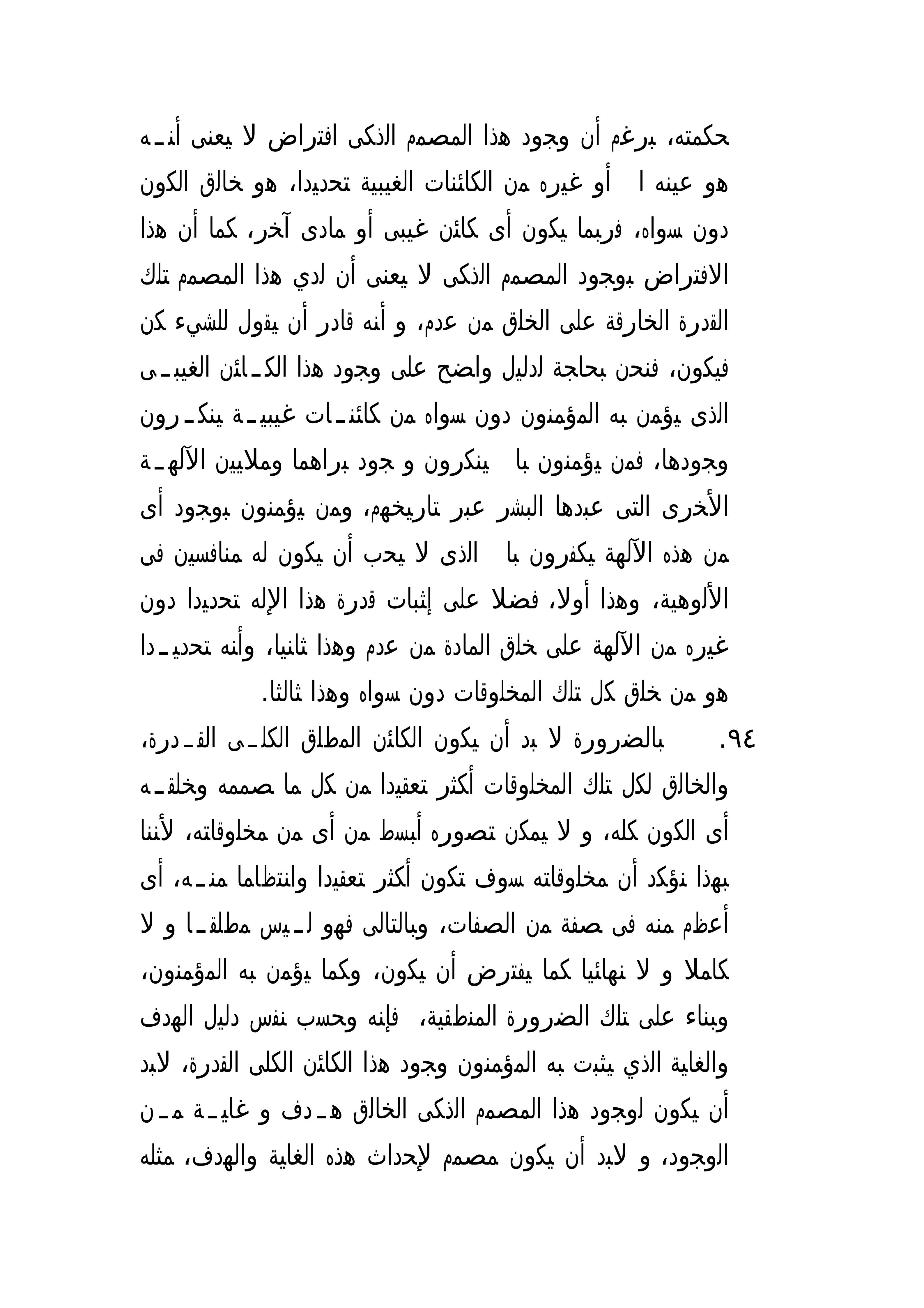


الأزلية والأبدية، فى حين يمنحون الأزلية والأبدية لهذا الكائن الغيبى المتعالى الذى صنعه خيالهم، والذى لا يمكن لنا أن ندركه.

٩١. أننا حتى مع التسليم بضرورة السبب الأول فنحن لا يمكن أن نحدد ما هو هذا السبب و مواصفاته؟، و لا يمكن أن نثبت أن هذا السبب كائن غير مادى عاقل ذكى كلى المعرفة والقدرة. والتأكيد على أنه ليس هناك إلا سبب أول وحيد، فمن الممكن أن تكون هناك مجموعة من الأسباب تسببت كل واحدة منها في خلق جزء مختلف من الكون، أو بالتفاعل فيما بينها فى خلق الكون كله.

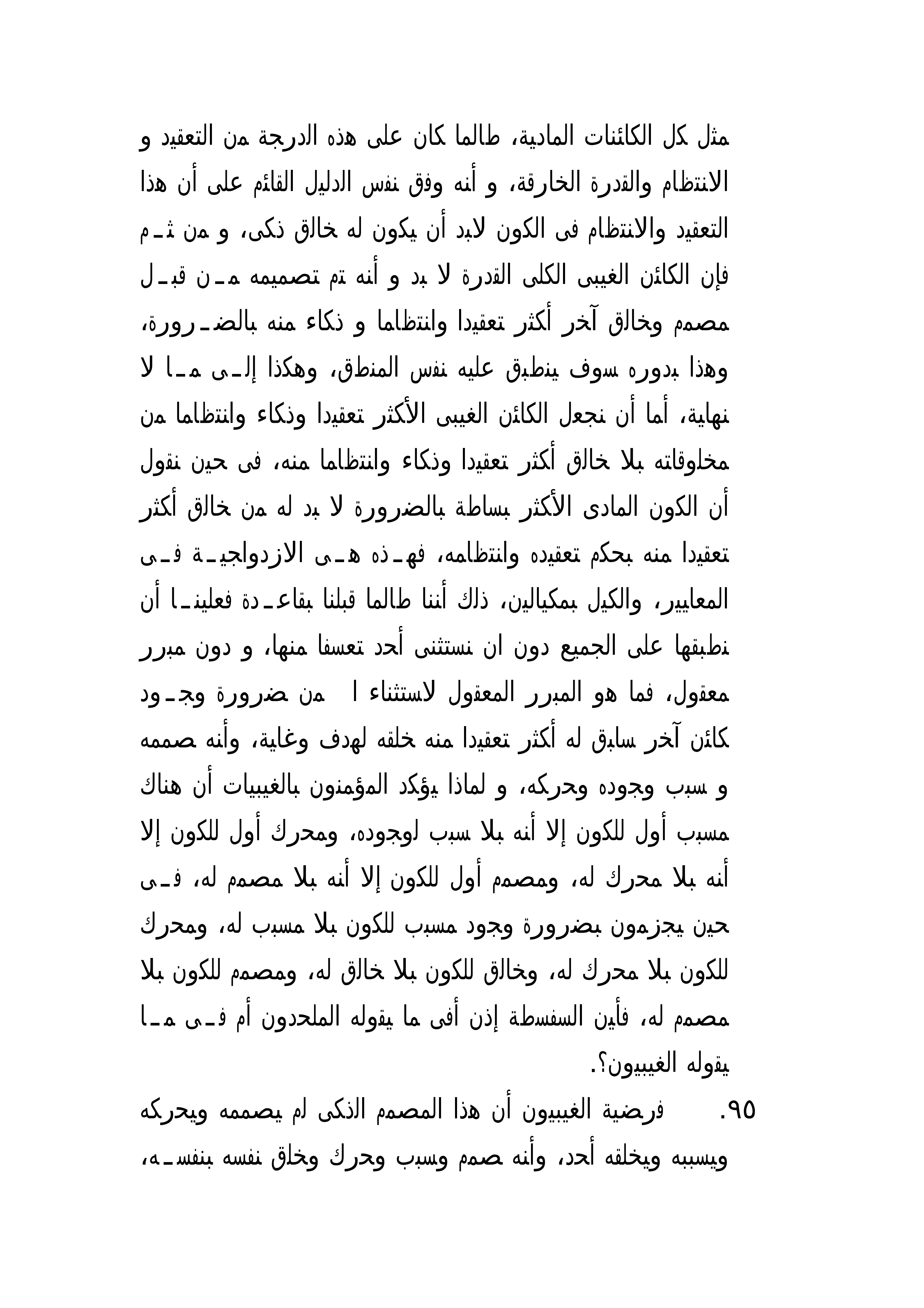
٩٢. لماذا لا تكون هذه الأسباب مادية كامنة فى طبيعة المادة نفسها التى نشأ منها الكون؟، على عكس ما يفترض الغيبيين أنها أسباب غير مادية، ونسألهم بدورنا كيف أثرت الأسباب اللا مادية فخلقت الأشياء المادية من عدم؟، وكيف لها أن تؤثر فيها؟ فكيف لشيء لا يمكن أن ندرك طبيعته أو يمكن أن نثبت وجوده أن يحرك الكرة من حالة سكونها، فى حين أنها لا تحتاج إلا ركلة من القدم أو نسمة هواء كى تتحرك، و إلا سوف تظل ساكنة مهما دعونا ا أن تتحرك، فإنها لن تتحرك إلا بسبب مادى؟.

٩٣. الغائية هى الحجة الثالثة على وجود ا ، و هى افتراض المؤمنين بالغيبيات أنه لا بد لهذا الكون من هدف وغاية، وذلك بسبب وجود التعقيد والنظام فيه، ضاربين الأمثال بالكائنات الحية على الأرض، والتى يستنتجون منها حتمية وجود مصمم عاقل ذكى لهذا الكون، ويفترضون مرة أخرى بلا دليل أن ا أو غيره من الكائنات الغيبية وغير المادية، هو هذا المصمم الذكى العاقل كلى القدرة والمعرفة، الخالق لهذا الكون لهدف لا تدركه سوى



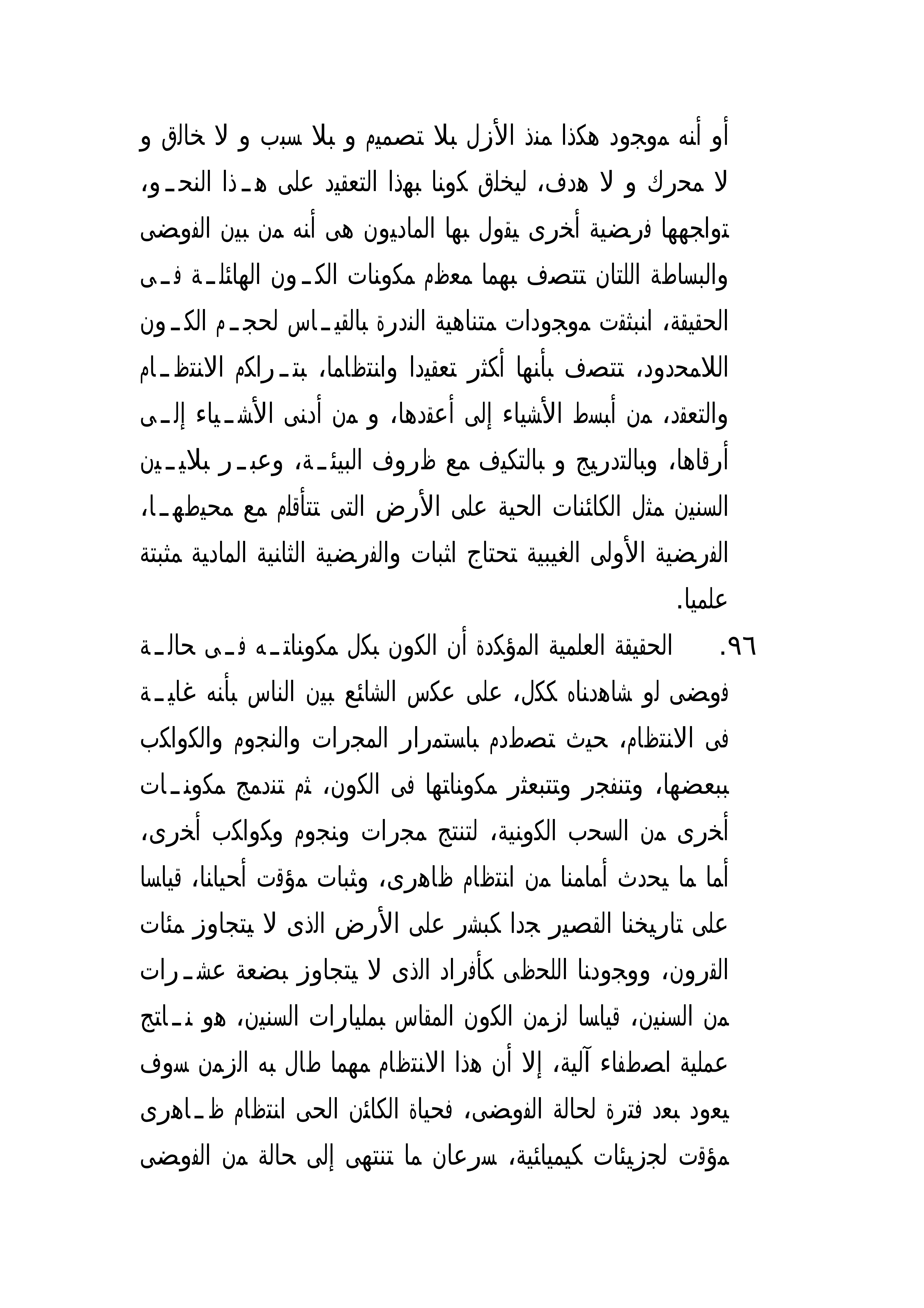
حكمته، برغم أن وجود هذا المصمم الذكى افتراض لا يعنى أنـه هو عينه ا أو غيره من الكائنات الغيبية تحديدا، هو خالق الكون دون سواه، فربما يكون أى كائن غيبى أو مادى آخر، كما أن هذا الافتراض بوجود المصمم الذكى لا يعنى أن لدي هذا المصمم تلك القدرة الخارقة على الخلق من عدم، و أنه قادر أن يقول للشيء كن فيكون، فنحن بحاجة لدليل واضح على وجود هذا الكـائن الغيبـى الذى يؤمن به المؤمنون دون سواه من كائنـات غيبيـة ينكـرون وجودها، فمن يؤمنون با ينكرون و جود براهما وملايين الآلهـة الأخرى التى عبدها البشر عبر تاريخهم، ومن يؤمنون بوجود أى من هذه الآلهة يكفرون با الذى لا يحب أن يكون له منافسين فى الألوهية، وهذا أولا، فضلا على إثبات قدرة هذا الإله تحديدا دون غيره من الآلهة على خلق المادة من عدم وهذا ثانيا، وأنه تحديـدا هو من خلق كل تلك المخلوقات دون سواه وهذا ثالثا.

٩٤. بالضرورة لا بد أن يكون الكائن المطلق الكلـى القـدرة، والخالق لكل تلك المخلوقات أكثر تعقيدا من كل ما صممه وخلقـه أى الكون كله، و لا يمكن تصوره أبسط من أى من مخلوقاته، لأننا بهذا نؤكد أن مخلوقاته سوف تكون أكثر تعقيدا وانتظاما منـه، أى أعظم منه فى صفة من الصفات، وبالتالى فهو لـيس مطلقـا و لا كاملا و لا نهائيا كما يفترض أن يكون، وكما يؤمن به المؤمنون، وبناء على تلك الضرورة المنطقية، فإنه وحسب نفس دليل الهدف والغاية الذي يثبت به المؤمنون وجود هذا الكائن الكلى القدرة، لابد أن يكون لوجود هذا المصمم الذكى الخالق هـدف و غايـة مـن الوجود، و لابد أن يكون مصمم لإحداث هذه الغاية والهدف، مثله



مثل كل الكائنات المادية، طالما كان على هذه الدرجة من التعقيد و الانتظام والقدرة الخارقة، و أنه وفق نفس الدليل القائم على أن هذا التعقيد والانتظام فى الكون لابد أن يكون له خالق ذكى، و من ثم فإن الكائن الغيبى الكلى القدرة لا بد و أنه تم تصميمه من قبل مصمم وخالق آخر أكثر تعقيدا وانتظاما و ذكاء منه بالضرورة، وهذا بدوره سوف ينطبق عليه نفس المنطق، وهكذا إلى ما لا نهاية، أما أن نجعل الكائن الغيبى الأكثر تعقيدا وذكاء وانتظاما من مخلوقاته بلا خالق أكثر تعقيدا وذكاء وانتظاما منه، فى حين نقول أن الكون المادى الأكثر بساطة بالضرورة لا بد له من خالق أكثر تعقيدا منه بحكم تعقيده وانتظامه، فهذه هى الازدواجية فى المعايير، والكيل بمكيالين، ذلك أننا طالما قبلنا بقاعدة فعلينا أن نطبقها على الجميع دون ان نستثنى أحد تعسفا منها، و دون مبرر معقول، فما هو المبرر المعقول لاستثناء ا من ضرورة وجود كائن آخر سابق له أكثر تعقيدا منه خلقه لهدف وغاية، وأنه صممه و سبب وجوده وحركه، و لماذا يؤكد المؤمنون بالغيبيات أن هناك مسبب أول للكون إلا أنه بلا سبب لوجوده، ومحرك أول للكون إلا أنه بلا محرك له، ومصمم أول للكون إلا أنه بلا مصمم له، فى حين يجزمون بضرورة وجود مسبب للكون بلا مسبب له، ومحرك للكون بلا محرك له، وخالق للكون بلا خالق له، ومصمم للكون بلا مصمم له، فأين السفسطة إذن أفى ما يقوله الملحدون أم فى ما يقوله الغيبيون؟.

٩٥. فرضية الغيبيون أن هذا المصمم الذكى لم يصممه ويحركه ويسببه ويخلقه أحد، وأنه صمم وسبب وحرك وخلق نفسه بنفسه،

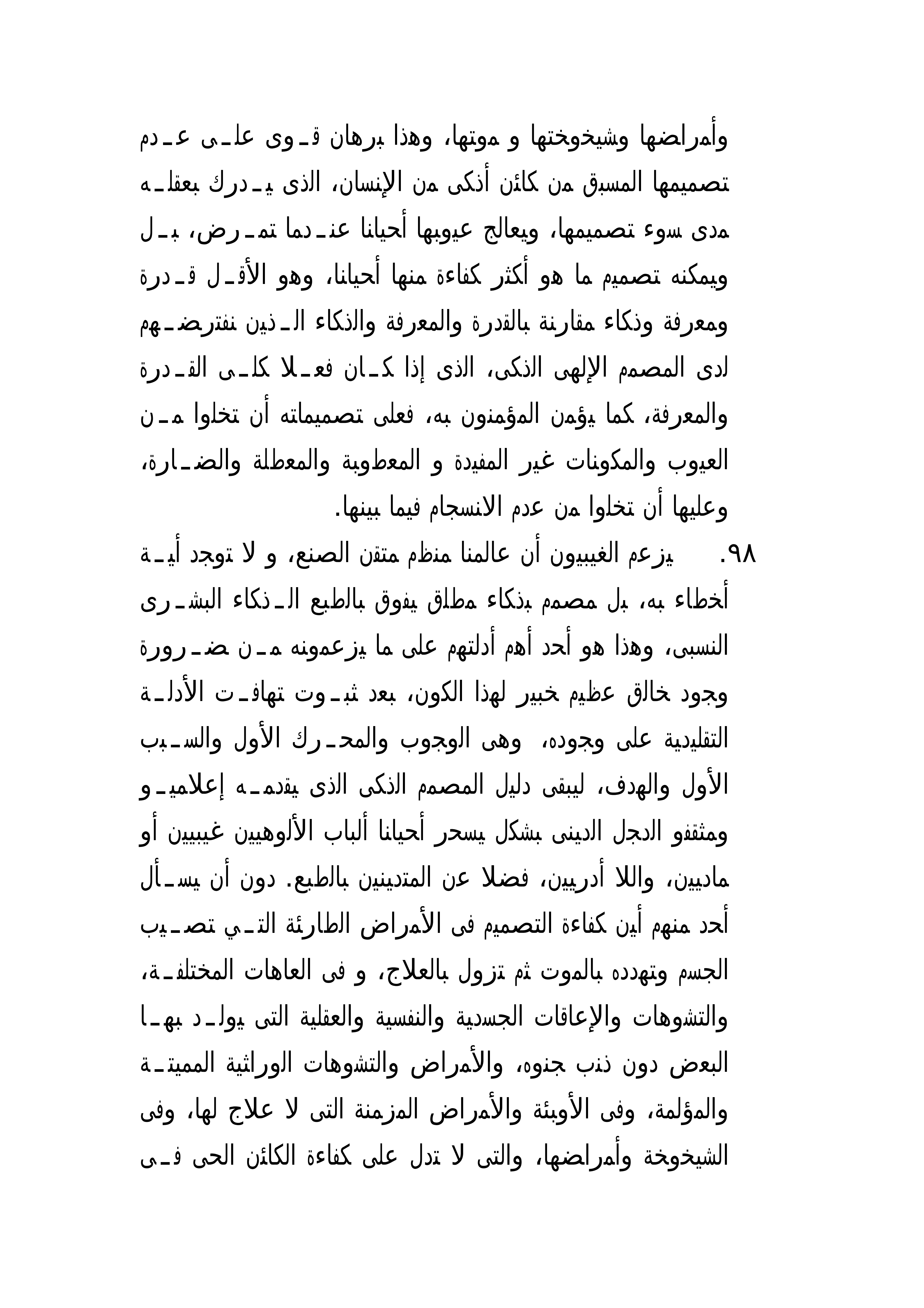


أو أنه موجود هكذا منذ الأزل بلا تصميم و بلا سبب و لا خالق و لا محرك و لا هدف، ليخلق كونا بهذا التعقيد على هذا النحو، تواجهها فرضية أخرى يقول بها الماديون هى أنه من بين الفوضى والبساطة اللتان تتصف بهما معظم مكونات الكون الهائلة فى الحقيقة، انبثقت موجودات متناهية الندرة بالقياس لحجم الكون اللامحدود، تتصف بأنها أكثر تعقيدا وانتظاما، بتراكم الانتظام والتعقد، من أبسط الأشياء إلى أعقدها، و من أدنى الأشياء إلى أرقاها، وبالتدريج و بالتكيف مع ظروف البيئة، وعبر بلايين السنين مثل الكائنات الحية على الأرض التى تتأقلم مع محيطها، الفرضية الأولى الغيبية تحتاج اثبات والفرضية الثانية المادية مثبتة علميا.

٩٦. الحقيقة العلمية المؤكدة أن الكون بكل مكوناته فى حالة فوضى لو شاهدناه ككل، على عكس الشائع بين الناس بأنه غاية فى الانتظام، حيث تصطدم باستمرار المجرات والنجوم والكواكب ببعضها، وتنفجر وتتبعثر مكوناتها فى الكون، ثم تندمج مكونات أخرى من السحب الكونية، لتنتج مجرات ونجوم وكواكب أخرى، أما ما يحدث أمامنا من انتظام ظاهرى، وثبات مؤقت أحيانا، قياسا على تاريخنا القصير جدا كبشر على الأرض الذى لا يتجاوز مئات القرون، ووجودنا اللحظى كأفراد الذى لا يتجاوز بضعة عشرات من السنين، قياسا لزمن الكون المقاس بمليارات السنين، هو ناتج عملية اصطفاء آلية، إلا أن هذا الانتظام مهما طال به الزمن سوف يعود بعد فترة لحالة الفوضى، فحياة الكائن الحى انتظام ظاهرى مؤقت لجزيئات كيميائية، سرعان ما تنتهى إلى حالة من الفوضى

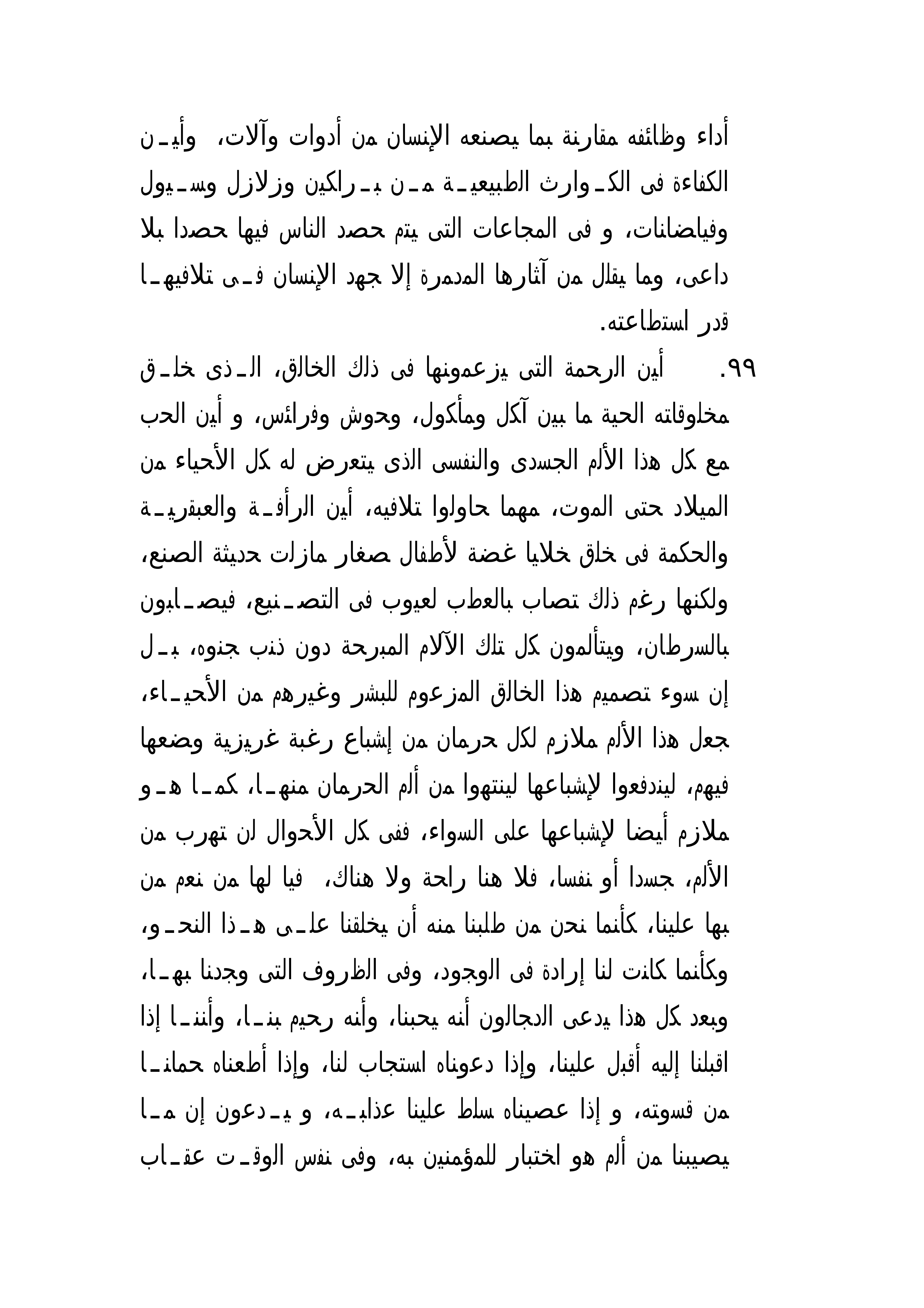
تؤدى لموت هذا الكائن الحى، و المجموعة الشمسية التـي نـرى كواكبها تتحرك بشكل منتظم فى أفلاكها، فإن انتظامها طـارئ و مؤقت و سوف يتلاشى بعد زمن طويل بالنسبة لمقاييسنا البشـرية القصيرة لحالة من الفوضى، و إن هذا الانتظام المؤقت للمجموعة الشمسية قد حدث لأن كل جسم لا يسير بسـرعة معينـة و وفـق مسار معين فى مجال جاذبية الشمس ابتلعته الشمس او انفلت مـن حقل جاذبيتها، و لم يبقى في النهاية إلا الكواكب التي نراهـا الان والتى سوف تبتلع الشمس معظمها عند انفجارها بعد خمسة مليون سنة، لتتكون مجموعة نجمية جديدة على أنقاض القديمـة بـنفس الطريقة التى تكونت بها مجموعتنا الشمسية،من مجموعة نجميـة أسبق، و الكائنات الحية تخضع لنفس المبدأ فتغيرهـا نـاتج عـن عمليتين هما الطفرات الوراثية التى تحدث للكائنات الحية، والتكيف مع ظروف الطبيعة، فمن يتكيف يبقى ومن لا يتكيـف ينقـرض، وهذا مـا يـؤدى إلـى الانتخـاب الطبيعـي للكائنـات الحيـة. و يؤكد تلك الحقيقة أن هناك تطابقا مذهلا مع السجل الأحفـوري الذي يؤرخ للحياة فوق كوكبنا، فنجد الكائنات الحية بدأت قبـل ٤ أربعة مليارات سنة، بدائية بسيطة، و ازدادت تعقيدا بالتدريج نتيجة تراكم الطفرات، و تفاعلها مع الوسط الخارجي، و لعبت البيئـة و الظروف الطبيعية دور الانتقاء، فكل الكائنات التي "فشـلت" فـي العيش وفق ظروف بيئتها انقرضت... و لم نعد نرى الان بعد هذه الرحلة الطويلة الا الكائنات الحية "الناجحة" و المتأقلمة مع بيئتها.

٩٧. الكائنات الحية التى يبرهنون بها غالبا على وجود المصمم الذكى، تمتلئ فى الحقيقة بالتصميمات السيئة مما يسـبب إعاقتهـا



وأمراضها وشيخوختها و موتها، وهذا برهان قوى على عدم تصميمها المسبق من كائن أذكى من الإنسان، الذى يدرك بعقله مدى سوء تصميمها، ويعالج عيوبها أحيانا عندما تمرض، بل ويمكنه تصميم ما هو أكثر كفاءة منها أحيانا، وهو الأقل قدرة ومعرفة وذكاء مقارنة بالقدرة والمعرفة والذكاء الذين نفترضهم لدى المصمم الإلهى الذكى، الذى إذا كان فعلا كلى القدرة والمعرفة، كما يؤمن المؤمنون به، فعلى تصميماته أن تخلوا من العيوب والمكونات غير المفيدة و المعطوبة والمعطلة والضارة، وعليها أن تخلوا من عدم الانسجام فيما بينها.

٩٨. يزعم الغيبيون أن عالمنا منظم متقن الصنع، و لا توجد أية أخطاء به، بل مصمم بذكاء مطلق يفوق بالطبع الذكاء البشرى النسبى، وهذا هو أحد أهم أدلتهم على ما يزعمونه من ضرورة وجود خالق عظيم خبير لهذا الكون، بعد ثبوت تهافت الأدلة التقليدية على وجوده، وهى الوجوب والمحرك الأول والسبب الأول والهدف، ليبقى دليل المصمم الذكى الذى يقدمه إعلاميو ومثقفو الدجل الدينى بشكل يسحر أحيانا ألباب الألوهيين غيبيين أو ماديين، واللا أدريين، فضلا عن المتدينين بالطبع. دون أن يسأل أحد منهم أين كفاءة التصميم فى الأمراض الطارئة التي تصيب الجسم وتهدده بالموت ثم تزول بالعلاج، و فى العاهات المختلفة، والتشوهات والإعاقات الجسدية والنفسية والعقلية التى يولد بها البعض دون ذنب جنوه، والأمراض والتشوهات الوراثية المميتة والمؤلمة، وفى الأوبئة والأمراض المزمنة التى لا علاج لها، وفى الشيخوخة وأمراضها، والتى لا تدل على كفاءة الكائن الحى فى



أداء وظائفه مقارنة بما يصنعه الإنسان من أدوات وآلات، وأين الكفاءة فى الكوارث الطبيعية من براكين وزلازل وسيول وفياضانات، و فى المجاعات التى يتم حصد الناس فيها حصدا بلا داعى، وما يقلل من آثارها المدمرة إلا جهد الإنسان فى تلافيها قدر استطاعته.

٩٩. أين الرحمة التى يزعمونها فى ذلك الخالق، الذى خلق مخلوقاته الحية ما بين آكل ومأكول، وحوش وفرائس، و أين الحب مع كل هذا الألم الجسدى والنفسى الذى يتعرض له كل الأحياء من الميلاد حتى الموت، مهما حاولوا تلافيه، أين الرأفة والعبقرية والحكمة فى خلق خلايا غضة لأطفال صغار مازلت حديثة الصنع، ولكنها رغم ذلك تصاب بالعطب لعيوب فى التصنيع، فيصابون بالسرطان، ويتألمون كل تلك الآلام المبرحة دون ذنب جنوه، بل إن سوء تصميم هذا الخالق المزعوم للبشر وغيرهم من الأحياء، جعل هذا الألم ملازم لكل حرمان من إشباع رغبة غريزية وضعها فيهم، ليندفعوا لإشباعها لينتهوا من ألم الحرمان منها، كما هو ملازم أيضا لإشباعها على السواء، ففى كل الأحوال لن تهرب من الألم، جسدا أو نفسا، فلا هنا راحة ولا هناك، فيا لها من نعم من بها علينا، كأنما نحن من طلبنا منه أن يخلقنا على هذا النحو، وكأنما كانت لنا إرادة فى الوجود، وفى الظروف التى وجدنا بها، وبعد كل هذا يدعى الدجالون أنه يحبنا، وأنه رحيم بنا، وأننا إذا اقبلنا إليه أقبل علينا، وإذا دعوناه استجاب لنا، وإذا أطعناه حمانا من قسوته، و إذا عصيناه سلط علينا عذابه، و يدعون إن ما يصيبنا من ألم هو اختبار للمؤمنين به، وفى نفس الوقت عقاب

للكافرين به، فساوى بذلك و هو العادل بين من أطاعوه وعصوه على السواء، فما الجدوى من طاعته إذن، ولما الخوف من عصيانه إذن، وحقيقة الأمر، أنه لا يقبل على المقبلين عليه، و لا يدبر عن المدبرين عنه، و لا يستجيب لدعاء المؤمنين به، ولا يعنيه صمت الملحدين به، و لا يرحم من يطيعونه، و لا يعاقب من يعصونه، فهو لا يضر و لا ينفع. مهما أطاعوه أو عصوه. لأنه ببساطة وهم صنعوه لأنفسهم لأغراض التخدير و التسلط والتربح.

١٠٠. هناك مشاكل تدل على سوء التصميم في أجسام الكائنات الحية نفسها. فشبكية العين عكس العديد من الأعضاء في الجسم، حيث تكون الطبقة الوظيفية في الداخل، وتأتيها من الخارج الطبقات المغذية (الأوعية الدموية)، لكن في شبكية العين نلاحظ أن التركيب مختلف، فالطبقة الحساسة للضوء هي في الخارج، وأما الأوعية الدموية فهي في الداخل. وأضرار هذا التصميم، هو وجود البقعة العمياء في العين، وهي بقعة غير حساسة للضوء، ولكن هذه المشكلة يمكن تجاوزها، أما المشكلة الأكبر فهي ارتباط العصب البصري بالشبكية من داخل العين فقط وليس من جزءها الخلفي، وهذا يجعل الارتباط ضعيف بين الشبكية ومؤخرة العين، مما يؤدي عند كثير من البشر إلى حدوث انفصال الشبكية والعمى...... كما نلاحظ عند الرجال أن القناة التي تنقل البول إلى الخارج تمر في وسط البروستات، هذا التصميم يؤدي إلى كثير من المشاكل وخاصةً عند الكهول المصابين بضخامة البروستات مما يعيق تدفق البول. و آلام الظهر تأتى عن الأقراص الفقرية الرقيقة و وجود التحدب الخاص في أسفل الظهر، وفي الحقيقة فإن

تصميماً بديلاً مع زيادة ثخانة الأقراص وانحناء بسيط مـع أعلـى الجذع للأمام سيخفف الضـغط علـى الفقـرات ويقلـل خطـر الانزلاق.... دوالي الأطراف السفلية التي تسـبب توسـع الأوردة الدموية وانتفاخها و أحياناً جلطات دموية مميتة، يمكـن إصـلاحه بوجود عدد أكبر من الصمامات في أوردة الساق مما يقلل خطـر الدوالي.

١٠١. الإنسان والقرود العليا تحتاج إلى فيتـامين "سـي" بصـفة يومية، الغريب هو أن أغلب الكائنات تملك خاصية الإنتاج الـذاتي له في تركيبها ومن بينها الإنسان والقرد. المفروض أنهم يملكـون خاصية الإنتاج الذاتي لهذا الفيتامين في تـركيبهم الجينـي. وهـو موجود ولكنه في نفس الوقت "معطل عن العمل" لسببٍ ما. الزائدة الدودية ليس لها أي فائدة، وهي زائدة عن حاجة الجسم، وهي في الأغلب تمثل جراباً لتجميع البكتيريا، وتتضخم غالباً ليلجأ الشخص للتخلص منها. فك الإنسان "مصمم" أصغر من الحجم المناسب لعدد الأسنان الموجودة فيه، وهذا هو السبب في وجود "ضروس العقل" التي تتسبب في حدوث مشاكل عند أغلب الأشخاص.

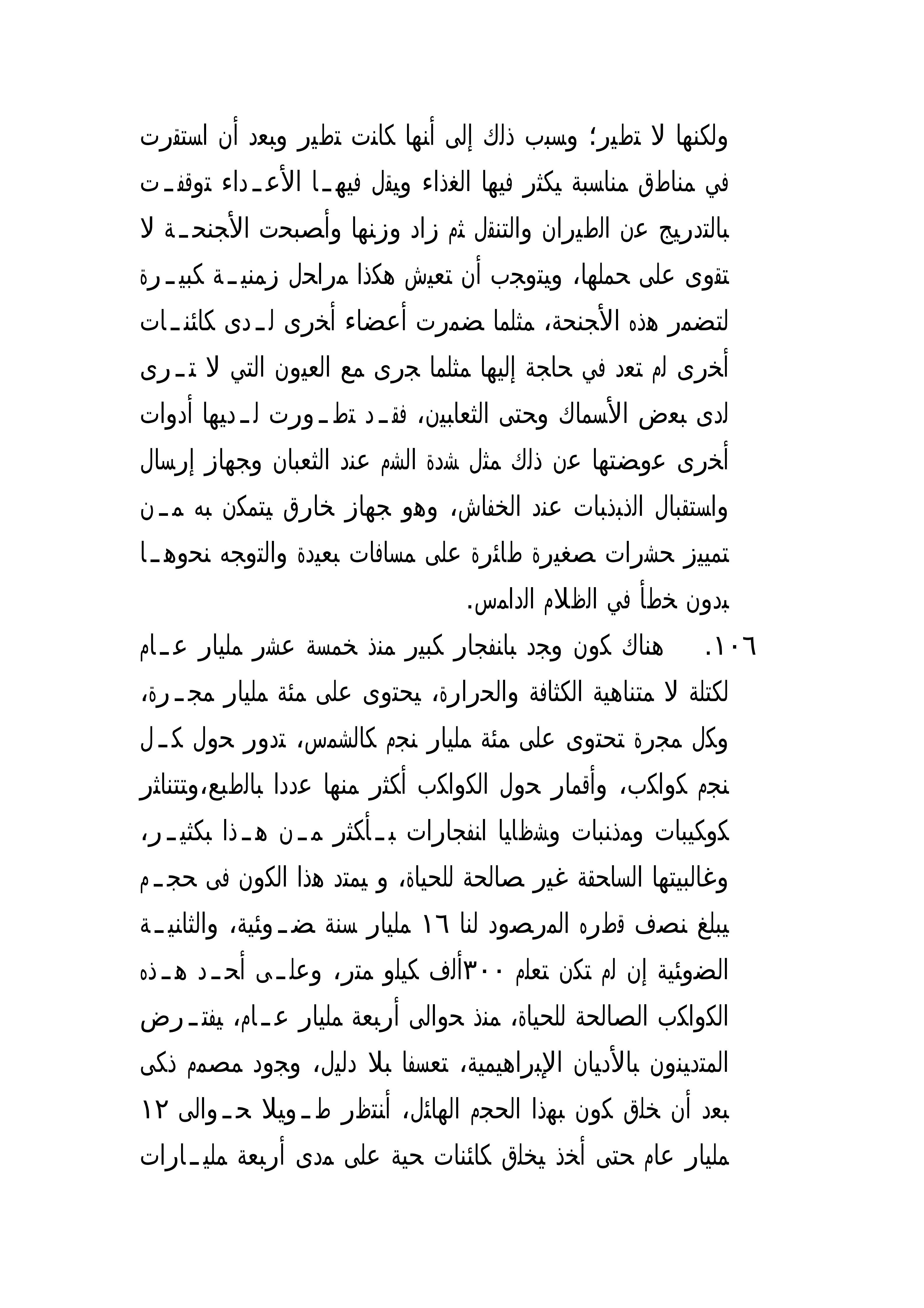
١٠٢. الكائنات المائية التـي لا تعـيش إلا فـي أعمـاق المـاء والكهوف، بحيث تكون الرؤية منعدمة تماماً، لها أعـين معطلـة عمياء لا فائدة منها كسمكة السمندل مثلاً. بعض الثعـابين التـي تمتلك رئتين أحداهما تعمل والأخرى معطلة. البقايا الضامرة لعظام الرجل وعظام الحوض الضامرة والغير مستخدمة فـي الثعـابين والحيتان. أجنحة الطيور التي لا تطير كالدجاج مـثلاً. الأجنحـة الضامرة لطيور لا تطير إطلاقاً كالكيوي. هناك مكونات أخرى فى

جسم الإنسان يسمونها مكونات أثرية مثل بقايـا الجفـن الثالـث الموجود فى العين الظاهر فى القرنية فى ركنها القريب من أعلـى الأنف، والعصص الذى هو ذيل ضامر فى نهاية العمود الفقـرى، والغشاء الجلدى ما بين الأصابع. والحلمتان بثدى الرجل اللذان لا وظيفة لهما.

١٠٣. ٩٨% - ٩٩ % من "الدي إن إيه" في جسم الإنسان معطل وليس له وظيفة في بناء الجسم. و من المعروف أن الميتوكوندريا إحدى مكونات الخلايا والمختصة بإمداد الخلية بالطاقة تحتوي على جينات البروتينات الخاصة بها في داخلهـا، وفـي هـذا تعتبـر الميتوكوندريا "خلية" مستقلة داخل الخلية الأم، فمن المعـروف أن النواة فقط هي التي تحوي على جينات صنع البروتينـات، ولكـن الميتوكوندريا كسرت هذه القاعدة. وللعلم فقـد وجِـدت الجينـات الميتوكوندرية المسئولة عن صـنع البروتينـات الميتوكوندريـة، مكررة مرة أخرى في النواة ! الذي توجد الجينـات المكونـة لـه مرتين في الخلية؛ مرة في النواة، ومرة أخرى في الميتوكونـدريا، فما هذا الإهدار الذكى للموارد أيها المصمم الذكى؟.

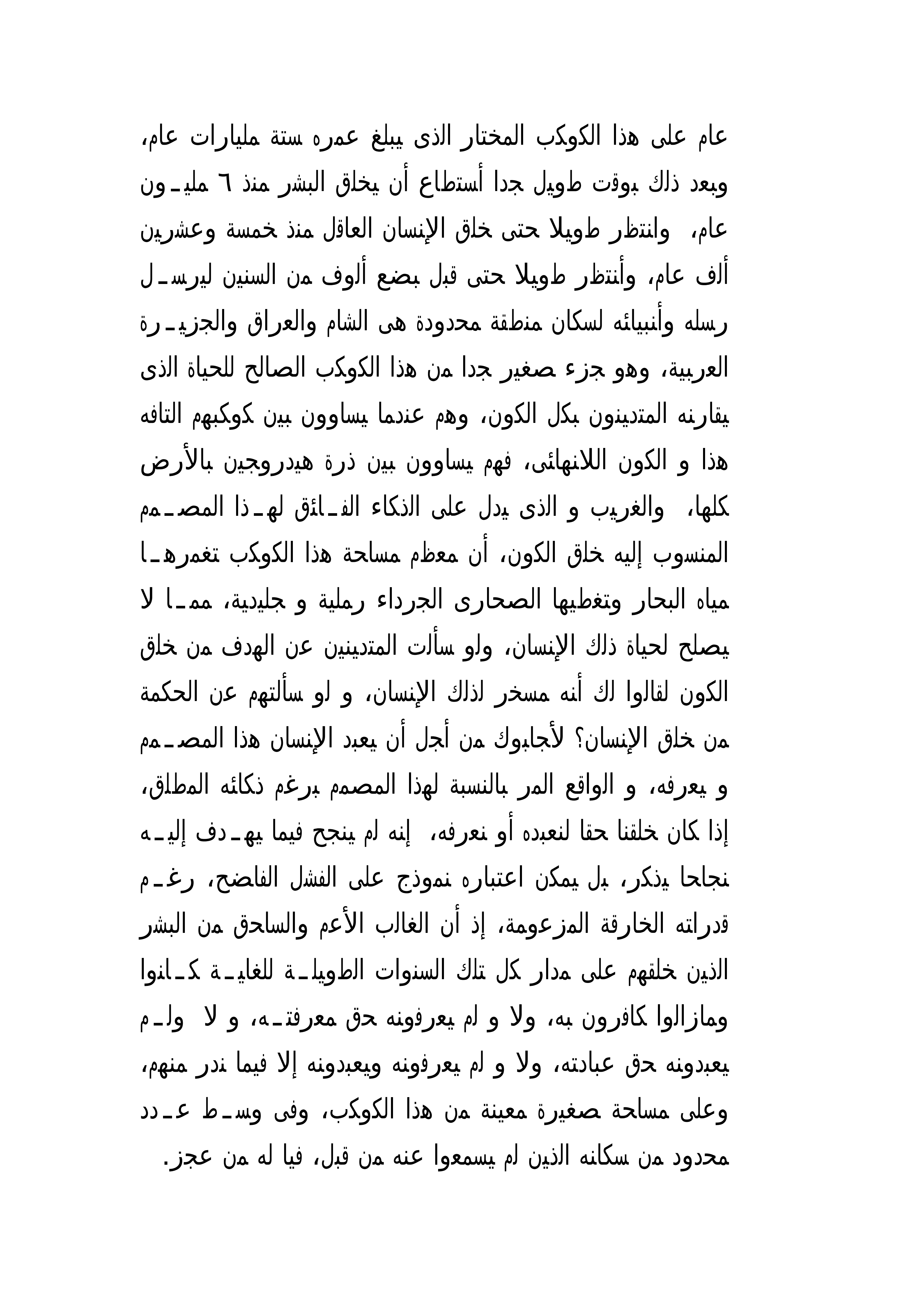
١٠٤. في الأحصنة الحديثة توجد الجينات المسببة للخطوط، والتي تدل على تطور هذا الحيوان من سـلف مخطـط مثـل الحمـار الوحشى، فلو كان الخالق خلق الحصان بطريقة ذكية فلماذا نسـي هذه الجينات في المخزن. لسمك المقص (أبـو جلمبـو) ذيـلاً ضامراً قصيراً أسفل الحيوان.

١٠٥. بعض الأمثلة التي ذكرتها تدل على صحة نظرية التطور لا صحة نظرية المصمم الذكى، مثلا: بعض الطيور التي لها أجنحـة

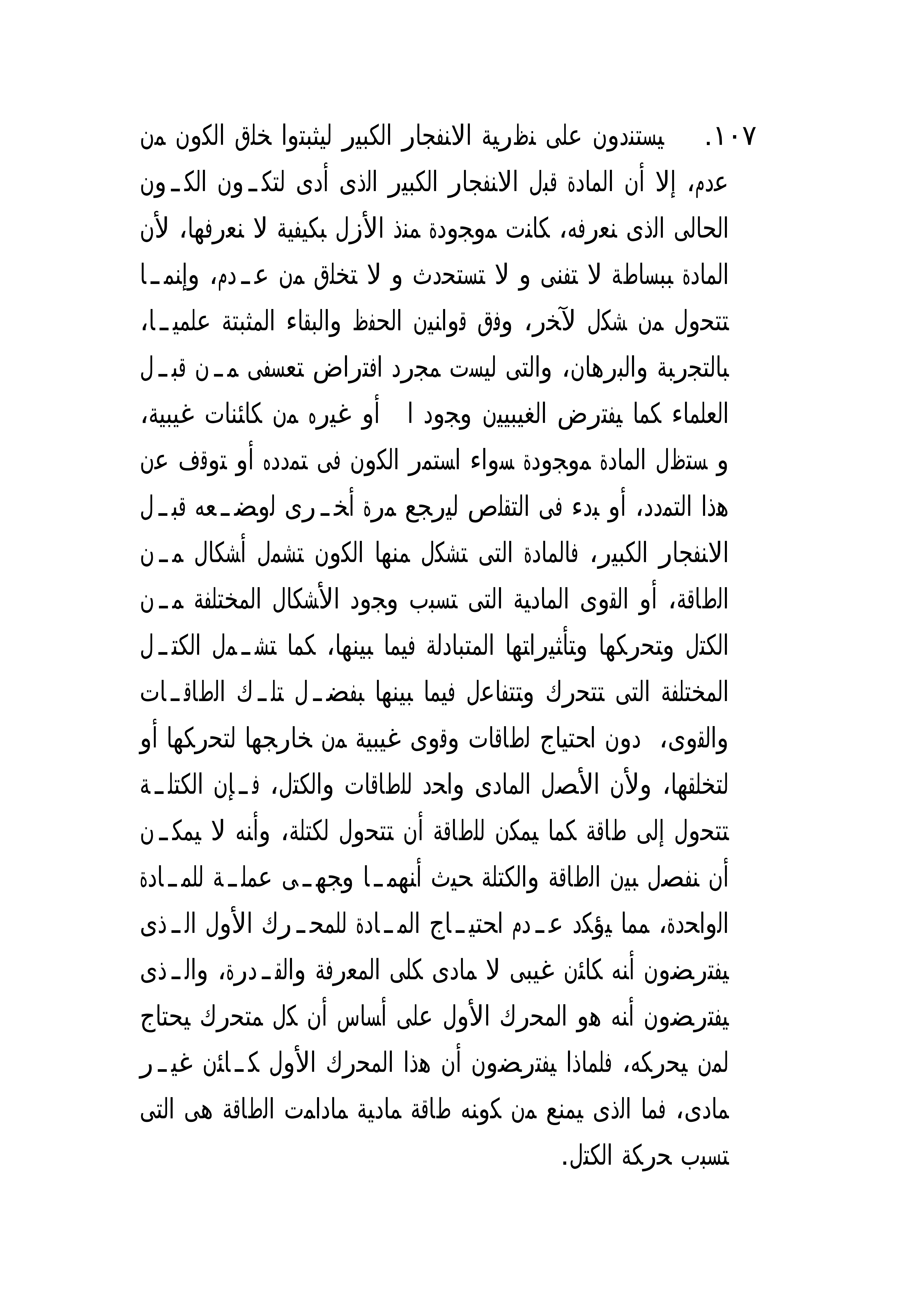


ولكنها لا تطير؛ وسبب ذلك إلى أنها كانت تطير وبعد أن استقرت في مناطق مناسبة يكثر فيها الغذاء ويقل فيهـا الأعـداء توقفـت بالتدريج عن الطيران والتنقل ثم زاد وزنها وأصبحت الأجنحـة لا تقوى على حملها، ويتوجب أن تعيش هكذا مراحل زمنيـة كبيـرة لتضمر هذه الأجنحة، مثلما ضمرت أعضاء أخرى لـدى كائنـات أخرى لم تعد في حاجة إليها مثلما جرى مع العيون التي لا تـرى لدى بعض الأسماك وحتى الثعابين، فقـد تطـورت لـديها أدوات أخرى عوضتها عن ذلك مثل شدة الشم عند الثعبان وجهاز إرسال واستقبال الذبذبات عند الخفاش، وهو جهاز خارق يتمكن به مـن تمييز حشرات صغيرة طائرة على مسافات بعيدة والتوجه نحوهـا بدون خطأ في الظلام الدامس.

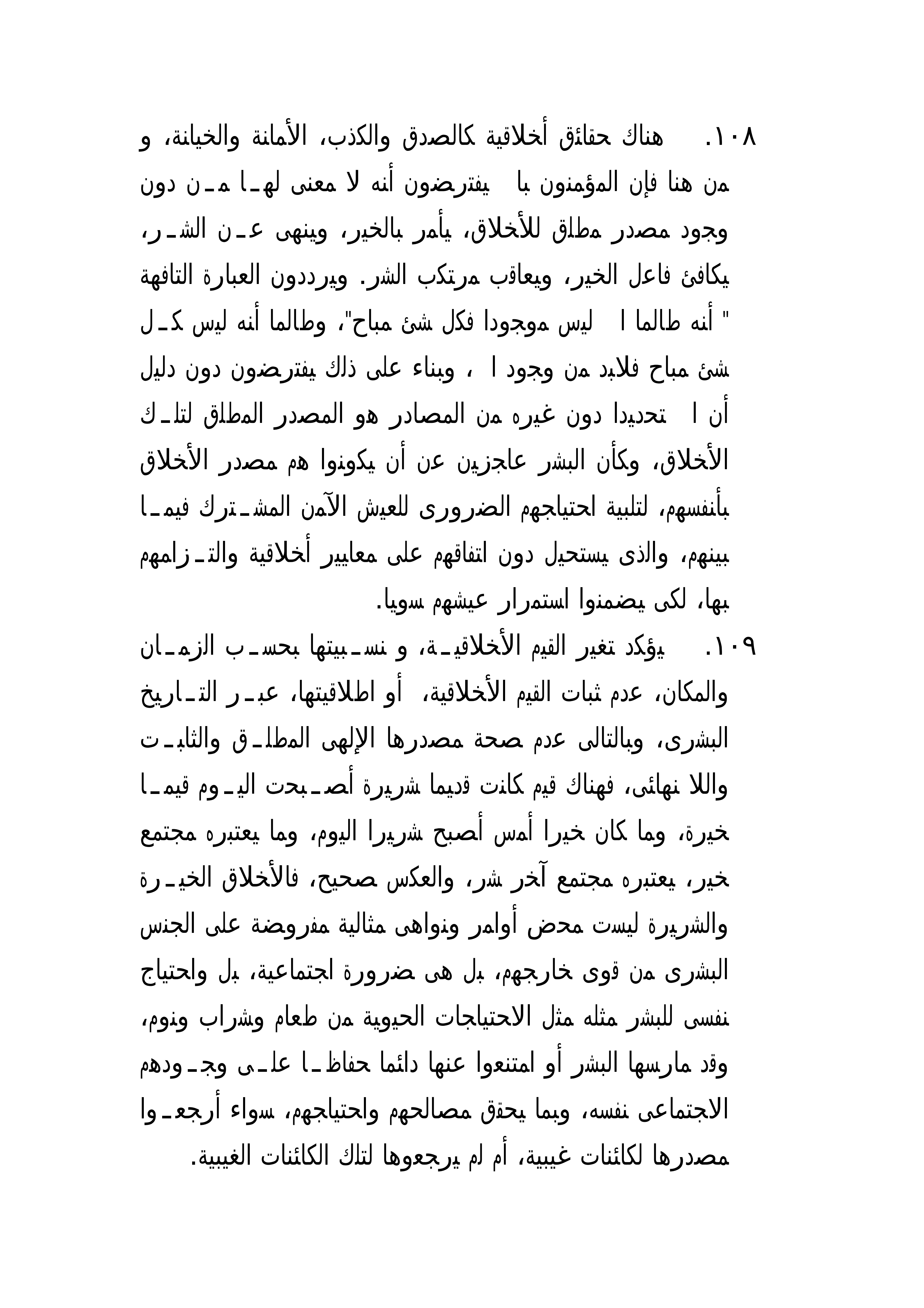
١٠٦. هناك كون وجد بانفجار كبير منذ خمسة عشر مليار عـام لكتلة لا متناهية الكثافة والحرارة، يحتوى على مئة مليار مجـرة، وكل مجرة تحتوى على مئة مليار نجم كالشمس، تدور حول كـل نجم كواكب، وأقمار حول الكواكب أكثر منها عددا بالطبع،وتتناثر كوكيبات ومذنبات وشظايا انفجارات بـأكثر مـن هـذا بكثيـر، وغالبيتها الساحقة غير صالحة للحياة، و يمتد هذا الكون فى حجـم يبلغ نصف قطره المرصود لنا ١٦ مليار سنة ضـوئية، والثانيـة الضوئية إن لم تكن تعلم ٣٠٠ألف كيلو متر، وعلـى أحـد هـذه الكواكب الصالحة للحياة، منذ حوالى أربعة مليار عـام، يفتـرض المتدينون بالأديان الإبراهيمية، تعسفا بلا دليل، وجود مصمم ذكى بعد أن خلق كون بهذا الحجم الهائل، أنتظر طـويلا حـوالى ١٢ مليار عام حتى أخذ يخلق كائنات حية على مدى أربعة مليـارات



عام على هذا الكوكب المختار الذى يبلغ عمره ستة مليارات عام، وبعد ذلك بوقت طويل جدا أستطاع أن يخلق البشر منذ ٦ مليون عام، وانتظر طويلا حتى خلق الإنسان العاقل منذ خمسة وعشرين ألف عام، وأنتظر طويلا حتى قبل بضع ألوف من السنين ليرسل رسله وأنبيائه لسكان منطقة محدودة هى الشام والعراق والجزيرة العربية، وهو جزء صغير جدا من هذا الكوكب الصالح للحياة الذى يقارنه المتدينون بكل الكون، وهم عندما يساوون بين كوكبهم التافه هذا و الكون اللانهائى، فهم يساوون بين ذرة هيدروجين بالأرض كلها، والغريب و الذى يدل على الذكاء الفائق لهذا المصمم المنسوب إليه خلق الكون، أن معظم مساحة هذا الكوكب تغمرها مياه البحار وتغطيها الصحارى الجرداء رملية و جليدية، مما لا يصلح لحياة ذلك الإنسان، ولو سألت المتدينين عن الهدف من خلق الكون لقالوا لك أنه مسخر لذلك الإنسان، و لو سألتهم عن الحكمة من خلق الإنسان؟ لأجابوك من أجل أن يعبد الإنسان هذا المصمم و يعرفه، و الواقع المر بالنسبة لهذا المصمم برغم ذكائه المطلق، إذا كان خلقنا حقا لنعبده أو نعرفه، إنه لم ينجح فيما يهدف إليه نجاحا يذكر، بل يمكن اعتباره نموذج على الفشل الفاضح، رغم قدراته الخارقة المزعومة، إذ أن الغالب الأعم والساحق من البشر الذين خلقهم على مدار كل تلك السنوات الطويلة للغاية كانوا ومازالوا كافرون به، ولا و لم يعرفونه حق معرفته، و لا ولم يعبدونه حق عبادته، ولا و لم يعرفونه ويعبدونه إلا فيما ندر منهم، وعلى مساحة صغيرة معينة من هذا الكوكب، وفى وسط عدد محدود من سكانه الذين لم يسمعوا عنه من قبل، فيا له من عجز.

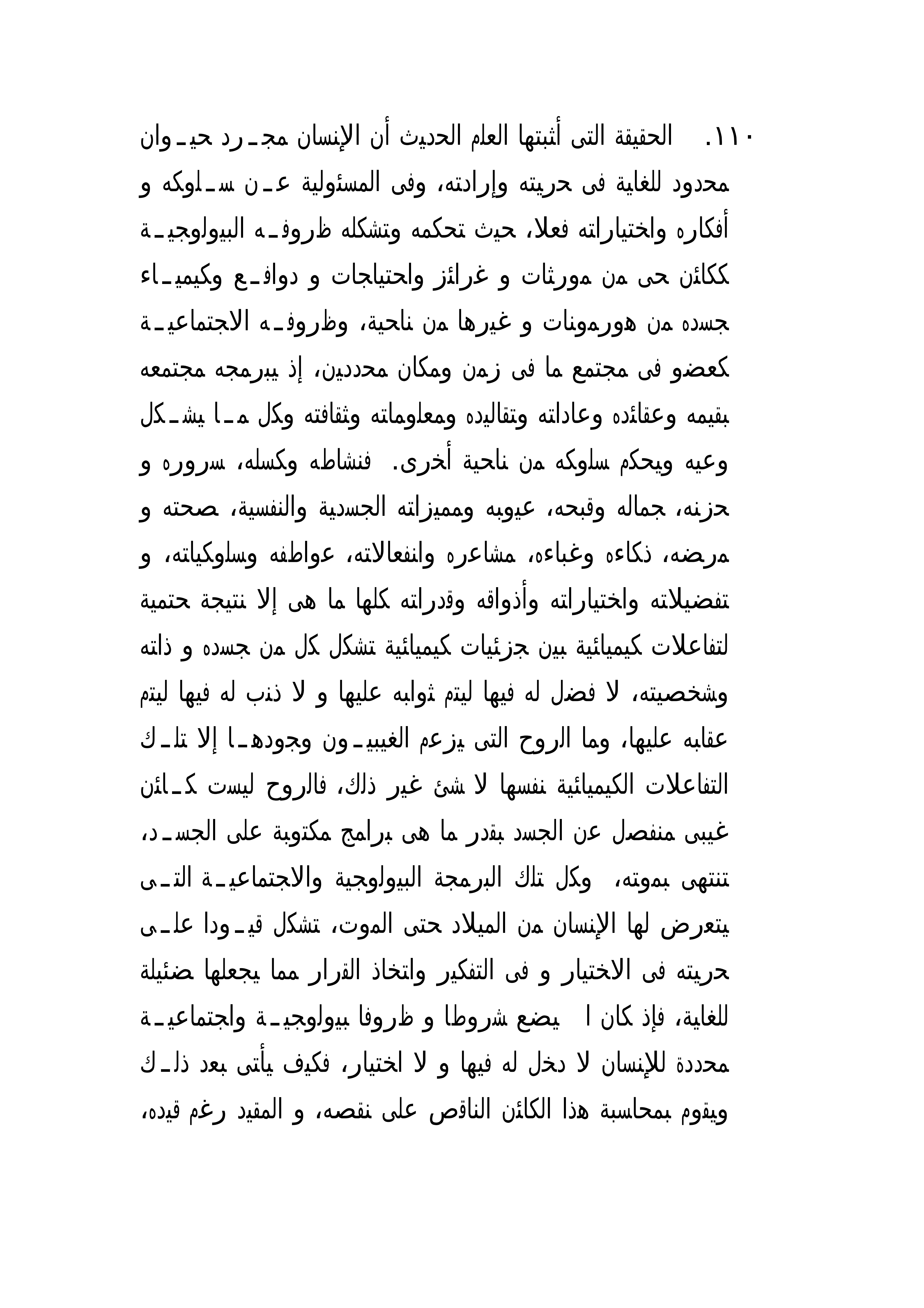


١٠٧. يستندون على نظرية الانفجار الكبير ليثبتوا خلق الكون من عدم، إلا أن المادة قبل الانفجار الكبير الذى أدى لتكون الكون الحالى الذى نعرفه، كانت موجودة منذ الأزل بكيفية لا نعرفها، لأن المادة ببساطة لا تفنى و لا تستحدث و لا تخلق من عدم، وإنما تتحول من شكل لآخر، وفق قوانين الحفظ والبقاء المثبتة علميا، بالتجربة والبرهان، والتى ليست مجرد افتراض تعسفى من قبل العلماء كما يفترض الغيبيين وجود ا أو غيره من كائنات غيبية، و ستظل المادة موجودة سواء استمر الكون فى تمدده أو توقف عن هذا التمدد، أو بدء فى التقلص ليرجع مرة أخرى لوضعه قبل الانفجار الكبير، فالمادة التى تشكل منها الكون تشمل أشكال من الطاقة، أو القوى المادية التى تسبب وجود الأشكال المختلفة من الكتل وتحركها وتأثيراتها المتبادلة فيما بينها، كما تشمل الكتل المختلفة التى تتحرك وتتفاعل فيما بينها بفضل تلك الطاقات والقوى، دون احتياج لطاقات وقوى غيبية من خارجها لتحركها أو لتخلقها، ولأن الأصل المادى واحد للطاقات والكتل، فإن الكتلة تتحول إلى طاقة كما يمكن للطاقة أن تتحول لكتلة، وأنه لا يمكن أن نفصل بين الطاقة والكتلة حيث أنهما وجهى عملة للمادة الواحدة، مما يؤكد عدم احتياج المادة للمحرك الأول الذى يفترضون أنه كائن غيبى لا مادى كلى المعرفة والقدرة، والذى يفترضون أنه هو المحرك الأول على أساس أن كل متحرك يحتاج لمن يحركه، فلماذا يفترضون أن هذا المحرك الأول كائن غير مادى، فما الذى يمنع من كونه طاقة مادية مادامت الطاقة هى التى تسبب حركة الكتل.



١٠٨. هناك حقائق أخلاقية كالصدق والكذب، الأمانة والخيانة، و من هنا فإن المؤمنون با يفترضون أنه لا معنى لهـا مـن دون وجود مصدر مطلق للأخلاق، يأمر بالخير، وينهى عـن الشـر، يكافئ فاعل الخير، ويعاقب مرتكب الشر. ويرددون العبارة التافهة " أنه طالما ا ليس موجودا فكل شئ مباح"، وطالما أنه ليس كـل شئ مباح فلابد من وجود ا ، وبناء على ذلك يفترضون دون دليل أن ا تحديدا دون غيره من المصادر هو المصدر المطلق لتلـك الأخلاق، وكأن البشر عاجزين عن أن يكونوا هم مصدر الأخلاق بأنفسهم، لتلبية احتياجهم الضرورى للعيش الآمن المشـترك فيمـا بينهم، والذى يستحيل دون اتفاقهم على معايير أخلاقية والتـزامهم بها، لكى يضمنوا استمرار عيشهم سويا.

١٠٩. يؤكد تغير القيم الأخلاقيـة، و نسـبيتها بحسـب الزمـان والمكان، عدم ثبات القيم الأخلاقية، أو اطلاقيتها، عبـر التـاريخ البشرى، وبالتالى عدم صحة مصدرها الإلهى المطلـق والثابـت واللا نهائى، فهناك قيم كانت قديما شريرة أصـبحت اليـوم قيمـا خيرة، وما كان خيرا أمس أصبح شريرا اليوم، وما يعتبره مجتمع خير، يعتبره مجتمع آخر شر، والعكس صحيح، فالأخلاق الخيـرة والشريرة ليست محض أوامر ونواهى مثالية مفروضة على الجنس البشرى من قوى خارجهم، بل هى ضرورة اجتماعية، بل واحتياج نفسى للبشر مثله مثل الاحتياجات الحيوية من طعام وشراب ونوم، وقد مارسها البشر أو امتنعوا عنها دائما حفاظـا علـى وجـودهم الاجتماعى نفسه، وبما يحقق مصالحهم واحتياجهم، سواء أرجعـوا مصدرها لكائنات غيبية، أم لم يرجعوها لتلك الكائنات الغيبية.

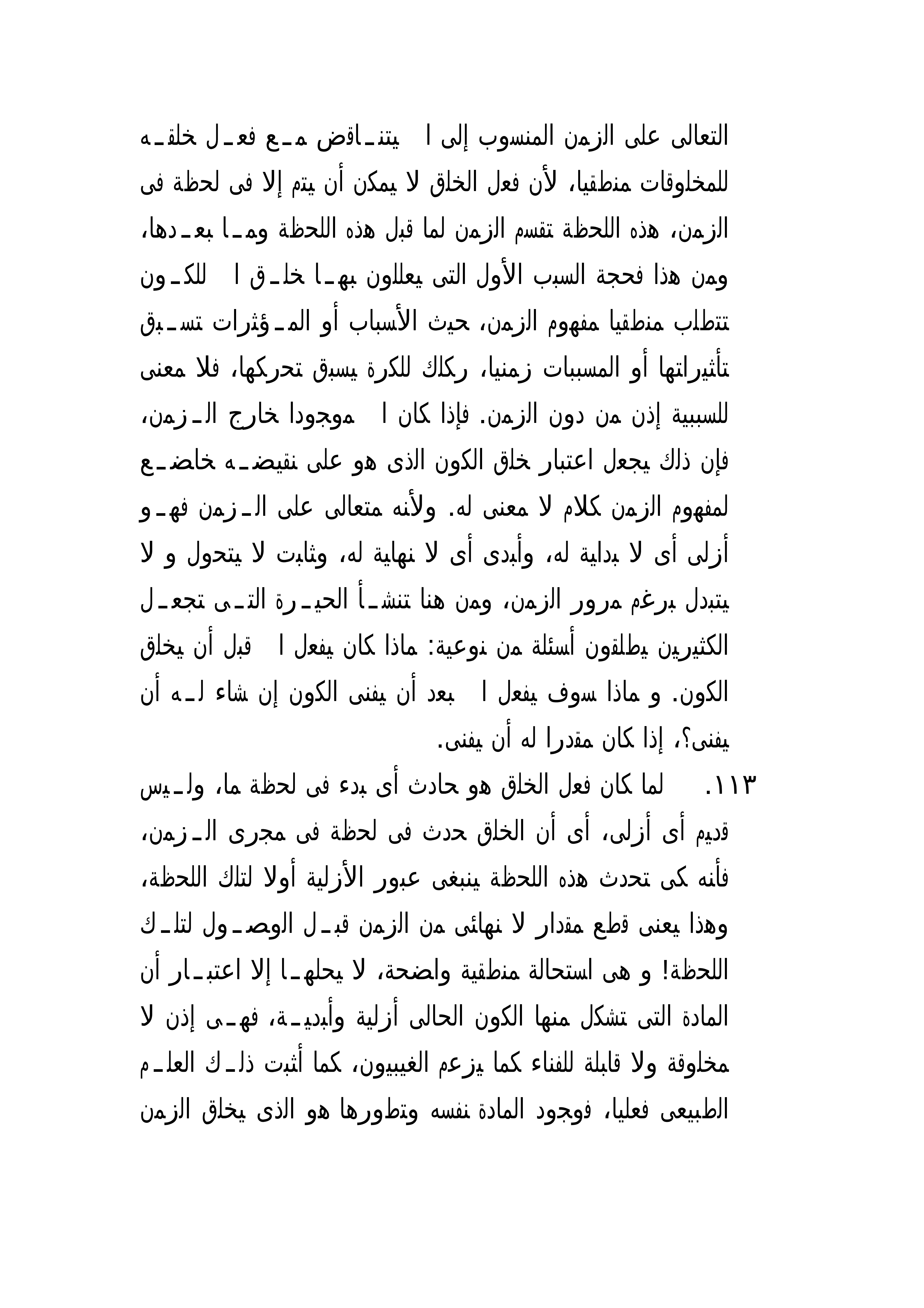


١١٠. الحقيقة التى أثبتها العلم الحديث أن الإنسان مجـرد حيـوان محدود للغاية فى حريته وإرادته، وفى المسئولية عـن سـلوكه و أفكاره واختياراته فعلا، حيث تحكمه وتشكله ظروفـه البيولوجيـة ككائن حى من مورثات و غرائز واحتياجات و دوافـع وكيميـاء جسده من هورمونات و غيرها من ناحية، وظروفـه الاجتماعيـة كعضو فى مجتمع ما فى زمن ومكان محددين، إذ يبرمجه مجتمعه بقيمه وعقائده وعاداته وتقاليده ومعلوماته وثقافته وكل مـا يشـكل وعيه ويحكم سلوكه من ناحية أخرى. فنشاطه وكسله، سروره و حزنه، جماله وقبحه، عيوبه ومميزاته الجسدية والنفسية، صحته و مرضه، ذكاءه وغباءه، مشاعره وانفعالاته، عواطفه وسلوكياته، و تفضيلاته واختياراته وأذواقه وقدراته كلها ما هى إلا نتيجة حتمية لتفاعلات كيميائية بين جزئيات كيميائية تشكل كل من جسده و ذاته وشخصيته، لا فضل له فيها ليتم ثوابه عليها و لا ذنب له فيها ليتم عقابه عليها، وما الروح التى يزعم الغيبيـون وجودهـا إلا تلـك التفاعلات الكيميائية نفسها لا شئ غير ذلك، فالروح ليست كـائن غيبى منفصل عن الجسد بقدر ما هى برامج مكتوبة على الجسـد، تنتهى بموته، وكل تلك البرمجة البيولوجية والاجتماعيـة التـى يتعرض لها الإنسان من الميلاد حتى الموت، تشكل قيـودا علـى حريته فى الاختيار و فى التفكير واتخاذ القرار مما يجعلها ضئيلة للغاية، فإذ كان ا يضع شروطا و ظروفا بيولوجيـة واجتماعيـة محددة للإنسان لا دخل له فيها و لا اختيار، فكيف يأتى بعد ذلـك ويقوم بمحاسبة هذا الكائن الناقص على نقصه، و المقيد رغم قيده،

كيف يخلق له مخ قاصر على إدراكه، و يعاقبه علـى اسـتخدامه عندما ينكر وجوده، ويثيبه على استخدامه عندما يؤمن به؟! .

١١١. لا معنى أن تكون صفات مثل، الجمـال والقـبح، والخيـر والشر، والحق والباطل، والعدل والظلم، والحرية والعبودية، القدرة والعجز..الخ، مطلقة و كاملة و ثابتة و لا نهائيـة، لأن الإطـلاق والكمال واللانهائية والثبات مجرد أفكار عقلية فارغة من المعنـى التجريبى الملموس، فنحن لا يمكن لنا أن نرى ونلمـس ونسـمع ونتذوق و نحس ذلك الكامل واللانهائى والمطلق والثابت، بينما كل ما حولنا من أشياء متناهية وناقصة ونسبية ومتغيرة، مما يؤكد أن الكمال والإطلاق والثبات و اللانهائية، مجـرد أفكـار ارتضـاها الغيبيين وجعلوها تسيطر عليهم برغم أنهم لا يختبرون فى حياتهم الواقعية واليومية إلا كل ما هو نسبى وناقص ومتغير ومتناهى من أشياء وصفات للأشياء، ولسيطرة تلك الأفكار غير المثبتـة، و لا المبرهن عليها، علي عقولهم، فإنهم يفترضون أن خالق هذا الواقع، والمتحكم فيه، و الذى يزعمون وجوده على عكس كل مخلوقاتـه النسبية والناقصة والثابتة والنهائية، مطلق وكامل وثابت و لا نهائى فى جميع صفاته.

١١٢. بحكم وصف ا بالمطلق واللانهائى والثابت والكامل، فـلا بد أن لا تسرى عليه قواعد الزمن، أى لا تنطبق عليه قواعد البداية والتحول والنهاية، التى تسرى على كل مخلوق من مخلوقاتـه، و ككل ما هو خاضع للزمن من أشياء مادية، و من ثم لا يمكن أن يتواجد فى أى زمن ما، بعكس مخلوقاته المادية التى لا توجد إلا خلال زمن ما، لأنها خاضعة للبداية والتحـول والنهايـة، وهـذا



التعالى على الزمن المنسوب إلى ا يتنـاقض مـع فعـل خلقـه للمخلوقات منطقيا، لأن فعل الخالق لا يمكن أن يتم إلا فى لحظة فى الزمن، هذه اللحظة تقسم الزمن لما قبل هذه اللحظة ومـا بعـدها، ومن هذا فحجة السبب الأول التى يعللون بهـا خلـق ا للكـون تتطلب منطقيا مفهوم الزمن، حيث الأسباب أو المـؤثرات تسـبق تأثيراتها أو المسببات زمنيا، ركلك للكرة يسبق تحركها، فلا معنى للسببية إذن من دون الزمن. فإذا كان ا موجودا خارج الـزمن، فإن ذلك يجعل اعتبار خالق الكون الذى هو على نقيضـه خاضـع لمفهوم الزمن كلام لا معنى له. ولأنه متعالى على الـزمن فهـو أزلى أى لا بداية له، وأبدى أى لا نهاية له، وثابت لا يتحول و لا يتبدل برغم مرور الزمن، ومن هنا تنشـأ الحيـرة التـى تجعـل الكثيرين يطلقون أسئلة من نوعية: ماذا كان يفعل ا قبل أن يخلق الكون. و ماذا سوف يفعل ا بعد أن يفنى الكون إن شاء لـه أن يفنى؟، إذا كان مقدرا له أن يفنى.

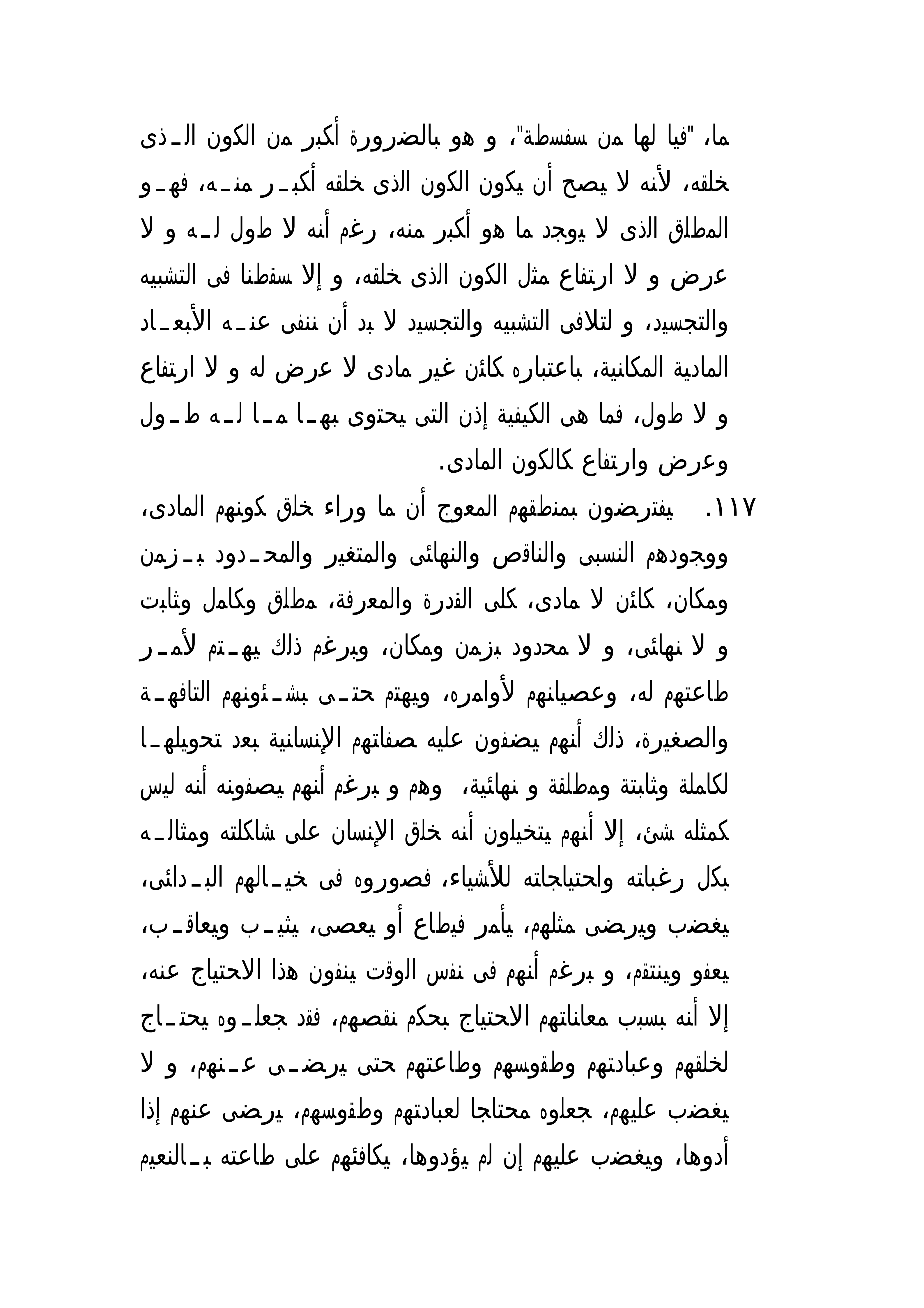
١١٣. لما كان فعل الخلق هو حادث أى بدء فى لحظة ما، ولـيس قديم أى أزلى، أى أن الخلق حدث فى لحظة فى مجرى الـزمن، فأنه كى تحدث هذه اللحظة ينبغى عبور الأزلية أولا لتلك اللحظة، وهذا يعنى قطع مقدار لا نهائى من الزمن قبـل الوصـول لتلـك اللحظة! و هى استحالة منطقية واضحة، لا يحلهـا إلا اعتبـار أن المادة التى تشكل منها الكون الحالى أزلية وأبديـة، فهـى إذن لا مخلوقة ولا قابلة للفناء كما يزعم الغيبيون، كما أثبت ذلـك العلـم الطبيعى فعليا، فوجود المادة نفسه وتطورها هو الذى يخلق الزمن

ويعطيه معناه، وفناء المادة وثباتها يعنى انتهاء الزمن لأنه بغيرها بلا معنى، ومن ثم فالزمن مرتبط بالمادة وتطورها وجودا وعدما.

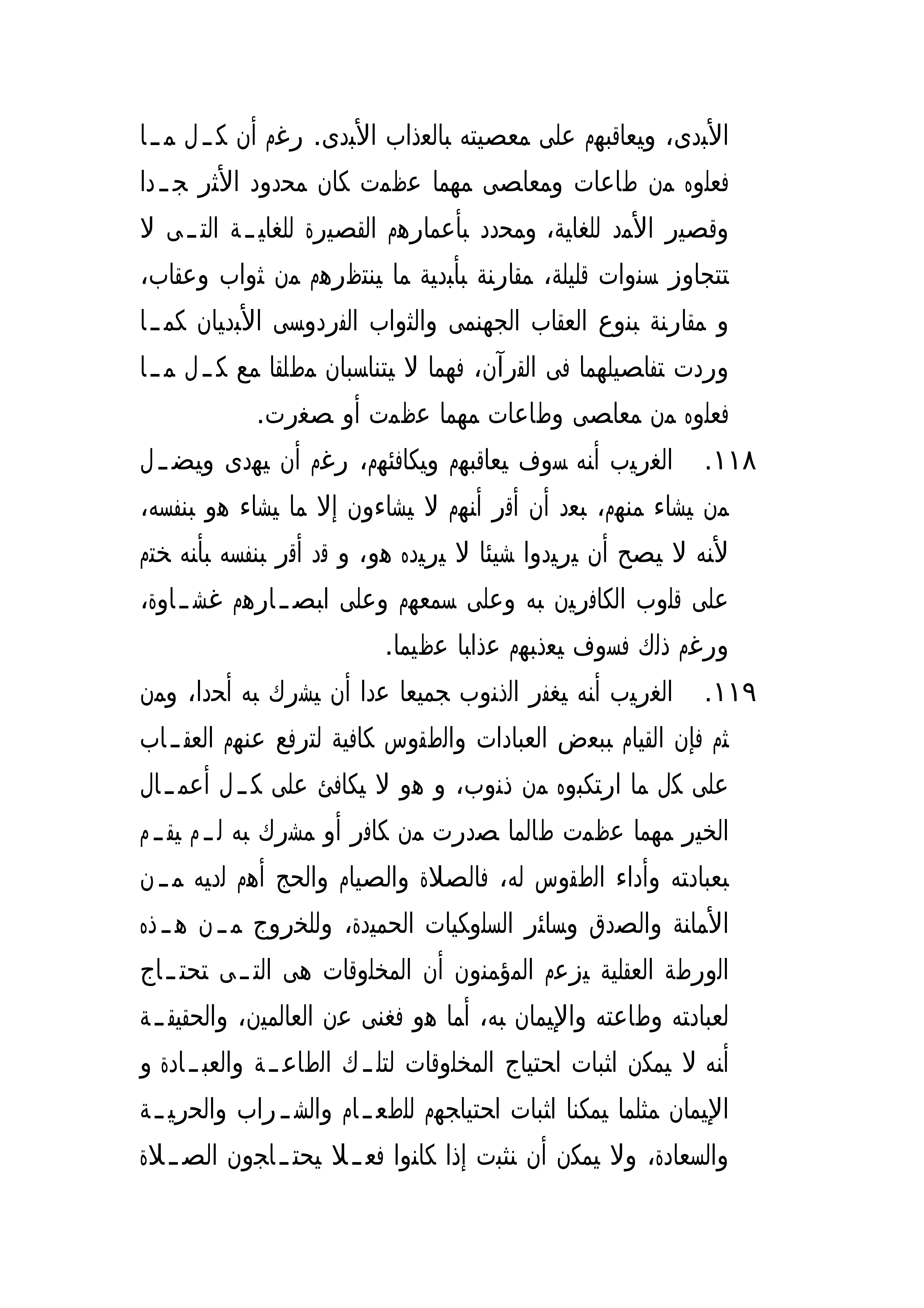
١١٤. بما أنهم يفترضون أن ا كائن غيبى "لا مـادى"، مطلـق وكامل وثابت ولا نهائى، و أنه لذلك لا حدود له، وبما أنـه قبـل خلقه للكون المادى لم يكن يوجد سواه، إذن كان هو وحده فى اللا مكان، ذلك لأن المكان بابعاده الثلاث الطول والعرض والارتفاع، مفهوم نسبى مرتبط بالأشياء المادية فقط دون الأشياء "اللاماديـة"، فبدون تلك الأشياء المادية أصلا لا يمكن أن نتخيـل المكـان و لا أبعاده، فالمكان شأن الزمن مرتبط بالمادة وجودا وعدما، فالأشـياء المادية فقط هى التى يمكن أن نقيس طولها وعرضها وارتفاعهـا، ومن ثم نحدد مكانها، فوجودها نفسه هو الذى يخلق المكان، و عدم وجودها يعنى اللا مكان، فما هو هذا "اللا مكان" وما هو هذا "اللا زمان" الذى تواجد فيهما ا قبل أن يخلق مخلوقاته المادية؟،

١١٥. أنه نتيجة وجود الكون المادى أصبح هناك مكان، كـان لا يمكن أن نتصور وجود المكان بدونه، فوجود هذا المكـان يضـع حدودا لوجود ا ومكانه. أى يصبح الكون المحدود بالمكان فـى مقابل ا اللا محدود فى مكان.

١١٦. من أجل أن يتلافى المؤمنون با هذه المتناقضـات، يلجـأ المؤمنون با لفكرة أنه موجود فى كل مكان، لأنه لا يحده حـد، بما فيها الكون المحدود، رغم أنهم يقولون أن مكونات هذا الكـون المادية منفصلة عنه، لأن المؤمنين با يتمسكون فى نفس الوقـت بأن ا مستقل عن أى مكان، لأنه خارج الكون المادى، يحتـوى الكون و لا يحتويه الكون، فى كل مكان وفى نفس الوقت فى مكان


ما، "فيا لها من سفسطة"، و هو بالضرورة أكبر من الكون الذى خلقه، لأنه لا يصح أن يكون الكون الذى خلقه أكبر منه، فهو المطلق الذى لا يوجد ما هو أكبر منه، رغم أنه لا طول له و لا عرض و لا ارتفاع مثل الكون الذى خلقه، و إلا سقطنا فى التشبيه والتجسيد، و لتلافى التشبيه والتجسيد لا بد أن ننفى عنه الأبعاد المادية المكانية، باعتباره كائن غير مادى لا عرض له و لا ارتفاع و لا طول، فما هى الكيفية إذن التى يحتوى بها ما له طول وعرض وارتفاع كالكون المادى.

١١٧. يفترضون بمنطقهم المعوج أن ما وراء خلق كونهم المادى، ووجودهم النسبى والناقص والنهائى والمتغير والمحدود بزمن ومكان، كائن لا مادى، كلى القدرة والمعرفة، مطلق وكامل وثابت و لا نهائى، و لا محدود بزمن ومكان، وبرغم ذلك يهتم لأمر طاعتهم له، وعصيانهم لأوامره، ويهتم حتى بشئونهم التافهة والصغيرة، ذلك أنهم يضفون عليه صفاتهم الإنسانية بعد تحويلها لكاملة وثابتة ومطلقة و نهائية، وهم و برغم أنهم يصفونه أنه ليس كمثله شئ، إلا أنهم يتخيلون أنه خلق الإنسان على شاكلته ومثاله بكل رغباته واحتياجاته للأشياء، فصوروه فى خيالهم البدائى، يغضب ويرضى مثلهم، يأمر فيطاع أو يعصى، يثيب ويعاقب، يعفو وينتقم، و برغم أنهم فى نفس الوقت ينفون هذا الاحتياج عنه، إلا أنه بسبب معاناتهم الاحتياج بحكم نقصهم، فقد جعلوه يحتاج لخلقهم وعبادتهم وطقوسهم وطاعتهم حتى يرضى عنهم، و لا يغضب عليهم، جعلوه محتاجا لعبادتهم وطقوسهم، يرضى عنهم إذا أدوها، ويغضب عليهم إن لم يؤدوها، يكافئهم على طاعته بالنعيم



الأبدى، ويعاقبهم على معصيته بالعذاب الأبدى. رغم أن كل ما فعلوه من طاعات ومعاصى مهما عظمت كان محدود الأثر جدا وقصير الأمد للغاية، ومحدد بأعمارهم القصيرة للغاية التى لا تتجاوز سنوات قليلة، مقارنة بأبدية ما ينتظرهم من ثواب وعقاب، و مقارنة بنوع العقاب الجهنمى والثواب الفردوسى الأبديان كما وردت تفاصيلهما فى القرآن، فهما لا يتناسبان مطلقا مع كل ما فعلوه من معاصى وطاعات مهما عظمت أو صغرت.

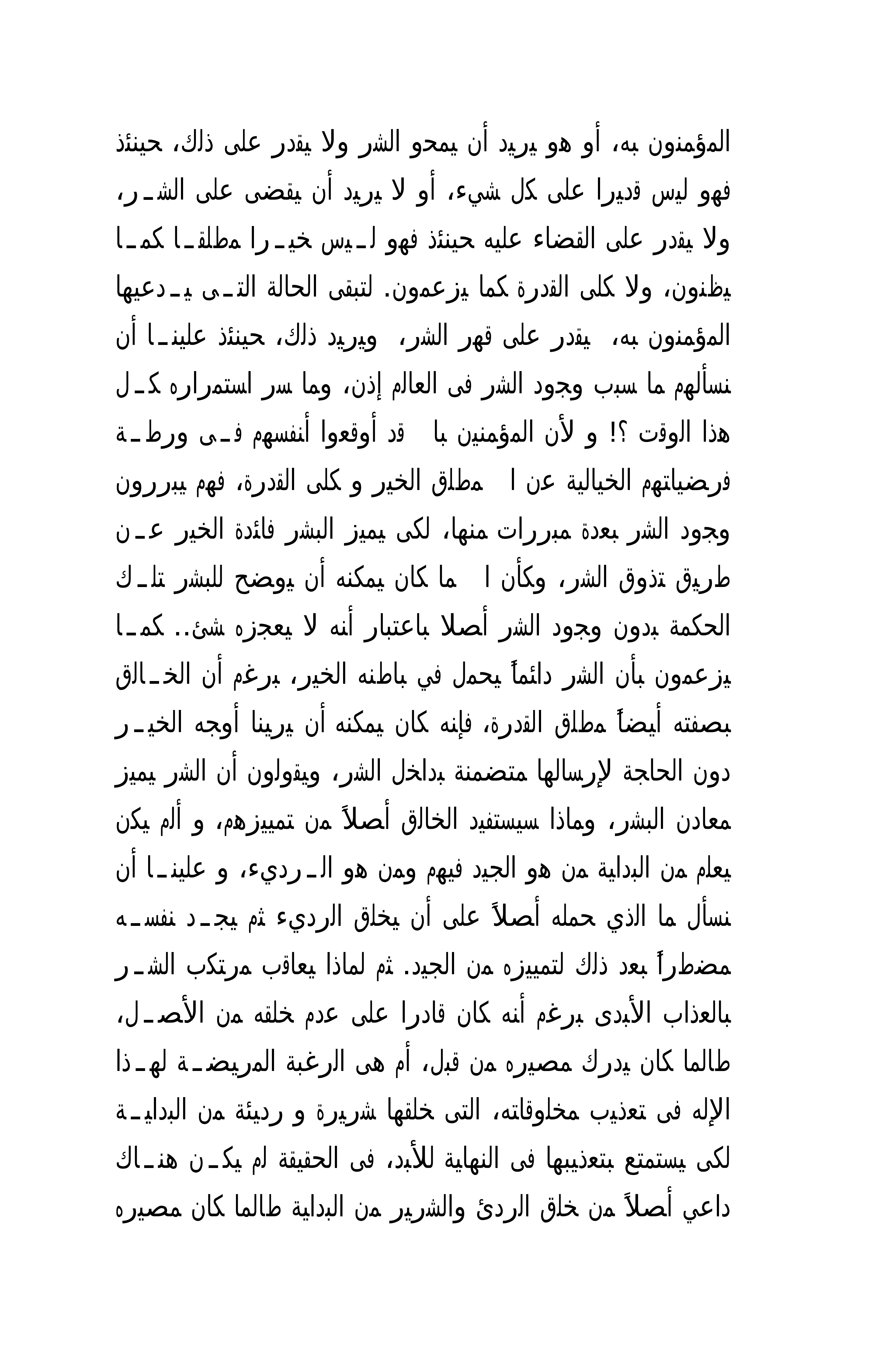
١١٨. الغريب أنه سوف يعاقبهم ويكافئهم، رغم أن يهدى ويضل من يشاء منهم، بعد أن أقر أنهم لا يشاءون إلا ما يشاء هو بنفسه، لأنه لا يصح أن يريدوا شيئا لا يريده هو، و قد أقر بنفسه بأنه ختم على قلوب الكافرين به وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة، ورغم ذلك فسوف يعذبهم عذابا عظيما.

١١٩. الغريب أنه يغفر الذنوب جميعا عدا أن يشرك به أحدا، ومن ثم فإن القيام ببعض العبادات والطقوس كافية لترفع عنهم العقاب على كل ما ارتكبوه من ذنوب، و هو لا يكافئ على كل أعمال الخير مهما عظمت طالما صدرت من كافر أو مشرك به لم يقم بعبادته وأداء الطقوس له، فالصلاة والصيام والحج أهم لديه من الأمانة والصدق وسائر السلوكيات الحميدة، وللخروج من هذه الورطة العقلية يزعم المؤمنون أن المخلوقات هى التى تحتاج لعبادته وطاعته والإيمان به، أما هو فغنى عن العالمين، والحقيقة أنه لا يمكن اثبات احتياج المخلوقات لتلك الطاعة والعبادة و الإيمان مثلما يمكنا اثبات احتياجهم للطعام والشراب والحرية والسعادة، ولا يمكن أن نثبت إذا كانوا فعلا يحتاجون الصلاة

والصوم والحج أم لا، وفى النهاية إذا كانوا فعلا فى احتياج لتلـك العبادة، فقد كان يمكن أن يجعلهم غريزيـا يلبونهـا كمـا يلبـون احتياجهم للطعام والشراب والنوم دون رسل وأنبياء، ودون تهديـد بالعقاب إن لم يفعلوها، ووعيد بالجنة إن واظبوا عليها، فـالممتنع عن الطعام سوف يموت جوعا، وهذا يكفيه عقابا، أمـا أن نعذبـه للأبد لأنه امتنع عن الطعام فمات من الجوع فهو الخبـل والظلـم بعينه.

١٢٠. لماذا خلقهم إن لم يكن يحتاجهم، برغم أنـه و بحكـم مـا افترضوا فيه من الكمال والإطلاق والثبات واللانهائية، ليس بحاجة لشئ أو لأحد غيره مثلما يحتاجون هم للأشياء التى يكملون بها ما هم فيه من نقص واحتياج، فهو لا يريد شئ أو أحد لأنه لا ينقصه هذا الشئ أو الأحد، فلماذا أوجد هذا العالم إذن؟ إن لم يكن خلقـه لحاجة فى نفسه، و قد أراد هذا و فعل، و لكن المطلق و الكامـل والثابت و اللانهائى لا يصح أن ننسب إليه الاحتياج كمـا ننسـبه للمخلوقات لأنه مكتفى بذاته. فلماذا خلق ا الكـون إذن ؟ ألكـي يعوض نقصاً لديه بهذا الخلق ؟، ا لو صح وجوده فهو كامل بلا نقص يكمله الخلق.. إذن الكون غير مخلوق.

١٢١. يفترضون فى من خلق الكون أنه خير مطلق لا تشوبه شائبة من شر، وهو كلى القدرة لا يعوقه أى عجز عن تحقيق أى شـئ يريده، فإذا كان هو خالق هذا الكون، وكل ما فيه من مخلوقـات، ومدبر كل ما فيه من حوادث، ومرتب كل ما فيه من علاقات، فما هو سبب وجود الشر فى العالم ؟ فإما أن ا يقدر على أن يمحـو الشر ولكنه لا يريد ذلك، فحينئذ هو ليس خيرا مطلقا كمـا يـزعم

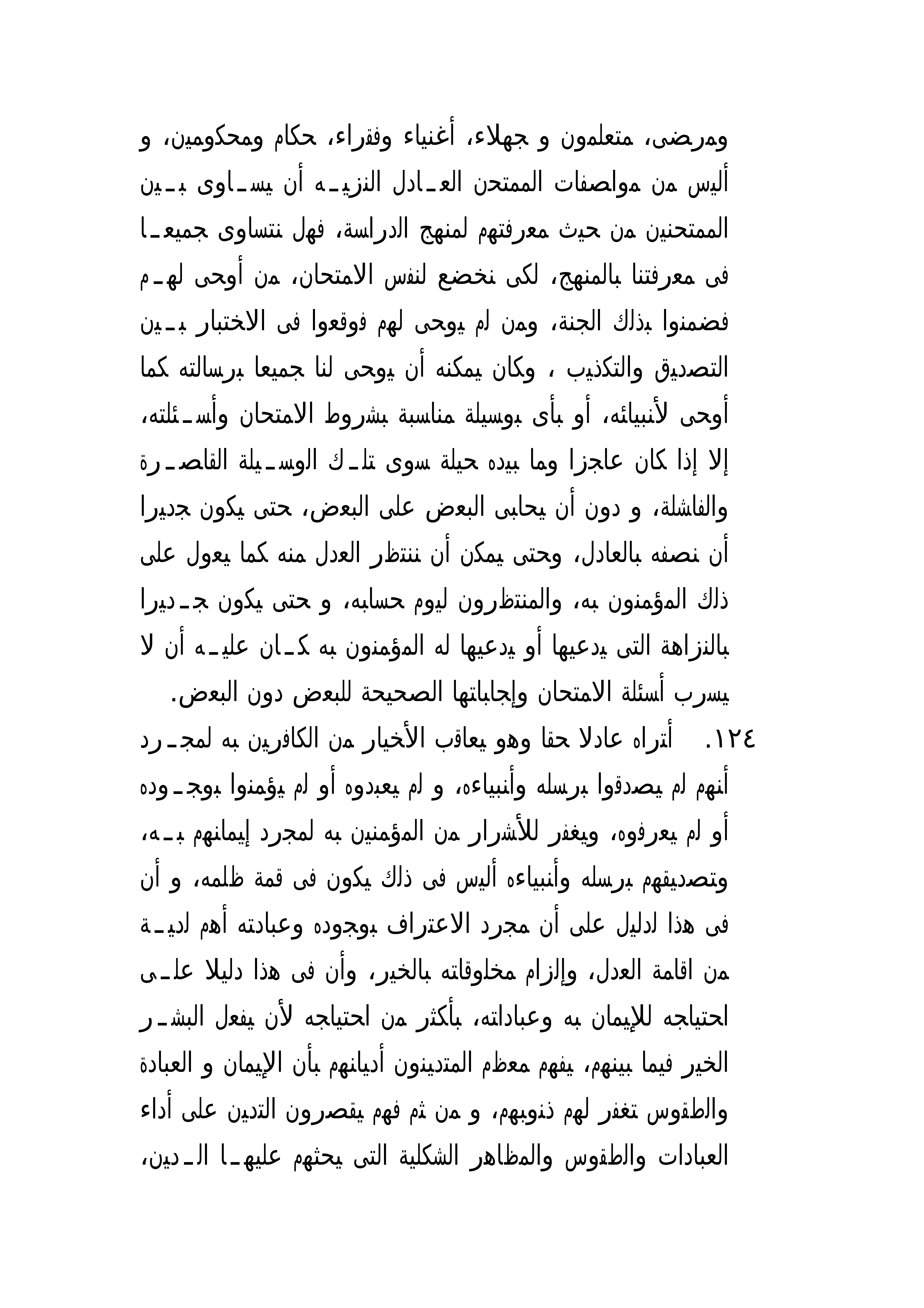


المؤمنون به، أو هو يريد أن يمحو الشر ولا يقدر على ذلك، حينئذ فهو ليس قديرا على كل شيء، أو لا يريد أن يقضى على الشر، ولا يقدر على القضاء عليه حينئذ فهو ليس خيرا مطلقا كما يظنون، ولا كلى القدرة كما يزعمون. لتبقى الحالة التى يدعيها المؤمنون به، يقدر على قهر الشر، ويريد ذلك، حينئذ علينا أن نسألهم ما سبب وجود الشر فى العالم إذن، وما سر استمراره كل هذا الوقت ؟! و لأن المؤمنين با قد أوقعوا أنفسهم فى ورطة فرضياتهم الخيالية عن ا مطلق الخير و كلى القدرة، فهم يبررون وجود الشر بعدة مبررات منها، لكى يميز البشر فائدة الخير عن طريق تذوق الشر، وكأن ا ما كان يمكنه أن يوضح للبشر تلك الحكمة بدون وجود الشر أصلا باعتبار أنه لا يعجزه شئ.. كما يزعمون بأن الشر دائماً يحمل في باطنه الخير، برغم أن الخالق بصفته أيضاً مطلق القدرة، فإنه كان يمكنه أن يرينا أوجه الخير دون الحاجة لإرسالها متضمنة بداخل الشر، ويقولون أن الشر يميز معادن البشر، وماذا سيستفيد الخالق أصلاً من تمييزهم، و ألم يكن يعلم من البداية من هو الجيد فيهم ومن هو الرديء، و علينا أن نسأل ما الذي حمله أصلاً على أن يخلق الرديء ثم يجد نفسه مضطراً بعد ذلك لتمييزه من الجيد. ثم لماذا يعاقب مرتكب الشر بالعذاب الأبدى برغم أنه كان قادرا على عدم خلقه من الأصل، طالما كان يدرك مصيره من قبل، أم هى الرغبة المريضة لهذا الإله فى تعذيب مخلوقاته، التى خلقها شريرة و رديئة من البداية لكى يستمتع بتعذيبها فى النهاية للأبد، فى الحقيقة لم يكن هناك داعي أصلاً من خلق الردئ والشرير من البداية طالما كان مصيره

المحتوم هو العذاب الأبدى!!، إلا إذا كان ا يضـيع وقتـه فـى العبث، و إلا إذا كانت لدية رغبة سادية فى تعذيب من هـم أدنـى منه من مخلوقاته التى لا حول لها و لا قوة أمام جبروته.

١٢٢. طالما كان ا يمتلك المعرفة المسبقة إذن فهو مطلع علـى كل شر قبل أن يوجد، بل قبل أن يخلق الكائنات جميعا، فإذا كـان خيرا مطلقا كما يدعون فعلا، وكلى القدرة والمعرفة كما يزعمون صدقا، و رءوفا رحيما بالضعفاء من عباده ومخلوقاته كما يظنون حقا، فلماذا لم يقم بتعديل فكرة الخلق أو إعادة هندستها قبل التنفيذ، إن كان يريد الخير و العدل حقا كما يؤمنون؟ و أخيرا يقولـون أن الشر هو من مقتضيات إعطاء الإنسان الحرية التى عرفنا كم هـى محدودة وضئيلة، إذن فقد خلق ا ذلك المتصف بالخير المطلـق، الشر كى يعطى الإنسان الحرية فى الاختيار، إذن فا هو مصدر الشر نفسه، وبرغم ذلك يزعمون أنه خير مطلـق، و لـنلاحظ أن سماحه بوجود الشر برغم قدرته على القضاء عليه، دلـيلا علـى كونه شرير أو عاجز طالما لديه القدرة على منعه، ولم يفعل شـيئا لذلك. و برغم ذلك يستند عليه المظلومين فى الانتقـام لهـم مـن ظالميهم، فكيف لهم انتظار عدله، وهو نفسه مـن خلـق هـؤلاء الظالمين كى يظلموهم، و كان يعرف بظلمهم مسبقا، ولـم يمنعـه رغم ذلك، أى أنه شريك أصلى متواطئ مع الظالمين فى ظلمهم.

١٢٣. إذا كانت الحياة الدنيا دار امتحان للبشر كما يزعم المؤمنون بالغيبيات، فإن من أبسط قواعد الامتحان العادل أن يضع الممتحن كل من يمتحنهم فى ظروف متساوية، فهل تساوى البشر يوما فـى ظروفهم، ما بين أقوياء و ضـعفاء، أذكيـاء وأغبيـاء، أصـحاء

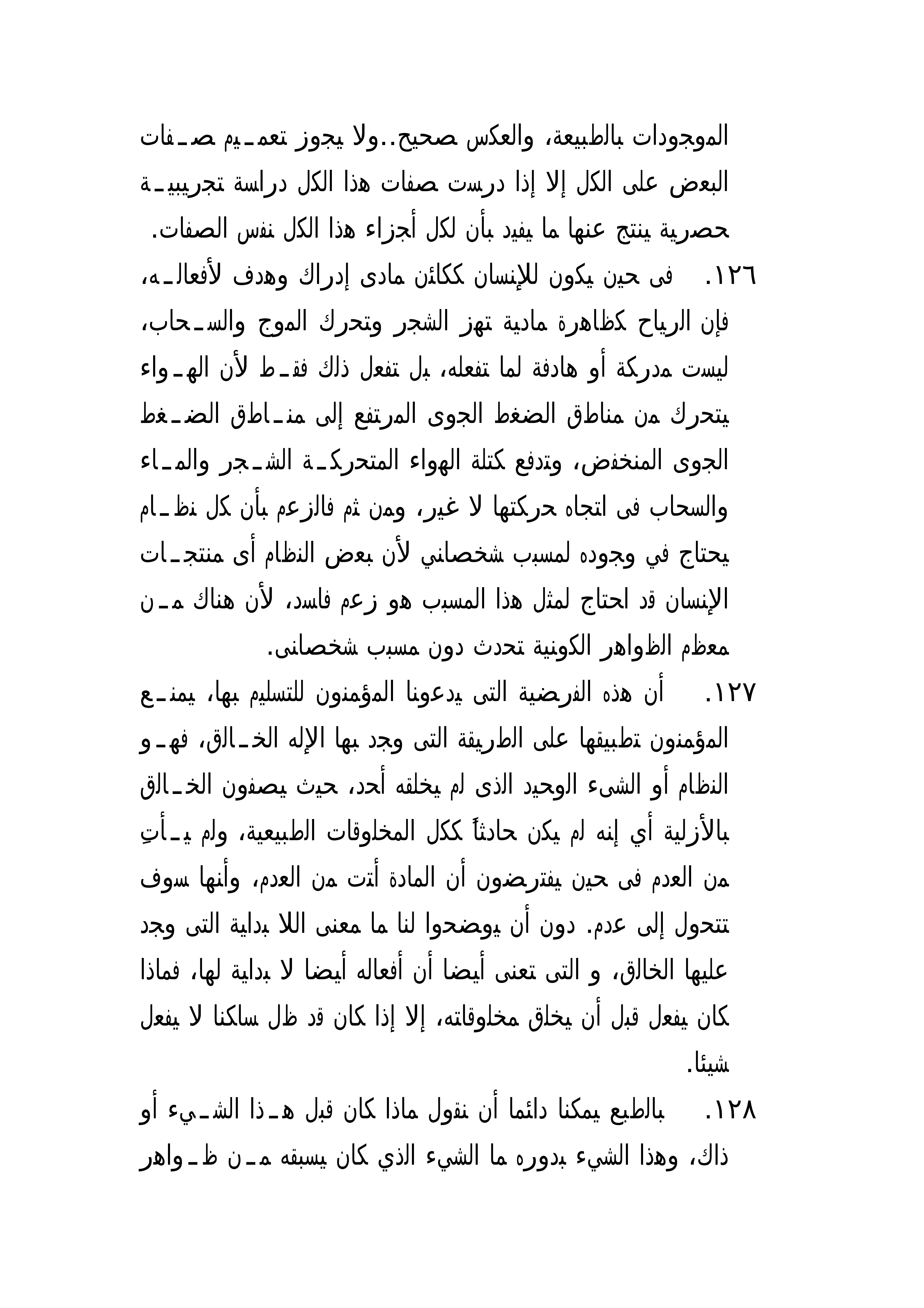


ومرضى، متعلمون و جهلاء، أغنياء وفقراء، حكام ومحكومين، و أليس من مواصفات الممتحن العادل النزيه أن يساوى بين الممتحنين من حيث معرفتهم لمنهج الدراسة، فهل نتساوى جميعا فى معرفتنا بالمنهج، لكى نخضع لنفس الامتحان، من أوحى لهم فضمنوا بذلك الجنة، ومن لم يوحى لهم فوقعوا فى الاختبار بين التصديق والتكذيب ، وكان يمكنه أن يوحى لنا جميعا برسالته كما أوحى لأنبيائه، أو بأى بوسيلة مناسبة بشروط الامتحان وأسئلته، إلا إذا كان عاجزا وما بيده حيلة سوى تلك الوسيلة القاصرة والفاشلة، و دون أن يحابى البعض على البعض، حتى يكون جديرا أن نصفه بالعادل، وحتى يمكن أن ننتظر العدل منه كما يعول على ذلك المؤمنون به، والمنتظرون ليوم حسابه، و حتى يكون جديرا بالنزاهة التى يدعيها أو يدعيها له المؤمنون به كان عليه أن لا يسرب أسئلة الامتحان وإجاباتها الصحيحة للبعض دون البعض.

١٢٤. أتراه عادلا حقا وهو يعاقب الأخيار من الكافرين به لمجرد أنهم لم يصدقوا برسله وأنبياءه، و لم يعبدوه أو لم يؤمنوا بوجوده أو لم يعرفوه، ويغفر للأشرار من المؤمنين به لمجرد إيمانهم به، وتصديقهم برسله وأنبياءه أليس فى ذلك يكون فى قمة ظلمه، و أن فى هذا لدليل على أن مجرد الاعتراف بوجوده وعبادته أهم لديه من اقامة العدل، وإلزام مخلوقاته بالخير، وأن فى هذا دليلا على احتياجه للإيمان به وعباداته، بأكثر من احتياجه لأن يفعل البشر الخير فيما بينهم، يفهم معظم المتدينون أديانهم بأن الإيمان و العبادة والطقوس تغفر لهم ذنوبهم، و من ثم فهم يقصرون التدين على أداء العبادات والطقوس والمظاهر الشكلية التى يحثهم عليها الدين،

ليغفر لهم ربهم كل ما يفعلوه من موبقات، فقد فهموا ربهـم جيـدا على أنه يحتاج لعبادتهم، وعرفوا أن الطقوس والشكليات والعبادات بل مجرد إيمانهم بوجوده بلا عمل، أهم لديه من فعلهم للخيـر أو ارتكابهم للشر، وهذا سر فشل الدين فى تهذيب سـلوكيات البشـر رغم كل ما يحتويه من أوامر ونواهى أخلاقية وسـلوكية، رغـم الادعاء أنه الوسيلة المثلى لتهذيبهم لو التزم المؤمنون بتلك الأوامر والنواهى.

١٢٥. يفترض المؤمنون با وجود إله شخصاني خـالق للكـون، ويتخيلونه كذات واعية لا مادية، و هذه الشخصنة للخالق بحد ذاتها عندهم هي مسلمة أى لا تحتاج لأى برهنة، و علينا أن نسلم بهـا رغم أنوفنا، و إلا تعرضنا لألوان من السباب لا تنتهى، بـرغم أن هذه المسلمة المزعومة، يفترض علينا أن نقبلها كبديهية نبنى عليها كل النقاش، تختلف عن كل المسلمات الرياضية كالنقطـة والخـط والصفر وغيرها من المسلمات التـى لا نحتـاج البرهنـة علـى بداهيتها، أما المسلمة الغيبية بوجود الكائن الغيبي اللامـادى فهـى مبنية على مغالطة منطقية فجة مفادهـا أنـه، بمـا أن الكـائن الشخصاني إلا وهو الإنسان يخلق نظاما أو آلة أو بناء.. إذا فكـل نظام كالكون لابد أن ينتجه كائن شخصاني مثل الإنسان، إلا أنـه فى هذه الحالة مطلق الصفات، وليس نسبى كالإنسان، وهـو مـا يدعونه بالإله الخالق الـذي يصـورونه، كملـك كلـى القـدرة والجبروت والسلطة، علينا أن نعبده ونطيعه لنكسب مرضـاته، و وجه المغالطة في هذا القياس المنطقي الفاسد أن حكم البعض و هو هنا ما ينتجه الإنسان، لا يسري على الكل بالضرورة وهـو كـل


الموجودات بالطبيعة، والعكس صحيح..ولا يجوز تعمـيم صـفات البعض على الكل إلا إذا درست صفات هذا الكل دراسة تجريبيـة حصرية ينتج عنها ما يفيد بأن لكل أجزاء هذا الكل نفس الصفات.

١٢٦. فى حين يكون للإنسان ككائن مادى إدراك وهدف لأفعالـه، فإن الرياح كظاهرة مادية تهز الشجر وتحرك الموج والسـحاب، ليست مدركة أو هادفة لما تفعله، بل تفعل ذلك فقـط لأن الهـواء يتحرك من مناطق الضغط الجوى المرتفع إلى منـاطق الضـغط الجوى المنخفض، وتدفع كتلة الهواء المتحركـة الشـجر والمـاء والسحاب فى اتجاه حركتها لا غير، ومن ثم فالزعم بأن كل نظـام يحتاج في وجوده لمسبب شخصاني لأن بعض النظام أى منتجـات الإنسان قد احتاج لمثل هذا المسبب هو زعم فاسد، لأن هناك مـن معظم الظواهر الكونية تحدث دون مسبب شخصانى.

١٢٧. أن هذه الفرضية التى يدعونا المؤمنون للتسليم بها، يمنـع المؤمنون تطبيقها على الطريقة التى وجد بها الإله الخـالق، فهـو النظام أو الشىء الوحيد الذى لم يخلقه أحد، حيث يصفون الخـالق بالأزلية أي إنه لم يكن حادثاً ككل المخلوقات الطبيعية، ولم يـأتِ من العدم فى حين يفترضون أن المادة أتت من العدم، وأنها سوف تتحول إلى عدم. دون أن يوضحوا لنا ما معنى اللا بداية التى وجد عليها الخالق، و التى تعنى أيضا أن أفعاله أيضا لا بداية لها، فماذا كان يفعل قبل أن يخلق مخلوقاته، إلا إذا كان قد ظل ساكنا لا يفعل شيئا.

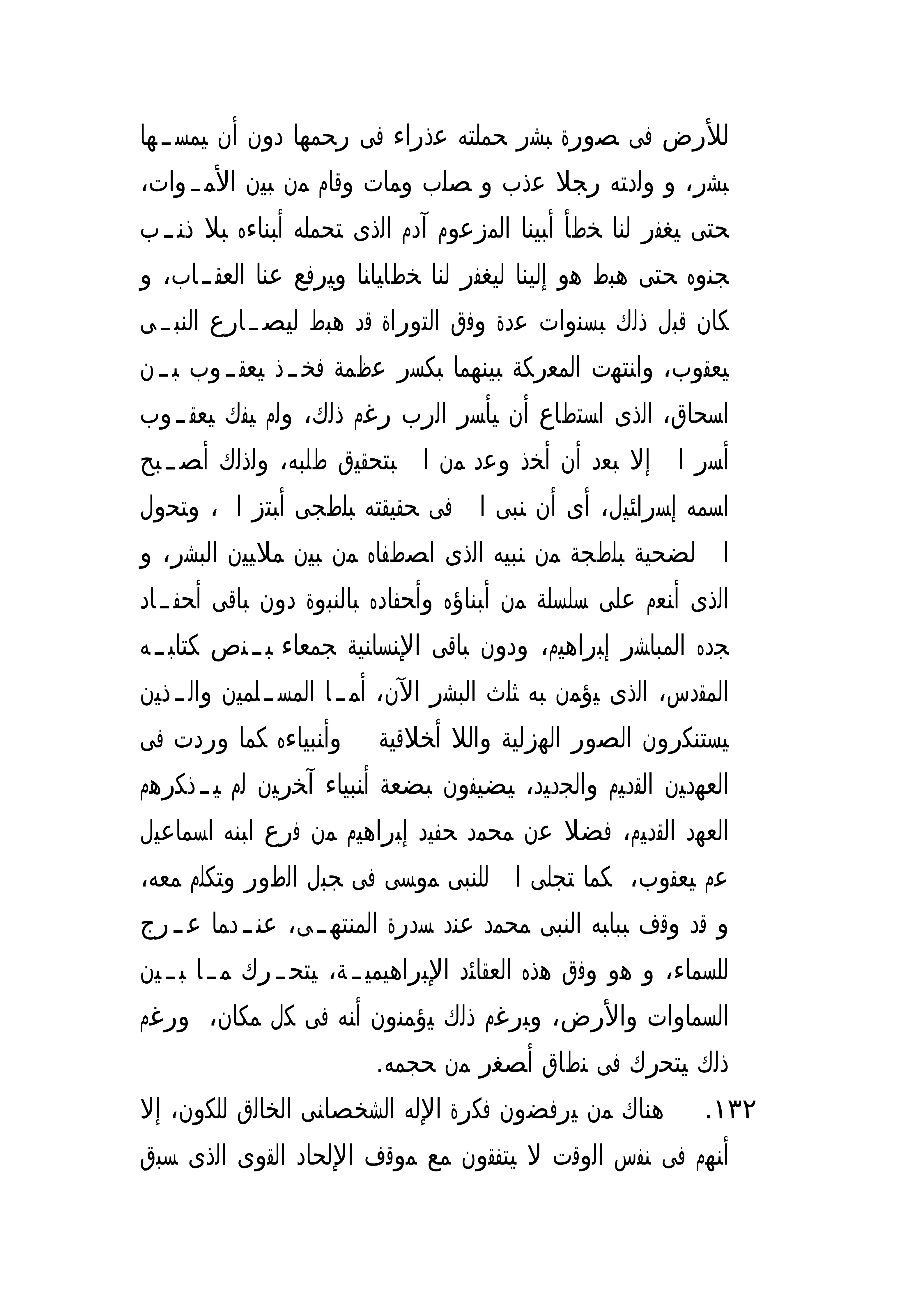
١٢٨. بالطبع يمكننا دائما أن نقول ماذا كان قبل هـذا الشـيء أو ذاك، وهذا الشيء بدوره ما الشيء الذي كان يسبقه مـن ظـواهر

الكون وهكذا ؟؟ أما أن نقف عند شيء معين وهو "الخالق" ونقول أنه وحده الذى لم يسبقه شيء، وهو وحده الذى لم يخلقه أحد، فهذا ما يجافى المنطق السليم، فى حين أن المعقـول هـو أن الوجـود المادى كله أزلى غير مخلوق لأنه لا يمكن أن يوجد مـن عـدم، والوجود المادى كله أبدى لأنه لا يمكن أن يفنى، ولكن هذا الوجود المادى الطبيعى يتجلى فى أشياء وظواهر متتابعة منذ الأزل فـى تسلسل لا نهائى إلى الأبد، لأنها لا يمكن أن تتحول إلى عـدم، إلا أن أى من هذه الظواهر و الأشياء لا تعرف الثبـات، والسـكون، وعدم التغير، وعدم التحول من شئ إلى آخر.

١٢٩. يصفون الخـالق بالأبديـة أى الخلـود المطلـق، دون أن يوضحوا لنا ما معنى اللانهاية، التى سوف يوجد عليها الخالق، و التى تعنى أيضا أن أفعاله أيضا لا نهاية لها، فماذا سوف يفعل بعد أن تفنى مخلوقاته مادام كل من عليها فان، إلا إذا كان سوف يظل ساكنا لا يفعل شيئا، فى حين يمكن أن نتصـور أن المـادة بكـل ظواهرها الطبيعية المتسلسلة ليس لها بداية ولا نهايـة، ولكـن لا نستطيع تصور أن هناك كائناً بعينه بلا بدايـة و لا نهايـة، مـع ملاحظة أن جميع المؤمنين يجمعون على أن الخالق سيمنح البشر حياة أبدية خالدة بعد الموت، لكنها لا تتساوي في أبديتها مع أبديـة الخالق. و هذا شيء يستحيل علـى العقـل فهمـه، و إلا كانـت المخلوقات بذلك منازعة للخالق فى صفة من صفات كماله، وهـي الأبدية التي لا تصح إلا له، لأن الأبدية صفة مطلقة لا يمكـن أن ننسبها إلى ما هو نسبى من مخلوقات الطبيعة المادية مثل الإنسان.

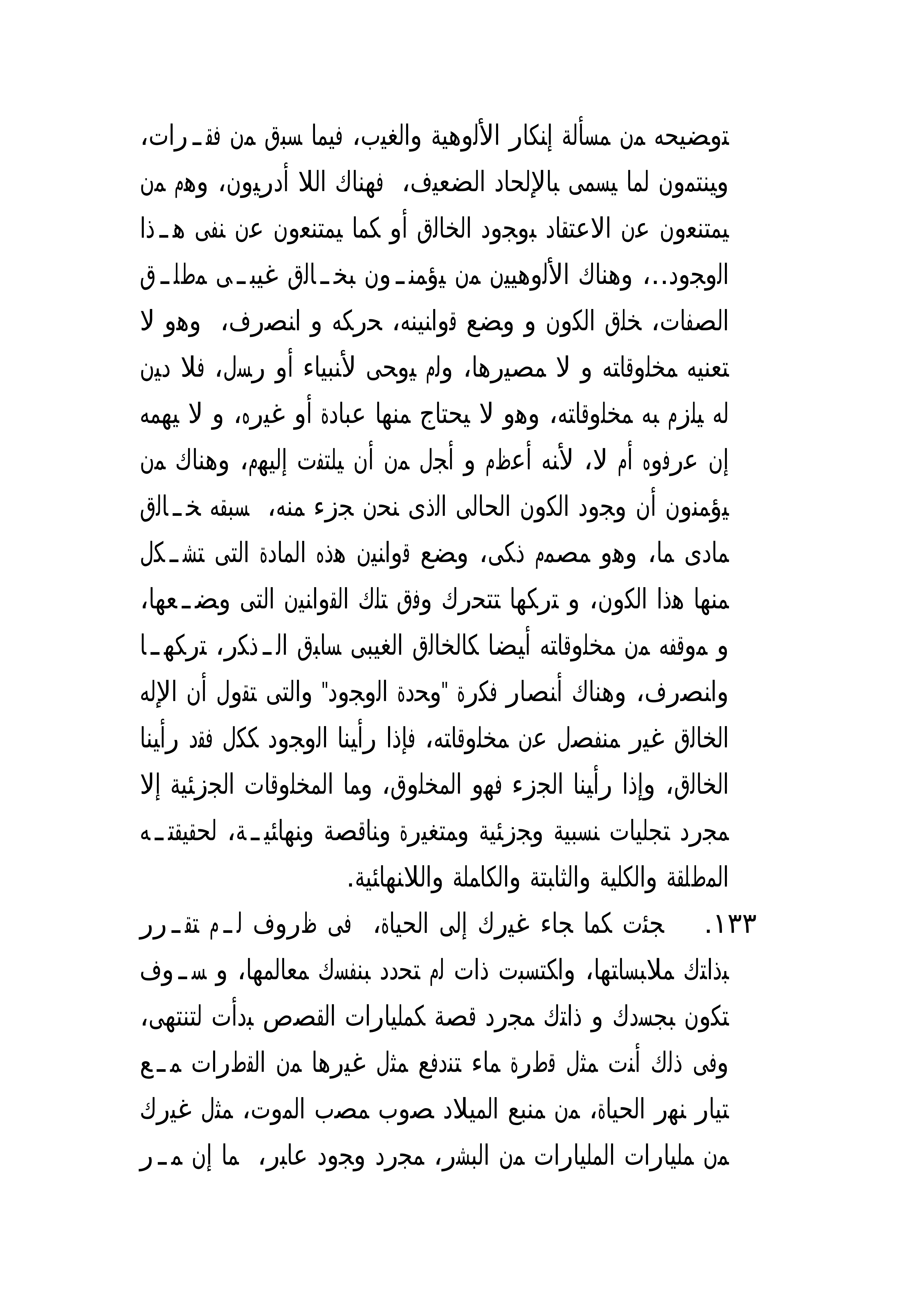
١٣٠. يزعمون أن الخالق كلى القدرة، فى حين أنه لا يمكن لهـم إثبات ذلك، فهل يستطيع الخالق أن يخلق صخرة لا يقـدر علـى حملها ؟، لو أجاب المؤمنين بـ"نعم"، فإنهم بهذه الإجابة قد جعلـوا الخالق غير مطلق القدرة (لا يقدر على حملها) !! ولو أجابوا بـ"لا"..فإنهم بهذه الإجابة قد جعلوا الخالق أيضاً غير مطلق القدرة (لا يستطيع أن يخلق هذه الصخرة). وبطريقة أخرى هل يقـدر الخالق أن يخلق إلها أقوى منه ؟ لو أجابوا بـ"نعم"، فإنهم بذلك قد جعلوا الخالق ضعيفاً، وخلعوا من عليه صفة القوة الإلهية المتفردة المطلقة (سيوجد إله أقوى منه) !! ولو أجابوا ب "لا"، فإنهم بذلك جعلوا الخالق غير مطلق القدرة (لا يقدر على خلق إله أقوى منه) ! فمن أين تأتى لهم إذن أن للخالق تلك القـدرة المطلقـة التـي ينسبونها إليه.

١٣١. يفترض المؤمنون أن ا لا يحيطه شئ، وإن كـان يحـيط بكل شئ.. والمؤمنون عموماً يعتقدون أن هذا الخالق غير محـدود الحجم. لأنه مطلق الصفات، و لا يمكن للمطلق أن يكون محـدود بأبعاد تحدد حجمه او مكانه، و إلا كان نسـبيا كسـائر مخلوقاتـه محدودة الحجم مهما تضخمت، وهذه الفكرة تتناقض مـن ناحيـة أخرى مع فكرة ا كمـا تصـورها الكتـب المقدسـة للأديـان الإبراهيمية، فالتوارة تقول أنه خلق الإنسان على صورته ومثالـه وحجمه، و برغم أن المسلمين يؤمنون بأن ا فى كل مكـان، إلا أنهم يؤمنون أيضا أن ا له مكان محدد، وعرش أستوى عليه، و أن هذا العرش عرضه السماوات والأرض، و تحملـه الملائكـة وتطوف حوله وفق القرآن، وأما وفق الأنجيل، فقد سبق و هـبط



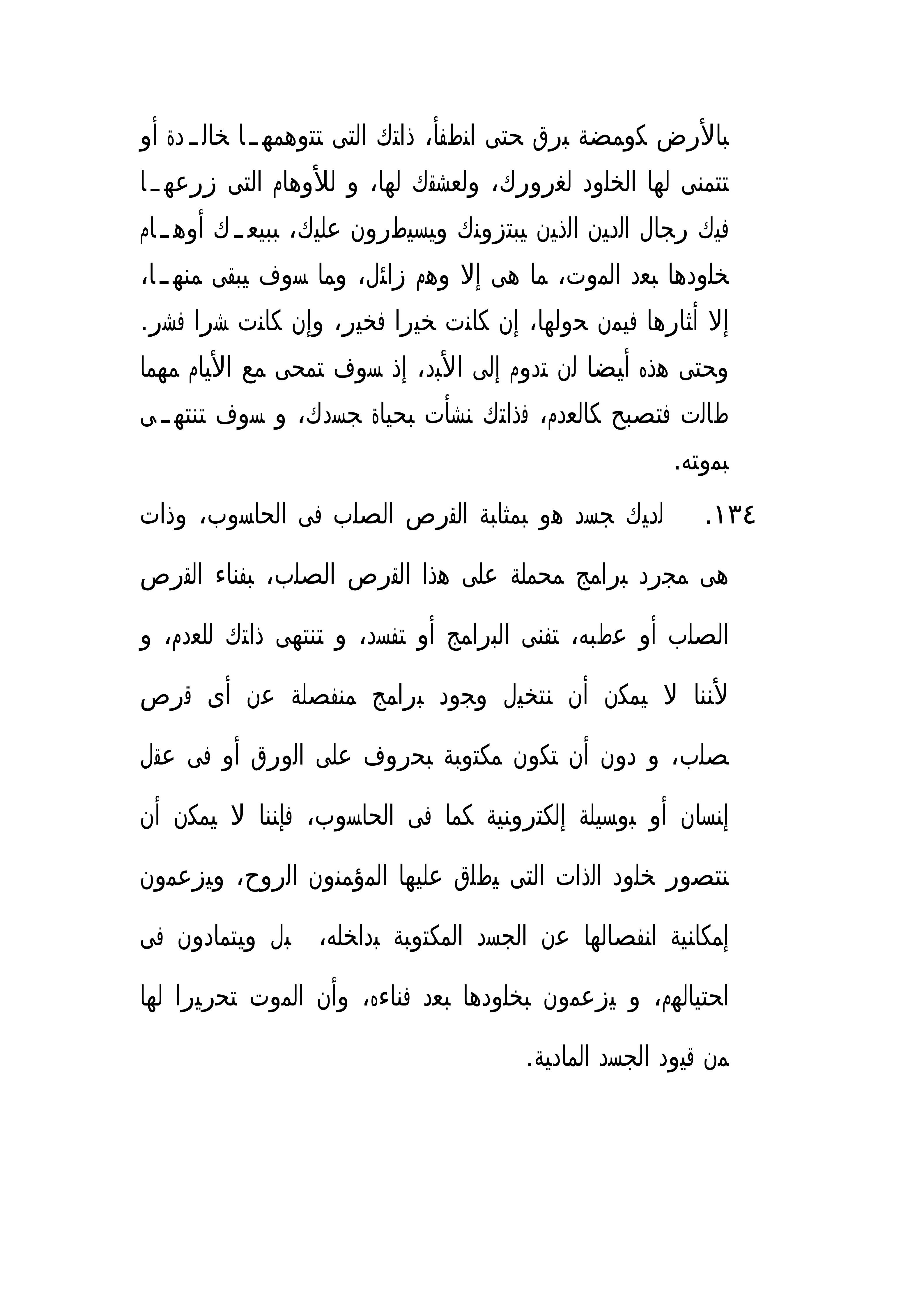
للأرض فى صورة بشر حملته عذراء فى رحمها دون أن يمسـها بشر، و ولدته رجلا عذب و صلب ومات وقام من بين الأمـوات، حتى يغفر لنا خطأ أبينا المزعوم آدم الذى تحمله أبناءه بلا ذنـب جنوه حتى هبط هو إلينا ليغفر لنا خطايانا ويرفع عنا العقـاب، و كان قبل ذلك بسنوات عدة وفق التوراة قد هبط ليصـارع النبـى يعقوب، وانتهت المعركة بينهما بكسر عظمة فخـذ يعقـوب بـن اسحاق، الذى استطاع أن يأسر الرب رغم ذلك، ولم يفك يعقـوب أسر ا إلا بعد أن أخذ وعد من ا بتحقيق طلبه، ولذلك أصـبح اسمه إسرائيل، أى أن نبى ا فى حقيقته بلطجى أبتز ا ، وتحول ا لضحية بلطجة من نبيه الذى اصطفاه من بين ملايين البشر، و الذى أنعم على سلسلة من أبناؤه وأحفاده بالنبوة دون باقى أحفـاد جده المباشر إبراهيم، ودون باقى الإنسانية جمعاء بـنص كتابـه المقدس، الذى يؤمن به ثلث البشر الآن، أمـا المسـلمين والـذين يستنكرون الصور الهزلية واللا أخلاقية وأنبياءه كما وردت فى العهدين القديم والجديد، يضيفون بضعة أنبياء آخرين لم يـذكرهم العهد القديم، فضلا عن محمد حفيد إبراهيم من فرع ابنه اسماعيل عم يعقوب، كما تجلى ا للنبى موسى فى جبل الطور وتكلم معه، و قد وقف ببابه النبى محمد عند سدرة المنتهـى، عنـدما عـرج للسماء، و هو وفق هذه العقائد الإبراهيميـة، يتحـرك مـا بـين السماوات والأرض، وبرغم ذلك يؤمنون أنه فى كل مكان، ورغم ذلك يتحرك فى نطاق أصغر من حجمه.

١٣٢. هناك من يرفضون فكرة الإله الشخصانى الخالق للكون، إلا أنهم فى نفس الوقت لا يتفقون مع موقف الإلحاد القوى الذى سبق



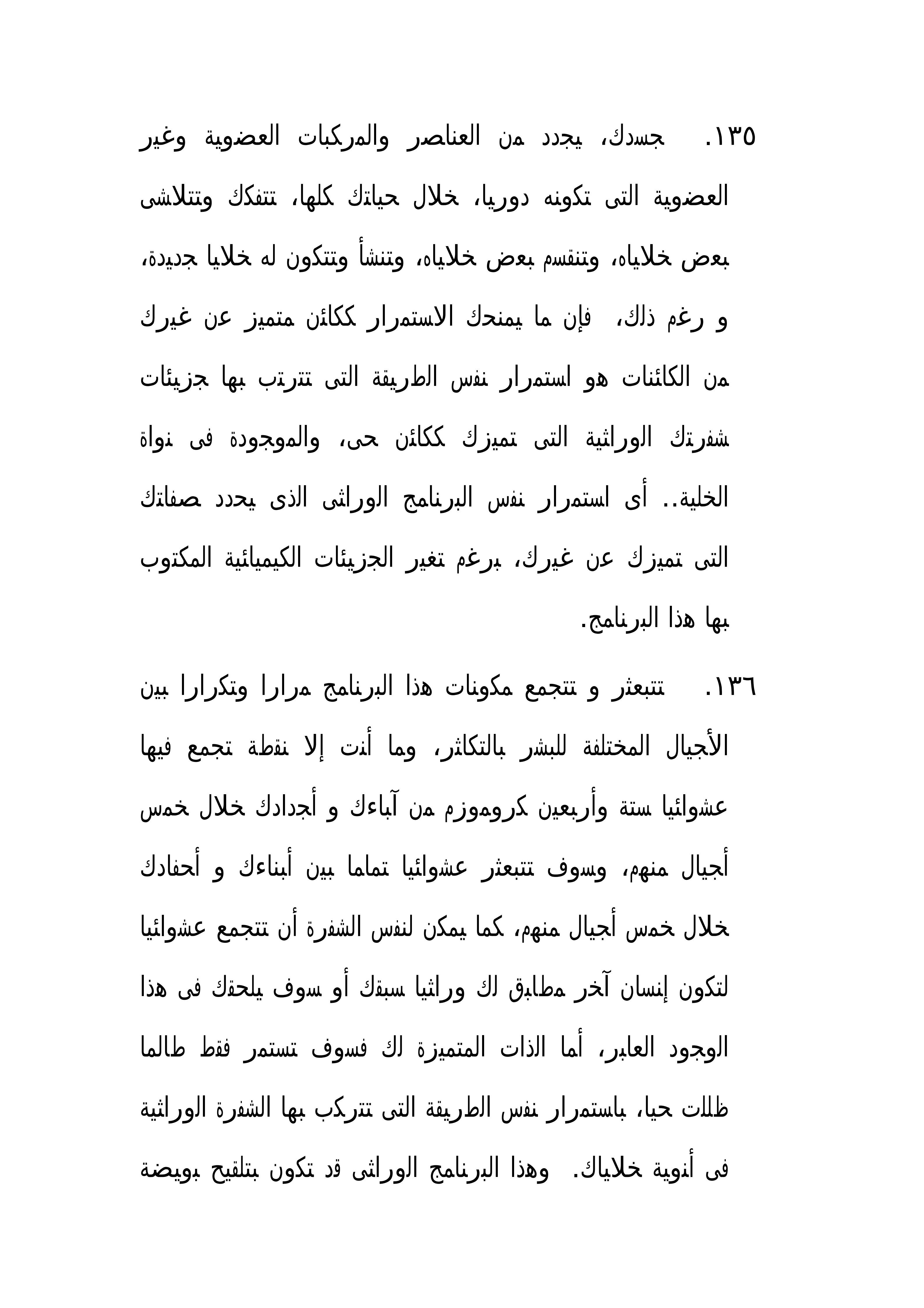
توضيحه من مسألة إنكار الألوهية والغيب، فيما سبق من فقرات، وينتمون لما يسمى بالإلحاد الضعيف، فهناك اللا أدريون، وهم من يمتنعون عن الاعتقاد بوجود الخالق أو كما يمتنعون عن نفى هذا الوجود..، وهناك الألوهيين من يؤمنون بخالق غيبى مطلق الصفات، خلق الكون و وضع قوانينه، حركه و انصرف، وهو لا تعنيه مخلوقاته و لا مصيرها، ولم يوحى لأنبياء أو رسل، فلا دين له يلزم به مخلوقاته، وهو لا يحتاج منها عبادة أو غيره، و لا يهمه إن عرفوه أم لا، لأنه أعظم و أجل من أن يلتفت إليهم، وهناك من يؤمنون أن وجود الكون الحالى الذى نحن جزء منه، سبقه خالق مادى ما، وهو مصمم ذكى، وضع قوانين هذه المادة التى تشكل منها هذا الكون، و تركها تتحرك وفق تلك القوانين التى وضعها، و موقفه من مخلوقاته أيضا كالخالق الغيبى سابق الذكر، تركها وانصرف، وهناك أنصار فكرة "وحدة الوجود" والتى تقول أن الإله الخالق غير منفصل عن مخلوقاته، فإذا رأينا الوجود ككل فقد رأينا الخالق، وإذا رأينا الجزء فهو المخلوق، وما المخلوقات الجزئية إلا مجرد تجليات نسبية وجزئية ومتغيرة وناقصة ونهائية، لحقيقته المطلقة والكلية والثابتة والكاملة واللانهائية.

١٣٣. جئت كما جاء غيرك إلى الحياة، فى ظروف لم تقرر بذاتك ملابساتها، واكتسبت ذات لم تحدد بنفسك معالمها، و سوف تكون بجسدك و ذاتك مجرد قصة كمليارات القصص بدأت لتنتهى، وفى ذلك أنت مثل قطرة ماء تندفع مثل غيرها من القطرات مع تيار نهر الحياة، من منبع الميلاد صوب مصب الموت، مثل غيرك من مليارات المليارات من البشر، مجرد وجود عابر، ما إن مر



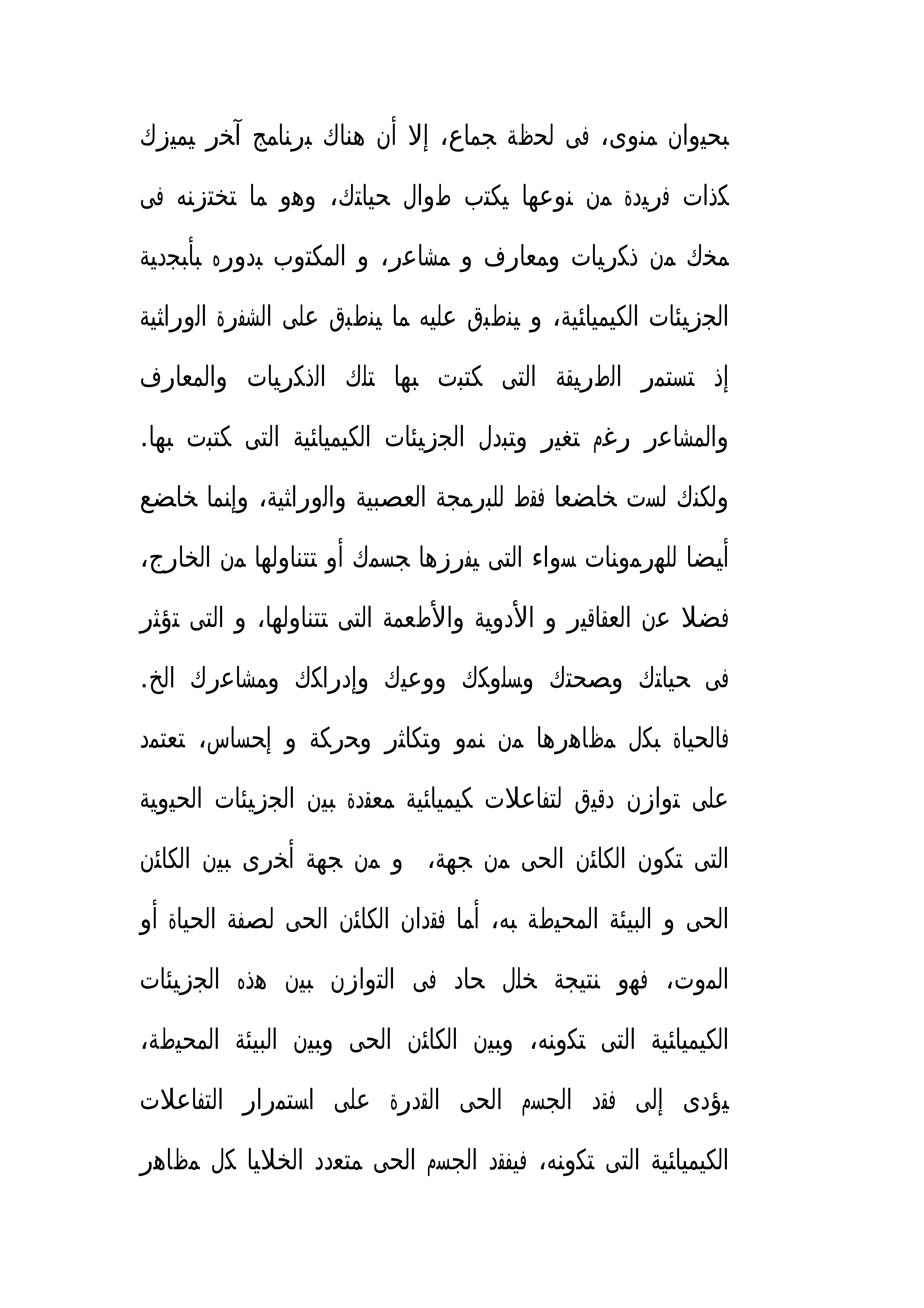
بالأرض كومضة برق حتى انطفأ، ذاتك التى تتوهمهـا خالـدة أو تتمنى لها الخلود لغرورك، ولعشقك لها، و للأوهام التى زرعهـا فيك رجال الدين الذين يبتزونك ويسيطرون عليك، ببيعـك أوهـام خلودها بعد الموت، ما هى إلا وهم زائل، وما سوف يبقى منهـا، إلا أثارها فيمن حولها، إن كانت خيرا فخير، وإن كانت شرا فشر. وحتى هذه أيضا لن تدوم إلى الأبد، إذ سوف تمحى مع الأيام مهما طالت فتصبح كالعدم، فذاتك نشأت بحياة جسدك، و سوف تنتهـى بموته.

١٣٤. لديك جسد هو بمثابة القرص الصلب فى الحاسوب، وذات هى مجرد برامج محملة على هذا القرص الصلب، بفناء القرص الصلب أو عطبه، تفنى البرامج أو تفسد، و تنتهى ذاتك للعدم، و لأننا لا يمكن أن نتخيل وجود برامج منفصلة عن أى قرص صلب، و دون أن تكون مكتوبة بحروف على الورق أو فى عقل إنسان أو بوسيلة إلكترونية كما فى الحاسوب، فإننا لا يمكن أن نتصور خلود الذات التى يطلق عليها المؤمنون الروح، ويزعمون إمكانية انفصالها عن الجسد المكتوبة بداخله، بل ويتمادون فى احتيالهم، و يزعمون بخلودها بعد فناءه، وأن الموت تحريرا لها من قيود الجسد المادية.

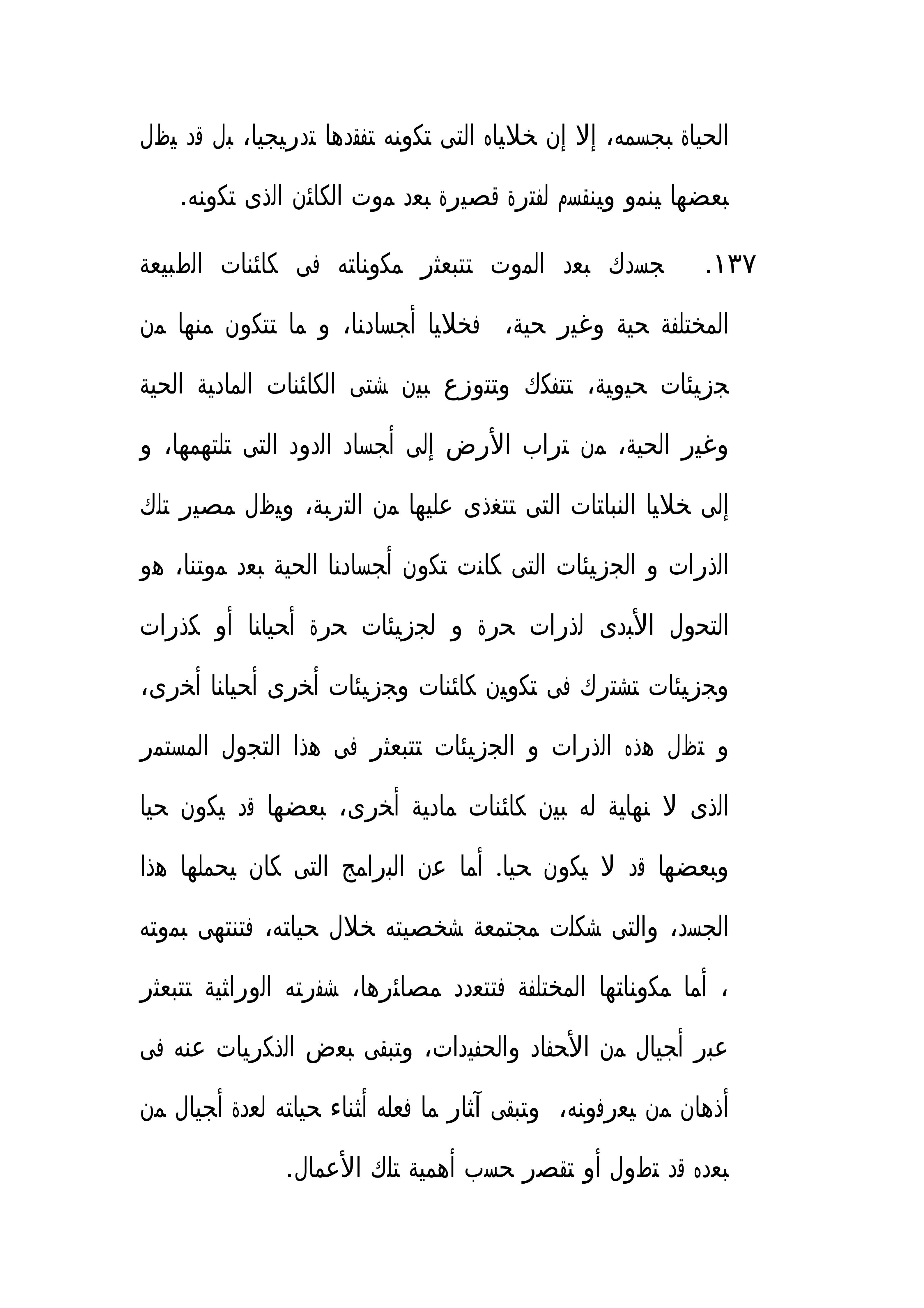


١٣٥. جسدك، يجدد من العناصر والمركبات العضوية وغير العضوية التى تكونه دوريا، خلال حياتك كلها، تتفكك وتتلاشى بعض خلاياه، وتنقسم بعض خلاياه، وتنشأ وتتكون له خلايا جديدة، و رغم ذلك، فإن ما يمنحك الاستمرار ككائن متميز عن غيرك من الكائنات هو استمرار نفس الطريقة التى تترتب بها جزيئات شفرتك الوراثية التى تميزك ككائن حى، والموجودة فى نواة الخلية.. أى استمرار نفس البرنامج الوراثى الذى يحدد صفاتك التى تميزك عن غيرك، برغم تغير الجزيئات الكيميائية المكتوب بها هذا البرنامج.

١٣٦. تتبعثر و تتجمع مكونات هذا البرنامج مرارا وتكرارا بين الأجيال المختلفة للبشر بالتكاثر، وما أنت إلا نقطة تجمع فيها عشوائيا ستة وأربعين كروموزم من آباءك و أجدادك خلال خمس أجيال منهم، وسوف تتبعثر عشوائيا تماما بين أبناءك و أحفادك خلال خمس أجيال منهم، كما يمكن لنفس الشفرة أن تتجمع عشوائيا لتكون إنسان آخر مطابق لك وراثيا سبقك أو سوف يلحقك فى هذا الوجود العابر، أما الذات المتميزة لك فسوف تستمر فقط طالما ظللت حيا، باستمرار نفس الطريقة التى تتركب بها الشفرة الوراثية فى أنوية خلاياك. وهذا البرنامج الوراثى قد تكون بتلقيح بويضة

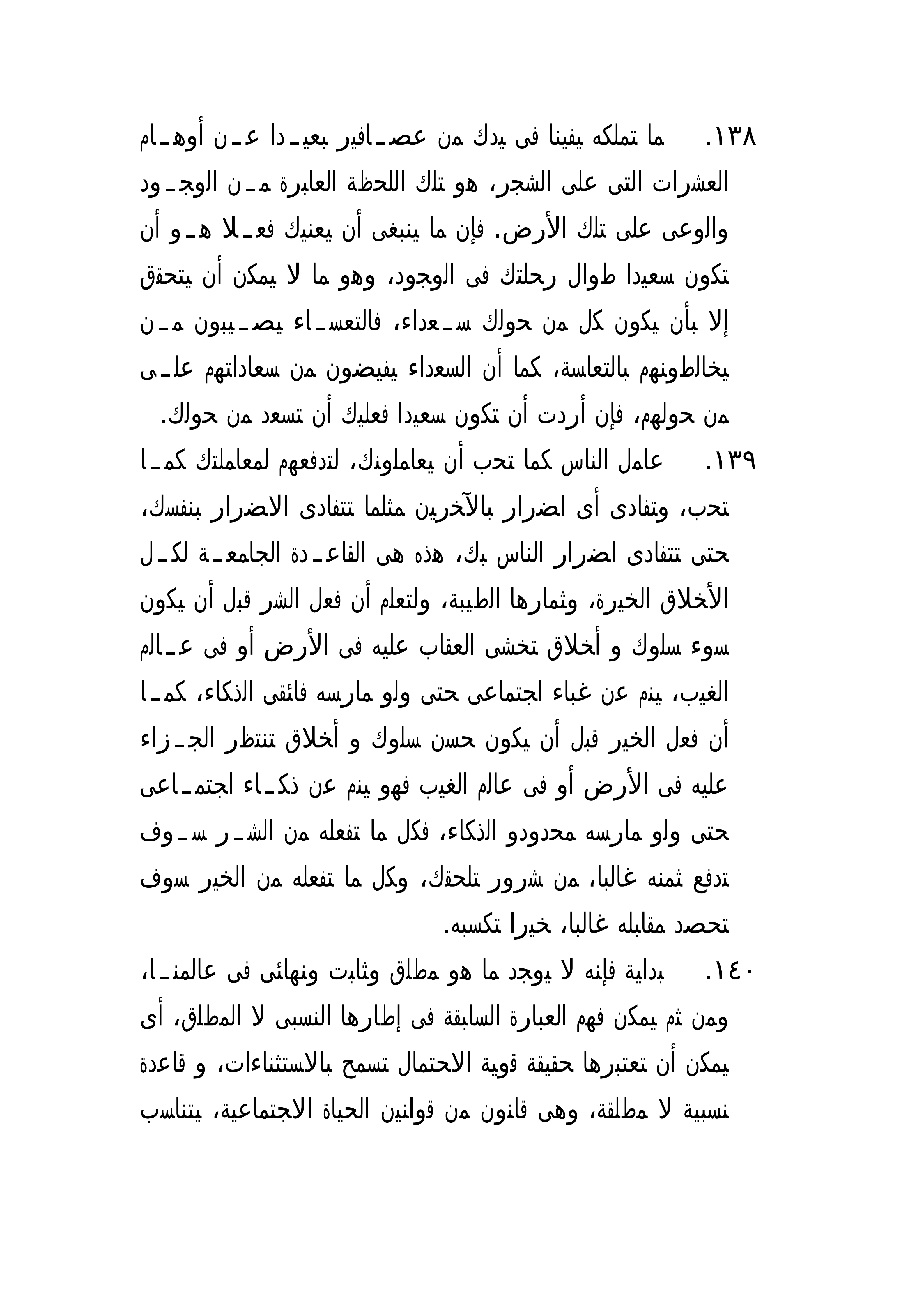


بحيوان منوى، فى لحظة جماع، إلا أن هناك برنامج آخر يميزك كذات فريدة من نوعها يكتب طوال حياتك، وهو ما تختزنه فى مخك من ذكريات ومعارف و مشاعر، و المكتوب بدوره بأبجدية الجزيئات الكيميائية، و ينطبق عليه ما ينطبق على الشفرة الوراثية إذ تستمر الطريقة التى كتبت بها تلك الذكريات والمعارف والمشاعر رغم تغير وتبدل الجزيئات الكيميائية التى كتبت بها. ولكنك لست خاضعا فقط للبرمجة العصبية والوراثية، وإنما خاضع أيضا للهرمونات سواء التى يفرزها جسمك أو تتناولها من الخارج، فضلا عن العقاقير و الأدوية والأطعمة التى تتناولها، و التى تؤثر فى حياتك وصحتك وسلوكك ووعيك وإدراكك ومشاعرك الخ. فالحياة بكل مظاهرها من نمو وتكاثر وحركة و إحساس، تعتمد على توازن دقيق لتفاعلات كيميائية معقدة بين الجزيئات الحيوية التى تكون الكائن الحى من جهة، و من جهة أخرى بين الكائن الحى و البيئة المحيطة به، أما فقدان الكائن الحى لصفة الحياة أو الموت، فهو نتيجة خلل حاد فى التوازن بين هذه الجزيئات الكيميائية التى تكونه، وبين الكائن الحى وبين البيئة المحيطة، يؤدى إلى فقد الجسم الحى القدرة على استمرار التفاعلات الكيميائية التى تكونه، فيفقد الجسم الحى متعدد الخلايا كل مظاهر



الحياة بجسمه، إلا إن خلاياه التى تكونه تفقدها تدريجيا، بل قد يظل بعضها ينمو وينقسم لفترة قصيرة بعد موت الكائن الذى تكونه.

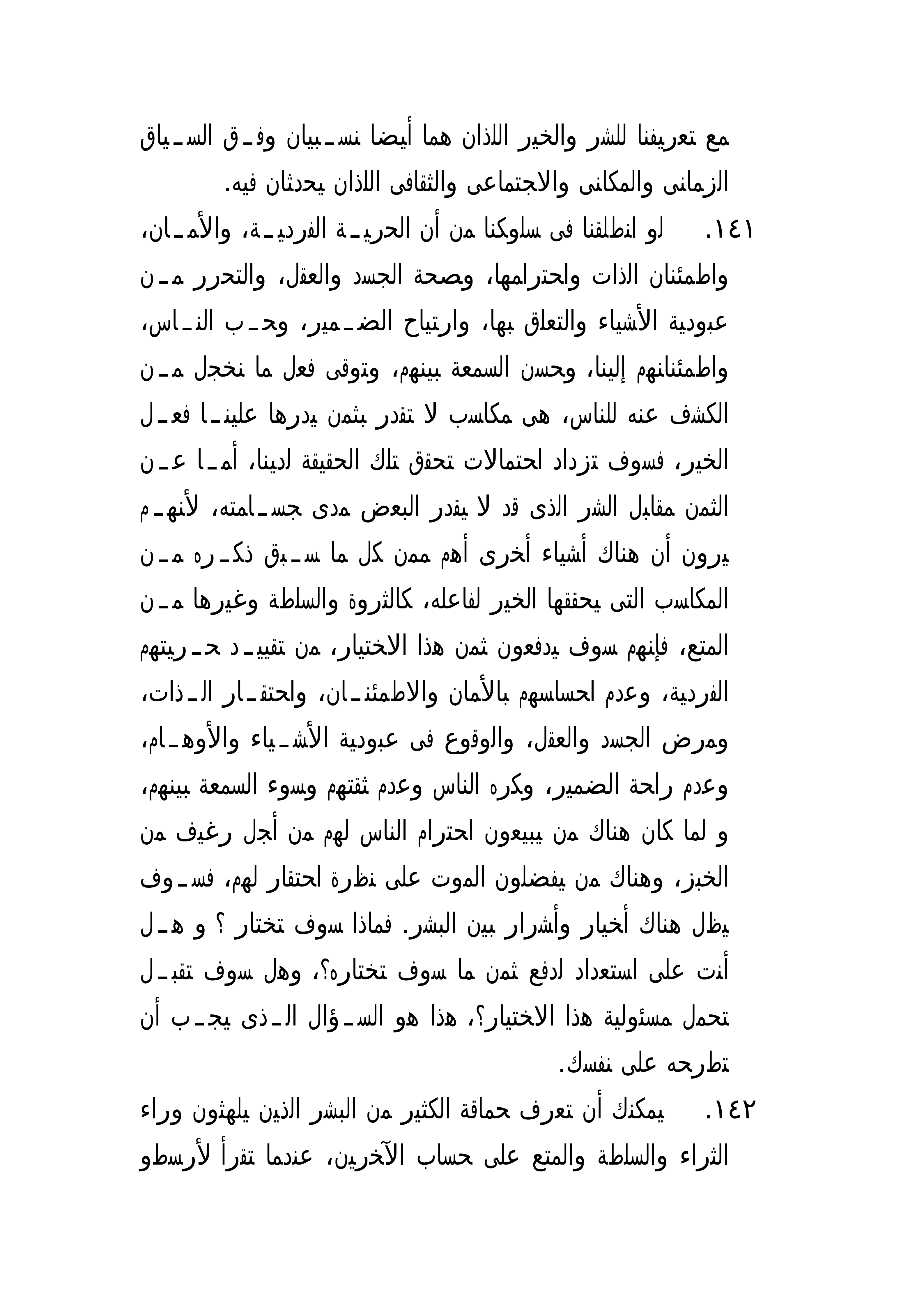
١٣٧. جسدك بعد الموت تتبعثر مكوناته فى كائنات الطبيعة المختلفة حية وغير حية، فخلايا أجسادنا، و ما تتكون منها من جزيئات حيوية، تتفكك وتتوزع بين شتى الكائنات المادية الحية وغير الحية، من تراب الأرض إلى أجساد الدود التى تلتهمها، و إلى خلايا النباتات التى تتغذى عليها من التربة، ويظل مصير تلك الذرات و الجزيئات التى كانت تكون أجسادنا الحية بعد موتنا، هو التحول الأبدى لذرات حرة و لجزيئات حرة أحيانا أو كذرات وجزيئات تشترك فى تكوين كائنات وجزيئات أخرى أحيانا أخرى، و تظل هذه الذرات و الجزيئات تتبعثر فى هذا التجول المستمر الذى لا نهاية له بين كائنات مادية أخرى، بعضها قد يكون حيا وبعضها قد لا يكون حيا. أما عن البرامج التى كان يحملها هذا الجسد، والتى شكلت مجتمعة شخصيته خلال حياته، فتنتهى بموته ، أما مكوناتها المختلفة فتتعدد مصائرها، شفرته الوراثية تتبعثر عبر أجيال من الأحفاد والحفيدات، وتبقى بعض الذكريات عنه فى أذهان من يعرفونه، وتبقى آثار ما فعله أثناء حياته لعدة أجيال من بعده قد تطول أو تقصر حسب أهمية تلك الأعمال.



١٣٨. ما تملكه يقينا فى يدك من عصافير بعيدا عن أوهام العشرات التى على الشجر، هو تلك اللحظة العابرة من الوجود والوعى على تلك الأرض. فإن ما ينبغى أن يعنيك فعلا هو أن تكون سعيدا طوال رحلتك فى الوجود، وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا بأن يكون كل من حولك سعداء، فالتعساء يصيبون من يخالطونهم بالتعاسة، كما أن السعداء يفيضون من سعاداتهم على من حولهم، فإن أردت أن تكون سعيدا فعليك أن تسعد من حولك.

١٣٩. عامل الناس كما تحب أن يعاملونك، لتدفعهم لمعاملتك كما تحب، وتفادى أى اضرار بالآخرين مثلما تتفادى الاضرار بنفسك، حتى تتفادى اضرار الناس بك، هذه هى القاعدة الجامعة لكل الأخلاق الخيرة، وثمارها الطيبة، ولتعلم أن فعل الشر قبل أن يكون سوء سلوك و أخلاق تخشى العقاب عليه فى الأرض أو فى عالم الغيب، ينم عن غباء اجتماعى حتى ولو مارسه فائقى الذكاء، كما أن فعل الخير قبل أن يكون حسن سلوك و أخلاق تنتظر الجزاء عليه فى الأرض أو فى عالم الغيب فهو ينم عن ذكاء اجتماعى حتى ولو مارسه محدودو الذكاء، فكل ما تفعله من الشر سوف تدفع ثمنه غالبا، من شرور تلحقك، وكل ما تفعله من الخير سوف تحصد مقابله غالبا، خيرا تكسبه.

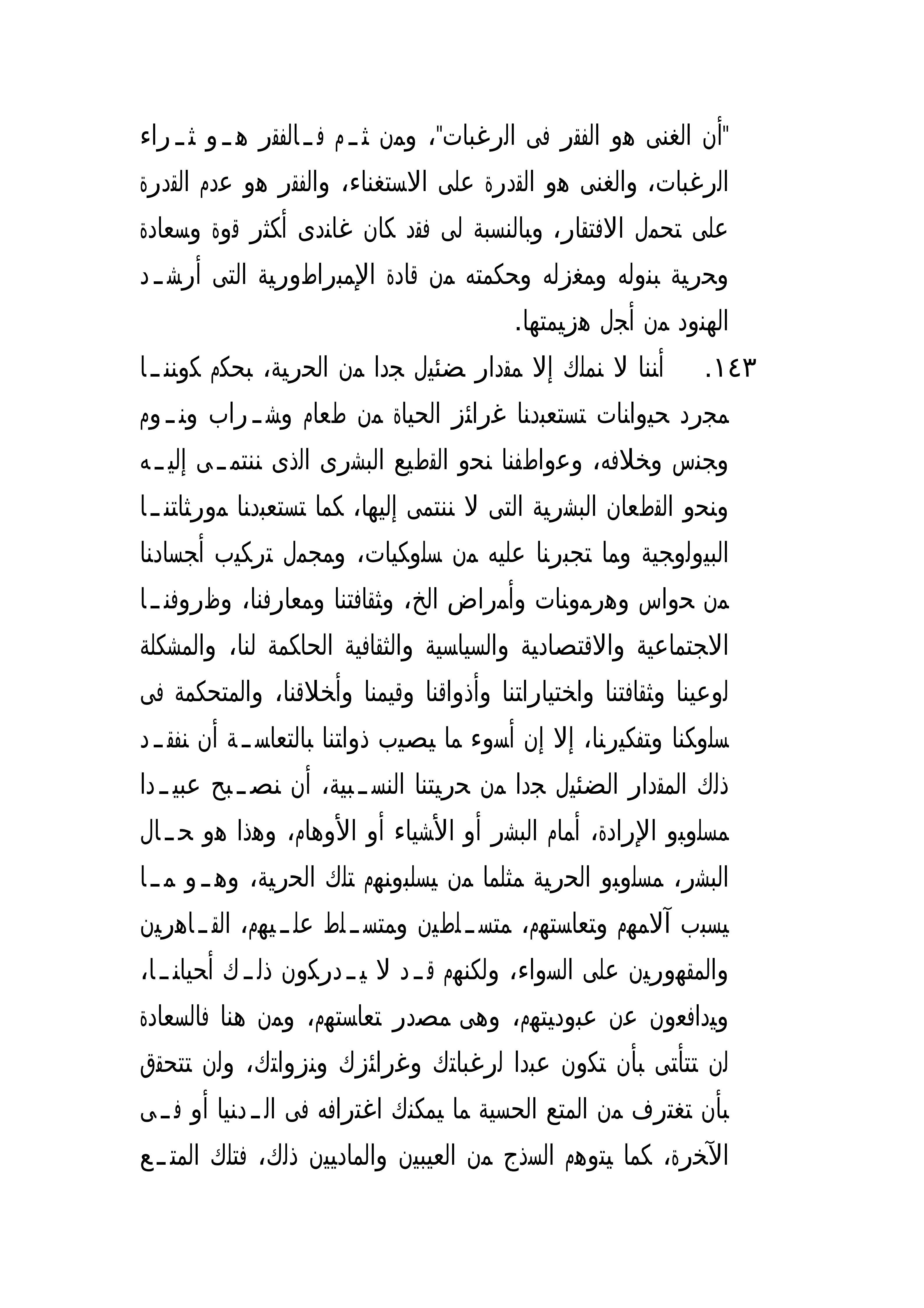
١٤٠. بداية فإنه لا يوجد ما هو مطلق وثابت ونهائى فى عالمنا، ومن ثم يمكن فهم العبارة السابقة فى إطارها النسبى لا المطلق، أى يمكن أن تعتبرها حقيقة قوية الاحتمال تسمح بالاستثناءات، و قاعدة نسبية لا مطلقة، وهى قانون من قوانين الحياة الاجتماعية، يتناسب



مع تعريفنا للشر والخير اللذان هما أيضا نسبيان وفق السياق الزمانى والمكانى والاجتماعى والثقافى اللذان يحدثان فيه.

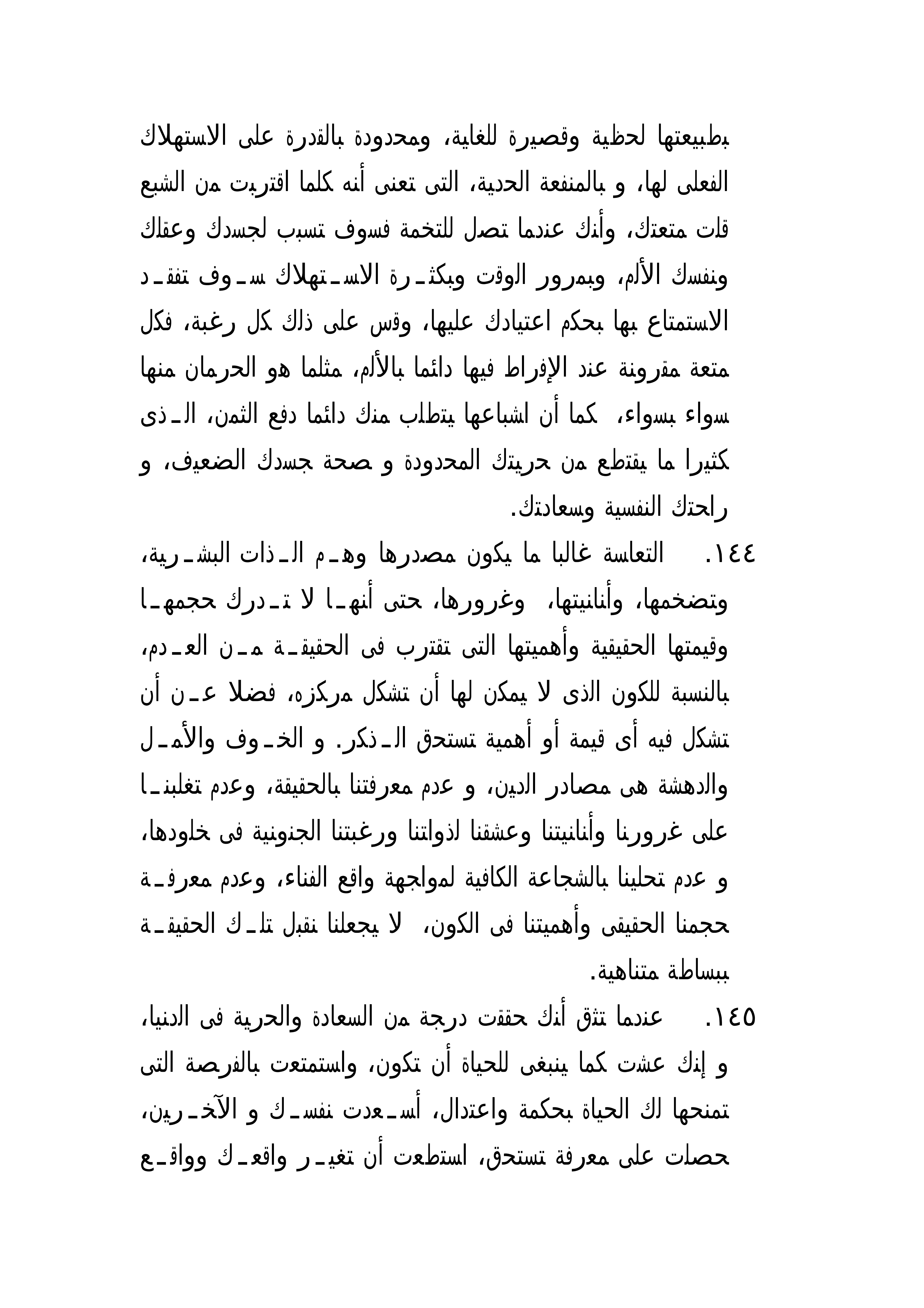
١٤١. لو انطلقنا فى سلوكنا من أن الحرية الفردية، والأمان، واطمئنان الذات واحترامها، وصحة الجسد والعقل، والتحرر من عبودية الأشياء والتعلق بها، وارتياح الضمير، وحب الناس، واطمئنانهم إلينا، وحسن السمعة بينهم، وتوقى فعل ما نخجل من الكشف عنه للناس، هى مكاسب لا تقدر بثمن يدرها علينا فعل الخير، فسوف تزداد احتمالات تحقق تلك الحقيقة لدينا، أما عن الثمن مقابل الشر الذى قد لا يقدر البعض مدى جسامته، لأنهم يرون أن هناك أشياء أخرى أهم ممن كل ما سبق ذكره من المكاسب التى يحققها الخير لفاعله، كالثروة والسلطة وغيرها من المتع، فإنهم سوف يدفعون ثمن هذا الاختيار، من تقييد حريتهم الفردية، وعدم احساسهم بالأمان والاطمئنان، واحتقار الذات، ومرض الجسد والعقل، والوقوع فى عبودية الأشياء والأوهام، وعدم راحة الضمير، وكره الناس وعدم ثقتهم وسوء السمعة بينهم، و لما كان هناك من يبيعون احترام الناس لهم من أجل رغيف من الخبز، وهناك من يفضلون الموت على نظرة احتقار لهم، فسوف يظل هناك أخيار وأشرار بين البشر. فماذا سوف تختار ؟ و هل أنت على استعداد لدفع ثمن ما سوف تختاره؟، وهل سوف تقبل تحمل مسئولية هذا الاختيار؟، هذا هو السؤال الذى يجب أن تطرحه على نفسك.

١٤٢. يمكنك أن تعرف حماقة الكثير من البشر الذين يلهثون وراء الثراء والسلطة والمتع على حساب الآخرين، عندما تقرأ لأرسطو



"أن الغنى هو الفقر فى الرغبات"، ومن ثـم فـالفقر هـو ثـراء الرغبات، والغنى هو القدرة على الاستغناء، والفقر هو عدم القدرة على تحمل الافتقار، وبالنسبة لى فقد كان غاندى أكثر قوة وسعادة وحرية بنوله ومغزله وحكمته من قادة الإمبراطورية التى أرشـد الهنود من أجل هزيمتها.

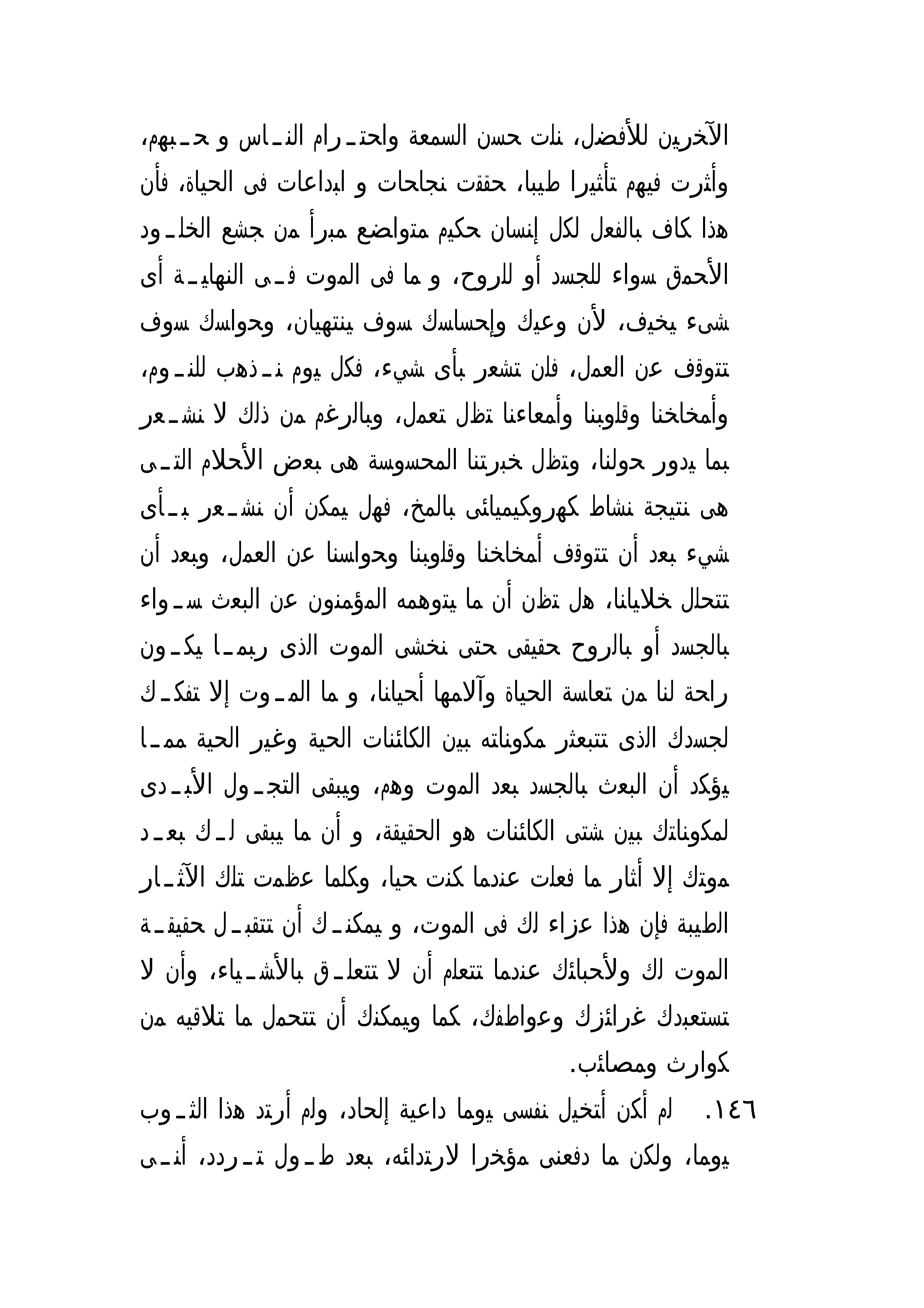
١٤٣. أننا لا نملك إلا مقدار ضئيل جدا من الحرية، بحكم كونـنـا مجرد حيوانات تستعبدنا غرائز الحياة من طعام وشـراب ونـوم وجنس وخلافه، وعواطفنا نحو القطيع البشرى الذى ننتمـى إليـه ونحو القطعان البشرية التى لا ننتمى إليها، كما تستعبدنا مورثاتنـا البيولوجية وما تجبرنا عليه من سلوكيات، ومجمل تركيب أجسادنا من حواس وهرمونات وأمراض الخ، وثقافتنا ومعارفنا، وظروفنـا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية الحاكمة لنا، والمشكلة لوعينا وثقافتنا واختياراتنا وأذواقنا وقيمنا وأخلاقنا، والمتحكمة فى سلوكنا وتفكيرنا، إلا إن أسوء ما يصيب ذواتنا بالتعاسـة أن نفقـد ذلك المقدار الضئيل جدا من حريتنا النسـبية، أن نصـبح عبيـدا مسلوبو الإرادة، أمام البشر أو الأشياء أو الأوهام، وهذا هو حـال البشر، مسلوبو الحرية مثلما من يسلبونهم تلك الحرية، وهـو مـا يسبب آلامهم وتعاستهم، متسـلطين ومتسـلط علـيهم، القـاهرين والمقهورين على السواء، ولكنهم قـد لا يـدركون ذلـك أحيانـا، ويدافعون عن عبوديتهم، وهى مصدر تعاستهم، ومن هنا فالسعادة لن تتأتى بأن تكون عبدا لرغباتك وغرائزك ونزواتك، ولن تتحقق بأن تغترف من المتع الحسية ما يمكنك اغترافه فى الـدنيا أو فـى الآخرة، كما يتوهم السذج من الغيبين والماديين ذلك، فتلك المتـع



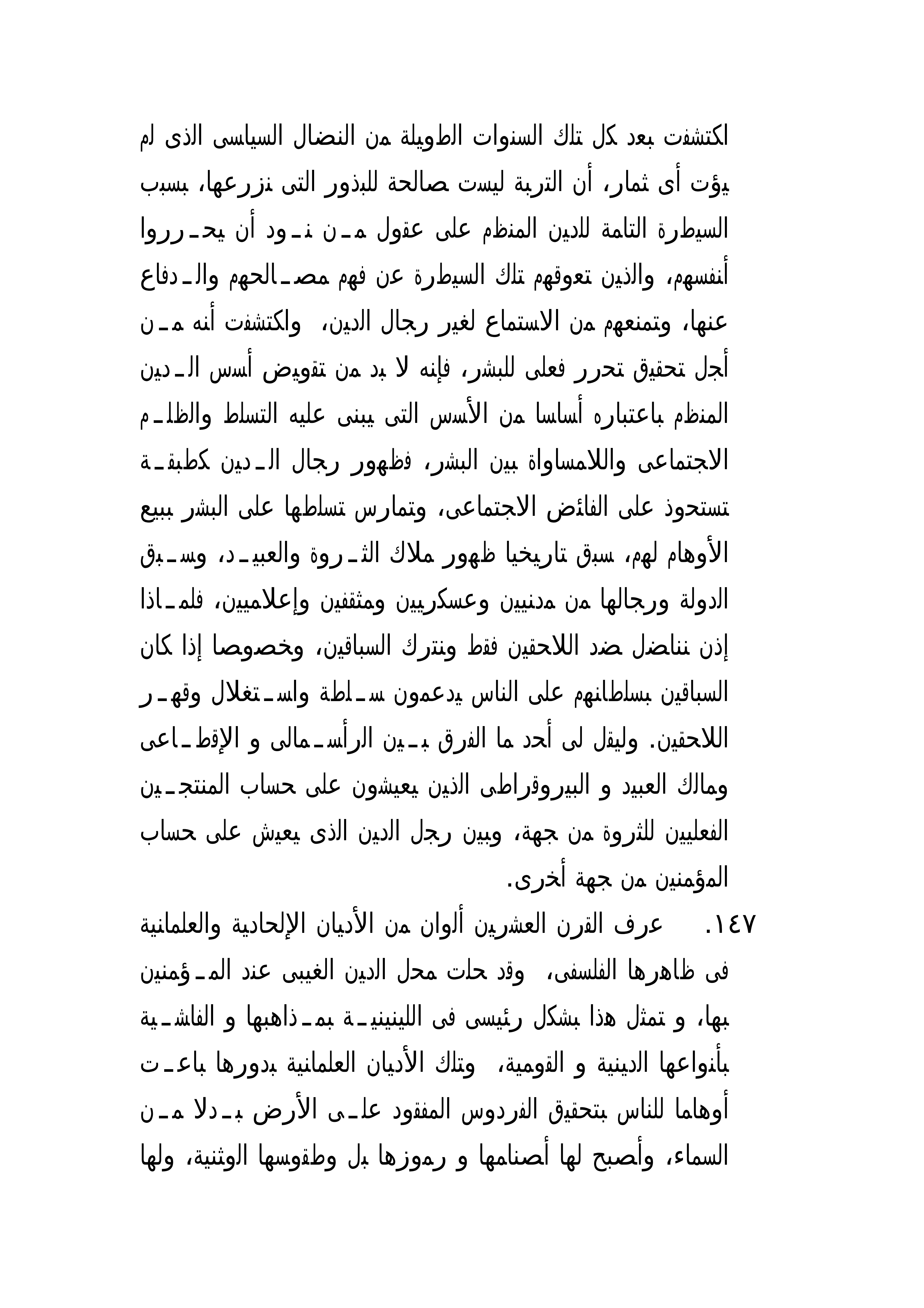
بطبيعتها لحظية وقصيرة للغاية، ومحدودة بالقدرة على الاستهلاك الفعلى لها، و بالمنفعة الحدية، التى تعنى أنه كلما اقتربت من الشبع قلت متعتك، وأنك عندما تصل للتخمة فسوف تسبب لجسدك وعقلك ونفسك الألم، وبمرور الوقت وبكثرة الاستهلاك سوف تفقد الاستمتاع بها بحكم اعتيادك عليها، وقس على ذلك كل رغبة، فكل متعة مقرونة عند الإفراط فيها دائما بالألم، مثلما هو الحرمان منها سواء بسواء، كما أن اشباعها يتطلب منك دائما دفع الثمن، الذى كثيرا ما يقتطع من حريتك المحدودة و صحة جسدك الضعيف، و راحتك النفسية وسعادتك.

١٤٤. التعاسة غالبا ما يكون مصدرها وهم الذات البشرية، وتضخمها، وأنانيتها، وغرورها، حتى أنها لا تدرك حجمها وقيمتها الحقيقية وأهميتها التى تقترب فى الحقيقة من العدم، بالنسبة للكون الذى لا يمكن لها أن تشكل مركزه، فضلا عن أن تشكل فيه أى قيمة أو أهمية تستحق الذكر. و الخوف والأمل والدهشة هى مصادر الدين، و عدم معرفتنا بالحقيقة، وعدم تغلبنا على غرورنا وأنانيتنا وعشقنا لذواتنا ورغبتنا الجنونية فى خلودها، و عدم تحلينا بالشجاعة الكافية لمواجهة واقع الفناء، وعدم معرفة حجمنا الحقيقى وأهميتنا فى الكون، لا يجعلنا نقبل تلك الحقيقة ببساطة متناهية.

١٤٥. عندما تثق أنك حققت درجة من السعادة والحرية فى الدنيا، و إنك عشت كما ينبغى للحياة أن تكون، واستمتعت بالفرصة التى تمنحها لك الحياة بحكمة واعتدال، أسعدت نفسك و الآخرين، حصلت على معرفة تستحق، استطعت أن تغير واقعك وواقع

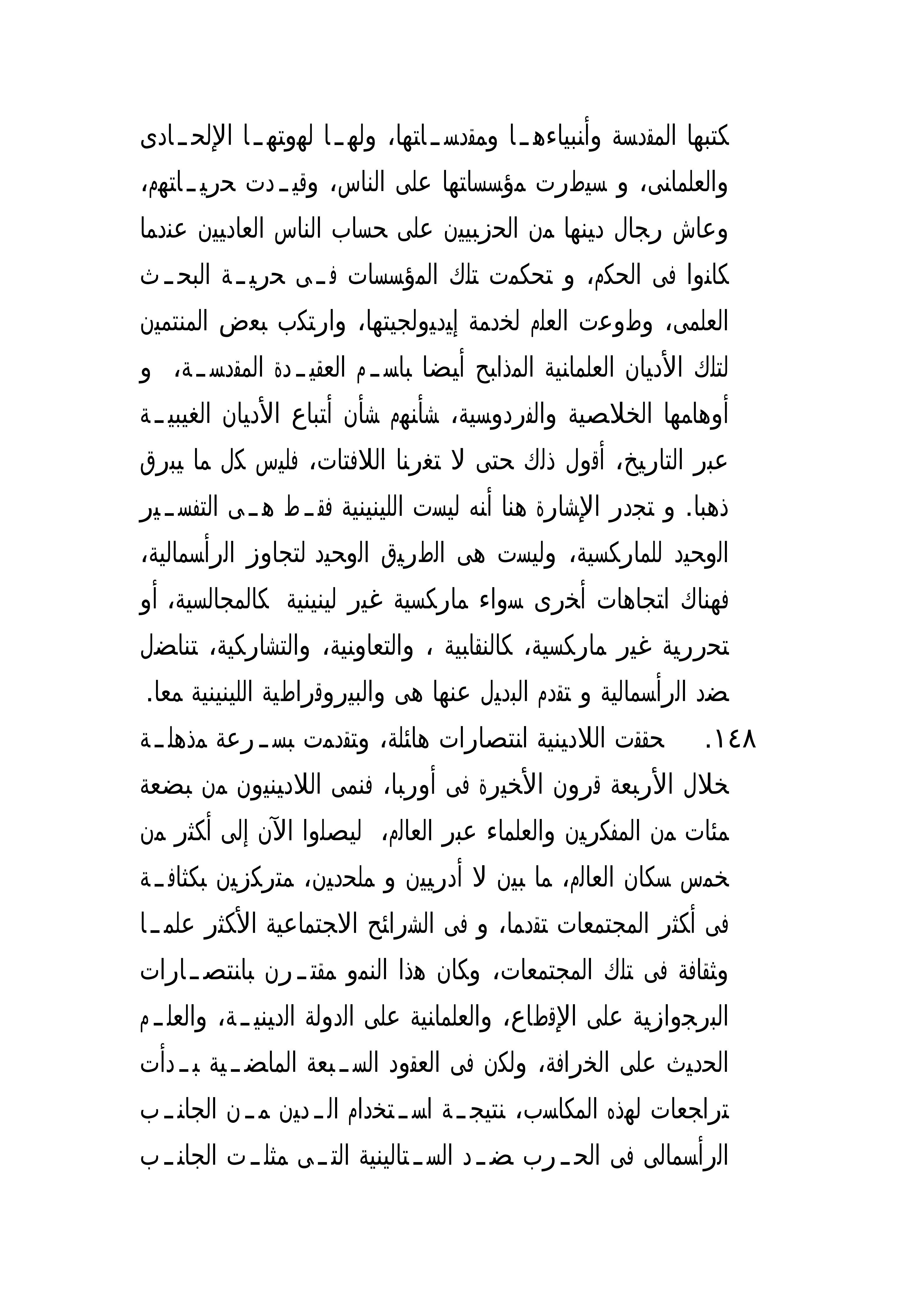

الآخرين للأفضل، نلت حسن السمعة واحترام الناس و حبهم، وأثرت فيهم تأثيرا طيبا، حققت نجاحات و ابداعات فى الحياة، فأن هذا كاف بالفعل لكل إنسان حكيم متواضع مبرأ من جشع الخلود الأحمق سواء للجسد أو للروح، و ما فى الموت فى النهاية أى شئ يخيف، لأن وعيك وإحساسك سوف ينتهيان، وحواسك سوف تتوقف عن العمل، فلن تشعر بأى شيء، فكل يوم نذهب للنوم، وأمخاخنا وقلوبنا وأمعاءنا تظل تعمل، وبالرغم من ذلك لا نشعر بما يدور حولنا، وتظل خبرتنا المحسوسة هى بعض الأحلام التى هى نتيجة نشاط كهروكيميائى بالمخ، فهل يمكن أن نشعر بأى شيء بعد أن تتوقف أمخاخنا وقلوبنا وحواسنا عن العمل، وبعد أن تتحلل خلايانا، هل تظن أن ما يتوهمه المؤمنون عن البعث سواء بالجسد أو بالروح حقيقى حتى نخشى الموت الذى ربما يكون راحة لنا من تعاسة الحياة وآلامها أحيانا، و ما الموت إلا تفكك لجسدك الذى تتبعثر مكوناته بين الكائنات الحية وغير الحية مما يؤكد أن البعث بالجسد بعد الموت وهم، ويبقى التجول الأبدى لمكوناتك بين شتى الكائنات هو الحقيقة، و أن ما يبقى لك بعد موتك إلا أثار ما فعلت عندما كنت حيا، وكلما عظمت تلك الآثار الطيبة فإن هذا عزاء لك فى الموت، و يمكنك أن تتقبل حقيقة الموت لك ولأحبائك عندما تتعلم أن لا تتعلق بالأشياء، وأن لا تستعبدك غرائزك وعواطفك، كما ويمكنك أن تتحمل ما تلاقيه من كوارث ومصائب.

١٤٦. لم أكن أتخيل نفسى يوما داعية إلحاد، ولم أرتد هذا الثوب يوما، ولكن ما دفعنى مؤخرا لارتدائه، بعد طول تردد، أننى



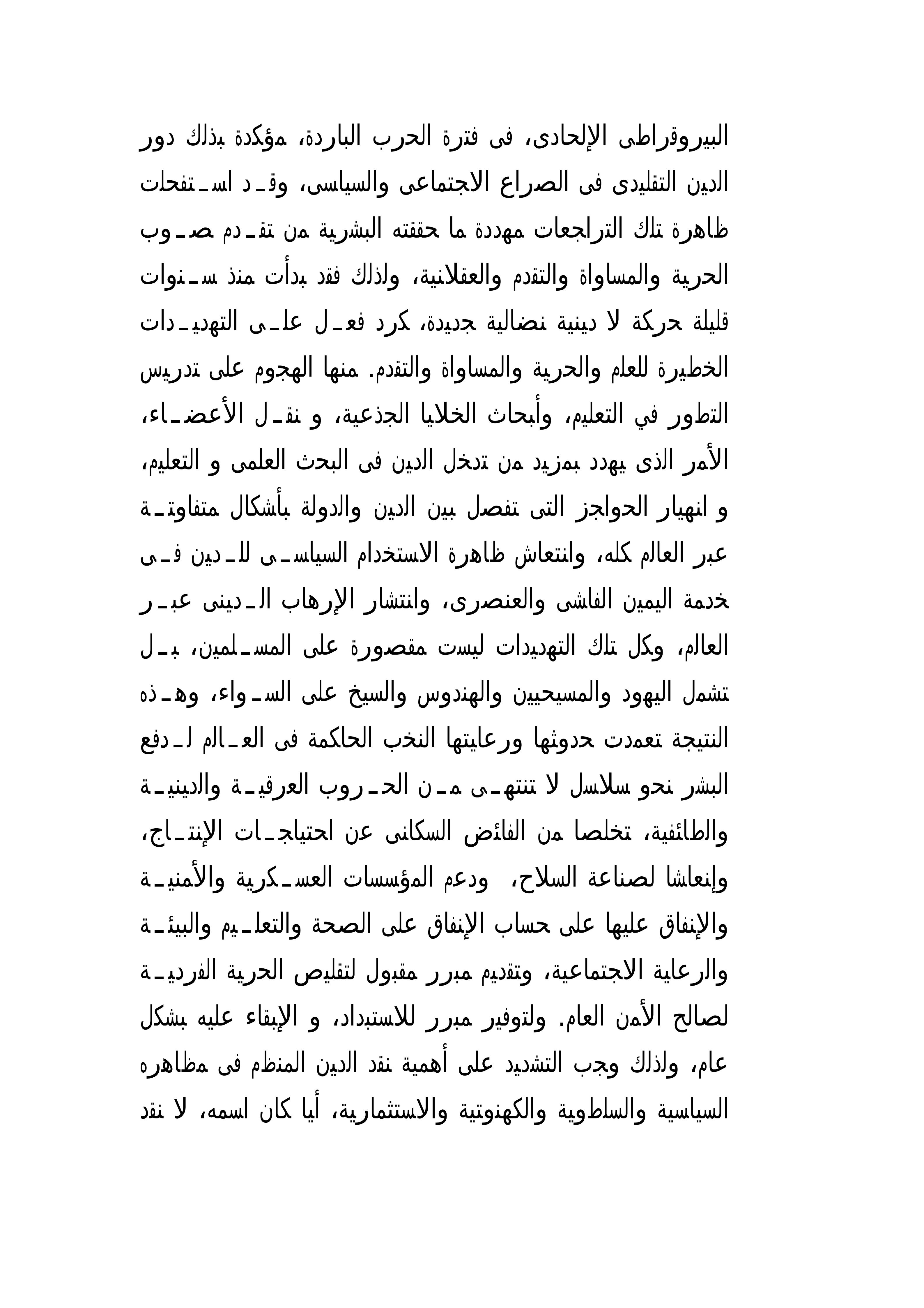
اكتشفت بعد كل تلك السنوات الطويلة من النضال السياسى الذى لم يؤت أى ثمار، أن التربة ليست صالحة للبذور التى نزرعها، بسبب السيطرة التامة للدين المنظم على عقول مـن نـود أن يحـرروا أنفسهم، والذين تعوقهم تلك السيطرة عن فهم مصـالحهم والـدفاع عنها، وتمنعهم من الاستماع لغير رجال الدين، واكتشفت أنه مـن أجل تحقيق تحرر فعلى للبشر، فإنه لا بد من تقويض أسس الـدين المنظم باعتباره أساسا من الأسس التى يبنى عليه التسلط والظلـم الاجتماعى واللامساواة بين البشر، فظهور رجال الـدين كطبقـة تستحوذ على الفائض الاجتماعى، وتمارس تسلطها على البشر ببيع الأوهام لهم، سبق تاريخيا ظهور ملاك الثـروة والعبيـد، وسـبق الدولة ورجالها من مدنيين وعسكريين ومثقفين وإعلاميين، فلمـاذا إذن نناضل ضد اللاحقين فقط ونترك السباقين، وخصوصا إذا كان السباقين بسلطانهم على الناس يدعمون سـلطة واسـتغلال وقهـر اللاحقين. وليقل لى أحد ما الفرق بـين الرأسـمالى و الإقطـاعى ومالك العبيد و البيروقراطى الذين يعيشون على حساب المنتجـين الفعليين للثروة من جهة، وبين رجل الدين الذى يعيش على حساب المؤمنين من جهة أخرى.

١٤٧. عرف القرن العشرين ألوان من الأديان الإلحادية والعلمانية فى ظاهرها الفلسفى، وقد حلت محل الدين الغيبى عند المـؤمنين بها، و تمثل هذا بشكل رئيسى فى اللينينيـة بمـذاهبها و الفاشـية بأنواعها الدينية و القومية، وتلك الأديان العلمانية بدورها باعـت أوهاما للناس بتحقيق الفردوس المفقود علـى الأرض بـدلا مـن السماء، وأصبح لها أصنامها و رموزها بل وطقوسها الوثنية، ولها



كتبها المقدسة وأنبياءها ومقدساتها، ولها لهوتها الإلحادى والعلمانى، و سيطرت مؤسساتها على الناس، وقيدت حرياتهم، وعاش رجال دينها من الحزبيين على حساب الناس العاديين عندما كانوا فى الحكم، و تحكمت تلك المؤسسات فى حرية البحث العلمى، وطوعت العلم لخدمة إيديولجيتها، وارتكب بعض المنتمين لتلك الأديان العلمانية المذابح أيضا باسم العقيدة المقدسة، و أوهامها الخلاصية والفردوسية، شأنهم شأن أتباع الأديان الغيبية عبر التاريخ، أقول ذلك حتى لا تغرنا اللافتات، فليس كل ما يبرق ذهبا. و تجدر الإشارة هنا أنه ليست اللينينية فقط هى التفسير الوحيد للماركسية، وليست هى الطريق الوحيد لتجاوز الرأسمالية، فهناك اتجاهات أخرى سواء ماركسية غير لينينية كالمجالسية، أو تحررية غير ماركسية، كالنقابية ، والتعاونية، والتشاركية، تناضل ضد الرأسمالية و تقدم البديل عنها هى والبيروقراطية اللينينية معا.

١٤٨. حققت اللادينية انتصارات هائلة، وتقدمت بسرعة مذهلة خلال الأربعة قرون الأخيرة فى أوربا، فنمى اللادينيون من بضعة مئات من المفكرين والعلماء عبر العالم، ليصلوا الآن إلى أكثر من خمس سكان العالم، ما بين لا أدريين و ملحدين، متركزين بكثافة فى أكثر المجتمعات تقدما، و فى الشرائح الاجتماعية الأكثر علما وثقافة فى تلك المجتمعات، وكان هذا النمو مقترن بانتصارات البرجوازية على الإقطاع، والعلمانية على الدولة الدينية، والعلم الحديث على الخرافة، ولكن فى العقود السبعة الماضية بدأت تراجعات لهذه المكاسب، نتيجة استخدام الدين من الجانب الرأسمالى فى الحرب ضد الستالينية التى مثلت الجانب



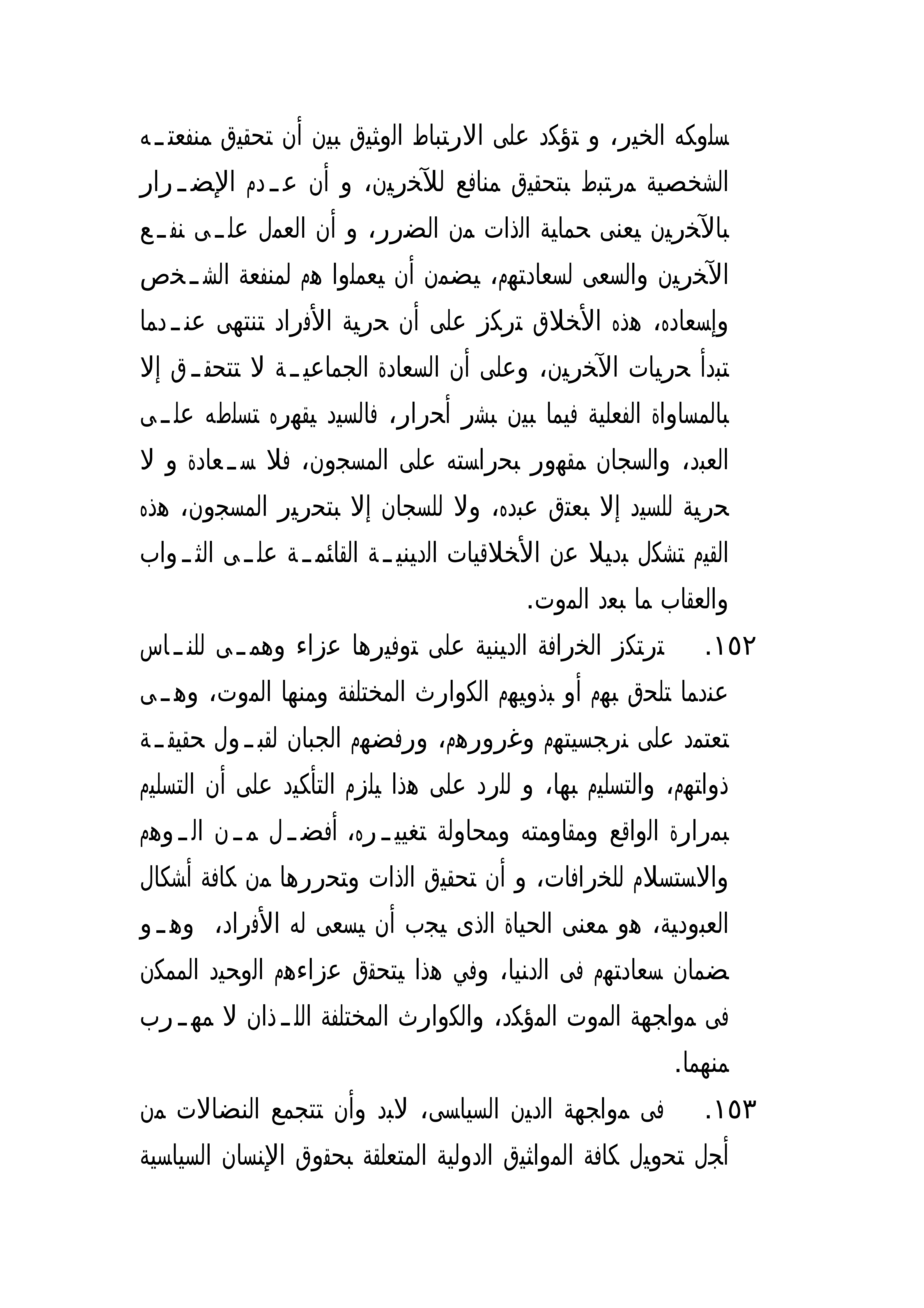
البيروقراطى الإلحادى، فى فترة الحرب الباردة، مؤكدة بذلك دور الدين التقليدى فى الصراع الاجتماعى والسياسى، وقد استفحلت ظاهرة تلك التراجعات مهددة ما حققته البشرية من تقدم صوب الحرية والمساواة والتقدم والعقلانية، ولذلك فقد بدأت منذ سنوات قليلة حركة لا دينية نضالية جديدة، كرد فعل على التهديدات الخطيرة للعلم والحرية والمساواة والتقدم. منها الهجوم على تدريس التطور في التعليم، وأبحاث الخلايا الجذعية، و نقل الأعضاء، الأمر الذى يهدد بمزيد من تدخل الدين فى البحث العلمى و التعليم، و انهيار الحواجز التى تفصل بين الدين والدولة بأشكال متفاوتة عبر العالم كله، وانتعاش ظاهرة الاستخدام السياسى للدين فى خدمة اليمين الفاشى والعنصرى، وانتشار الإرهاب الدينى عبر العالم، وكل تلك التهديدات ليست مقصورة على المسلمين، بل تشمل اليهود والمسيحيين والهندوس والسيخ على السواء، وهذه النتيجة تعمدت حدوثها ورعايتها النخب الحاكمة فى العالم لدفع البشر نحو سلاسل لا تنتهى من الحروب العرقية والدينية والطائفية، تخلصا من الفائض السكانى عن احتياجات الإنتاج، وإنعاشا لصناعة السلاح، ودعم المؤسسات العسكرية والأمنية والإنفاق عليها على حساب الإنفاق على الصحة والتعليم والبيئة والرعاية الاجتماعية، وتقديم مبرر مقبول لتقليص الحرية الفردية لصالح الأمن العام. ولتوفير مبرر للاستبداد، و الإبقاء عليه بشكل عام، ولذلك وجب التشديد على أهمية نقد الدين المنظم فى مظاهره السياسية والسلطوية والكهنوتية والاستثمارية، أيا كان اسمه، لا نقد

دين بعينه لحساب التبشير بدين آخر، وسواء أكان هذا الدين غيبي أم علمانى.

١٤٩. فى مواجهة هذه التهديدات التـى يمثلهـا الـدين بـالمعنى السابق، لا بد من الرد على المعتقدات الدينية بالمعنى الواسع للكلمة بما يشمل ما هو غيبى منها كالأديان الإبراهيمية أو علمانى كالفكر القومى، وذلك عندما تتعارض تلك المعتقدات مع الحقائق العلميـة، أو تنتهك قيم الحرية الفردية والمساواة والتقـدم والعقلانيـة بـين البشر، و لكن هذا الرد لن يكفى بمفرده إذ لابد مـن أن يصـاحبه تقديم بديل متكامل للناس عن ما يقدمه لهم الدين، بديل يناضلوا من أجله، ويوفر لهم ما يوفره لهم الدين من تفسير للوجود و عزاء و أمل و معنى للحياة.

١٥٠. فى مواجهة السياسات التعليمية والممارسات الإعلامية التى نجحت فى تسطيح عقول البشر، وتحويلهم لكائنات وظيفية مبرمجة لأداء وظائفها فى خدمة مصالح النخب، لابد من طـرح المعرفـة العلمية الجادة ونشرها بكل السبل بين الناس باعتبارها هى وحدها التى تقدم التفسير المعقول للوجود مقابـل تفسـير الخرافـة الـلا معقولة، و رفع درجة وعي البشر نحـو عجائـب العلـم وقـوة المنطق.

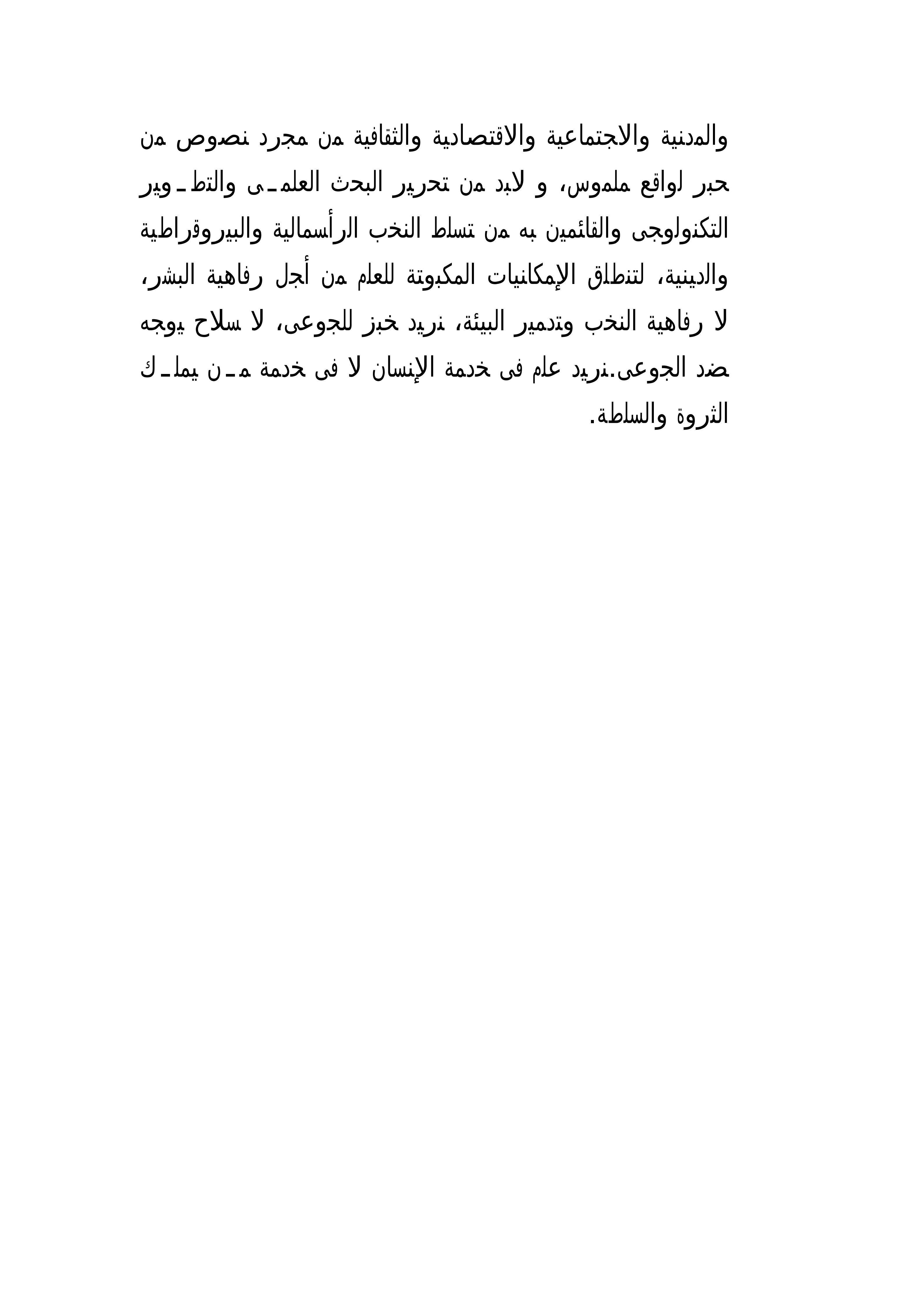
١٥١. فى مواجهة أسلوب الحياة القائم على الازدواجية بين عبادة الاستهلاك وتغطية ما تؤدى إليه تلك العبادة مـن عفـن سـلوكى بالانغماس فى الغيبيات الذى يصل لحد الهوس، لابد مـن تقـديم فلسفة للأخلاق والسلوك الإنسانى قائمة على أسس موضـوعية لا أسس غيبية، تؤكد على الارتباط بين سعادة الإنسان الحقيقية و بين



سلوكه الخير، و تؤكد على الارتباط الوثيق بين أن تحقيق منفعته الشخصية مرتبط بتحقيق منافع للآخرين، و أن عدم الإضرار بالآخرين يعنى حماية الذات من الضرر، و أن العمل على نفع الآخرين والسعى لسعادتهم، يضمن أن يعملوا هم لمنفعة الشخص وإسعاده، هذه الأخلاق تركز على أن حرية الأفراد تنتهى عندما تبدأ حريات الآخرين، وعلى أن السعادة الجماعية لا تتحقق إلا بالمساواة الفعلية فيما بين بشر أحرار، فالسيد يقهره تسلطه على العبد، والسجان مقهور بحراسته على المسجون، فلا سعادة و لا حرية للسيد إلا بعتق عبده، ولا للسجان إلا بتحرير المسجون، هذه القيم تشكل بديلا عن الأخلاقيات الدينية القائمة على الثواب والعقاب ما بعد الموت.

١٥٢. ترتكز الخرافة الدينية على توفيرها عزاء وهمى للناس عندما تلحق بهم أو بذويهم الكوارث المختلفة ومنها الموت، وهى تعتمد على نرجسيتهم وغرورهم، ورفضهم الجبان لقبول حقيقة ذواتهم، والتسليم بها، و للرد على هذا يلزم التأكيد على أن التسليم بمرارة الواقع ومقاومته ومحاولة تغييره، أفضل من الوهم والاستسلام للخرافات، و أن تحقيق الذات وتحررها من كافة أشكال العبودية، هو معنى الحياة الذى يجب أن يسعى له الأفراد، وهو ضمان سعادتهم فى الدنيا، وفي هذا يتحقق عزاءهم الوحيد الممكن فى مواجهة الموت المؤكد، والكوارث المختلفة اللذان لا مهرب منهما.

١٥٣. فى مواجهة الدين السياسى، لابد وأن تتجمع النضالات من أجل تحويل كافة المواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان السياسية



والمدنية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية من مجرد نصوص من حبر لواقع ملموس، و لابد من تحرير البحث العلمـى والتطـوير التكنولوجى والقائمين به من تسلط النخب الرأسمالية والبيروقراطية والدينية، لتنطلق الإمكانيات المكبوتة للعلم من أجل رفاهية البشر، لا رفاهية النخب وتدمير البيئة، نريد خبز للجوعى، لا سلاح يوجه ضد الجوعى.نريد علم فى خدمة الإنسان لا فى خدمة مـن يملـك الثروة والسلطة.